@2Q8
السكابندو
الأعمال القصصية الفائزة
بمسابقة عصير الكتب للقصص القصيرة
عصير الكتب

قال تعالى:

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

العلق: 1-5

.لا يشكر الله من لا يشكر الناس

الساحر اوز , خليفة ضبعون , حسين الخزرجي , علي مجاش

وكل من شارك في مجموعات عمل الكتب التطوعية كلاً بأسمه.

مكتبة الكندل العربية

هذا الكتاب رسالة احتجاج للناشر على عدم توفيره الكتب في متجر امازون كندل.

https://t.me/knowledge_transfer

https://twitter.com/2q8

همسة للقارئ/القارئة

اذا اعجبك أي كتاب قراءته اشتريه سواء نسخة الكترونية او ورقية دعماً للمؤلف والناشر.

السّكابَندو وقصص أخرى

مجموعة مؤلفين

السّكابَندو

(عبد السميع بنصابر)

في العادةِ يباغتُنا كالأيامِ الماطِرة. نعبسُ فيبتَسم. تطيرُ «المعزةُ» ومعها البقرة وتبقى قدماهُ ضارِبتينِ في الوَحلِ وعيناه تتَرصّدان حركاتِنا. ننظرُ إلى بعضنا البعض في تذمُّر. عبثًا نُحاولُ التخلُّصَ من شبحهِ الثقيل.

- من هي أمُّكَ؟

- السكابَندو!

- من أبوك؟

- السكابَندو!

- ما اسمُك؟

- السكابَندو!

- أنتَ ضْبَعْ..

- أنا السكابَندو!

ويُقَهقهُ حتّى تختفي عيناهُ الصّغيرتان. ويَجري صائحًا:

- «السكابَندو.. السكابَندو»..

لا هوَ بالأبيض، ولا بالأسود، سُمرَتُه تُكسبُهُ جاذبيةً خاصّة، ومعَ ذلِكَ فهوَ وحيدٌ. حتّى أثناء اللّعبِ لا يفسح لهُ الرفاق المكانَ إلّا لسدّ ثغرة أو لإتمامِ عدد فريق..

سألعبُ الذّكيَّ وأُحاصِرُهُ ذاتَ مساء لأقذفها في وجهه:

- إنهم يكرهونك أيُها الأبلَه..

ويضحكُ ضحكةً طويلةً قبل أن يُجيب:

- يُحبونني.. لا أحدَ يكرهُ السكابَندو..

ويلتفتُ مبتَسمًا:

- هل تكرَهُني أنت مثلًا؟
- نعم، أكرهك..
يبتسم. أشتُمه. يضحكُ فينيخُ على صدري بثقلِه. أصفَعُهُ بقوة، وعندما أنصرِفُ تلاحِقُني ضحكتهُ وهو يصيح: - تعالَ، سامحتُكَ... السكابندو يُسامِحُ الجميع..
صبيٌّ غامِضٌ هذا الذي كُلّما التفتنا إليه نجدُهُ يلعبُ بالحصى، ينظُرُ إلى الأفقِ أو السّماء.
نتعمّدُ الابتعادَ فَيُلاحِقُنا بِبُطء وهُوَ يقذِفُ الحصى بِقدَمه، وعِندما يكشِفُ أمرَنا يبتسِم ثمّ يضحَكُ تلكَ الضّحكَةَ الفريدة ويصيح: «السكابَندو»..
عِندما كُنّا نَلعبُ الكُرةَ، كانَ يتكوّمُ قُربَ ملابسَنا بلا حَركة، كأنّهُ إحدى قِطَعِها وهو يُمسِكُ بِوجهه مُكتَفيًا بالتفرّجِ.
- اسمَع أنت، مهما لبثتَ هُنا، فإنّك لن تلعَب معنا..
- أُحرُسِ الملابسَ يا ضبُع!
لا يَغضَب. لا يحْزَن. لا يَحتجّ. السّكاباندو. ذاكَ هُو. وخلف الجِدران الطوبية تهمسُ أمهاتنا في توجُّس: - لا تَلعبْ معَ ابن بائع الفحم!
يئسنا من التخلُّص منهُ أو كشفِ كُنهِه وسرّ ابتسامَته الغامضة. عندما تعِبنا صارتْ أفكارُنا حولهُ أيضًا سكابندوّةً وغامضة. كلُّ شيء صارَ «سكابندو»..
ذاتَ يومٍ مُمطر طرقَ بابَ منزلنا، وعندما ألفيتُهُ صفَعتُهُ قبل أن يُقدّمَ لي زوجيْ حذاء سميك هامِسًا: - أهدتنيهِ خالتي وقلتُ إنّهُ سيُلائمُكَ..
ثُمّ ركضَ وقد شعرتُ به يكتمُ بُكاءهُ. لم أرَهُ يبكي قط...
عِندما سألتني أُمّي عمّن مدّني بالحذاءِ يومها أقنَعتُها

أنني عثرتُ عليهِ قُربَ الوادي.
- احذَر أن يسرِقهُ منك ابنُ بائع الفحم..
قُربَ الضّاية الكبيرة، أوهَمْنا السكابَندو قبلَ شهور أنَّنا نَرغَبُ في أن نسبَح ونحتاجُ زعيمًا يقفزُ إلى الضّاية لنَتشجّع..
- أنا.. السكابندو، سأقفِز..
على حافّةِ الضّايَةِ المُلوثةِ وقفَ وهو ينظرُ إلى صفحتِها. وقبلَ أن يقفِزَ عمدَ بعضُنا إلى الدفعِ به بقُوّة، فسقطَ السكابندو سقطةً أطارتْ على ثيابِنا رذاذ الماءِ العكِر.
مُبلّلًا صعدَ على يديهِ ورُكبتيهِ كمن يفِرُّ من لهيبِ نار رهيبة. ودون أن يلْتفِتَ ركضَ السكابندو ملءَ رُكبتيه لا يلوي على شيء، وقد غطّى وجههُ بيديهِ فيما كانَ
صُراخُه قد ملأ الأجواء. السكابندو لم يبتسِم. لم يُقهقِه كما توقّعنا. السكابندو يصرُخُ من ألَم غامض. السكابندو، ما الذي حصل؟
أذكُرُ أنّنا تفرقنا لحظتها وقد أجمعْنا أمرنا بيننا ألا شيءَ حدث.. لمْ نرَ السكابندو ولمْ يُلقِ بهِ أحدٌ إلى الضاية كما سيَدّعي..
بِتُّ ليلتها مرعوبًا. ستنشُبُ أمي أظافرها في عُنقي لِسَببين: اللعِبُ مع ابن بائع الفحم، ثمَّ المُشاركةُ في جريمة جماعيّة...
لمْ يطرُق بائعُ الفحم بابَ منزل أحدِنا، ولزمنا الصمتَ، بله لم نعُد نذكرِ السكابندو في أحاديثنا. لقدِ اختفى.
السكابندو، اختفى كما لم يتوقعْ أحدُنا.
وفجأة، وفي غيابهِ سيتلَبّسُني شعورٌ شديدٌ بالنّدم.
حاولتُ مرارًا أنْ أطرُدَ هذا الإحساسَ باستدعاءِ بعضِ

خطاياهُ لكن دون جدوى. كانتْ ابتسامتُهُ تأتيني مُنكرَةً عليّ مكرَنا وظُلمَنا.

لقد افتقَدتُ السكابندو أخيرًا.

ذاتَ ليلة استغرقت فيها ثرثرةُ الجاراتِ أمّي، نادتْ عليّ وأدخَلتني إحدى غُرفِ المنزل ثم غلّقتِ الباب. داهمتْ فزعي قائلة في همس رهيب: - ابنُ بائع الفحم أُصيبَ بمرض جلديّ خطير، ولا أحدَ يعرِفُ السبب.. إياكَ أيها الشقيّ أن تلتقيه فتُصابَ بالعدوى..

أحسستُ بطُمأنينة في بدايةِ الأمر، لكن ما لَبثَ حُزني وندمي أن تفاقما حتى صِرتُ انعزاليًا وشارِدًا في أغلبِ الأوقات.

ذاتَ غَفلة من أمي، تسللتُ عبر الزقاقِ المُظلِمِ الّذي يمُرّ عبر البيُوتِ الطّينية. من خلفِ دار بائع الفَحم، تسلّقتُ الجدار مُحاولًا القَفزَ حتّى أتبيّنَ حقيقةَ ما شيعَ حول السكابَندو، لكِنَّ المشهدَ الذي صَدمَ عينيّ تركني مُعلّقًا فوقَ الجدارِ بلا حراك. تحتَ قوائم العجولِ كانَ السكابَندو يحبو بلا وجهة مُحاولًا اتقاءَ رفساتِها، وقد قُيّدت رجلاهُ الحافيتانِ بسلسلة حديدية متينة مشدودة إلى وَتَد ضُربَ تحت الجِدار الطّوبي. كانتْ ثيابهُ مُمزّقةً ومُثقلةً بقذارةِ الدّوابّ. راقبتهُ دونَ أن أتحرّك من مكاني. كانت ذراعاهُ النحيفتانِ وساقاهُ العاريتانِ مرقّطة بطفح جلديّ أحمر. لم ينتبه إلى وجودي لأنّهُ كانَ مُنهمكًا في الحركةِ وكُلّما أصابتهُ رفسةٌ عجل ندّت عنهُ آهة ألم. فجأةً كدتُ أهوي إلى الأرض فتشبثتُ بالطوبِ. التفتَ إليّ بسُرعة فخفقَ قلبي بقوةَ. كانتْ عيناهُ مُبيضّتيْن، شعرتُ بهلع شديد، فقفزتُ بِسُرعة إلى

الزّقاقِ
كاتِمًا صرخةً ضجّ بها صدري وركضتُ مُسرعًا بِلا وجهة..
يومٌ من أيّامِنا الماطِرة يجمَعُ الصّغارَ من جديد بعدَ شُهور. السّماءُ تُمطرُ، والذئبُ يُقيمُ عُرسَهُ خلفَ الغابةِ الكبيرة..
السّكابندو مات.. مات السّكابَندو..
كيف سأذكُرُ من حملَ إلينا الخبرَ لحظتها، وقد نسيتُ يومئذ الوحلَ الذي كانَ يُعيقُ جريي. كُنتُ أركُض إلى القريةِ وقد رشح جسمي بعرَق كثير رغم المَطر والبرد.
هل ماتَ السكابَندو؟ لماذا مات؟ هل ماتَ السكابندو؟ م ا ت ال س ك؟
كان حشدٌ من النّاسِ قد اجتمَعَ أمامَ منزل بائع الفحم. تلقّتني أمّي بيديها عَندَ البابِ ثمَّ أبعدتني..
- هلْ جُنِنت؟ إنهُ الطّاعون.. ستموتُ إن دخلت.. ابتَعِد أيُها الشقيّ...
في غَفلة مِنها، تسلّلتُ إلى الزّقاقِ الضيّق لأتسلّقَ الجِدار الخلفيّ لمنزِلِ بائع الفَحم...
كانَ السكابَندو مُمدّدًا على بطنهِ، وقَدِ انغرَسَ فأسٌ في رأسهِ جعلهُ مُثبّتًا على الأرض. وكانتِ العجولُ قد تراجعتْ إلى إحدى زوايا الزريبة وتكدّست بها مُبتَعِدةً عنِ
الدّمِ الأحمرِ الذي اختلطَ بالرّوثِ والوحل. لبِثتُ أحملقُ في جُثّةِ السكابَندو وقدْ لفتَت انتباهي انشاءَةُ أنامله مُشكّلةً قبضة صغيرة. تساءَلتُ إن كانَ لا يزالُ يذكُرُني.
قَدْ يكونُ سعيدًا الآن بالجلبةِ التي أحدثها لأول مرة في حياته. عندما أطلتُ التأمّلَ في جسمهِ خُيّلَ إليّ أنّهُ دَخلَ عالمَ الكِبارِ لأنّ سكونَهُ استفزَّ طفولتي لحظتَها.

شعَرتُ بالحسد. هل يُمكِنُهُ الآنَ أن يَقبلَ صداقَتي؟

في اللّيلِ كانت أمّي تحكي للجاراتِ عنِ الطّاعونِ والعدوى عشراتِ المرّاتِ، ثم تختمُ كلامَها قائلةً: لكِن الحَمدُ للّهِ على لُطفه، بائعُ الفحم أنهى خَوفنا، لولاهُ لهلكَ أبناؤنا..

تَذكّرتُ فأس بائع الفَحم. تذكّرتُ السّكابَندو وانثِناءَةَ أنامِلِه الدّقيقة وسكونه الغامِض، فندّت عنّي شهقَة بُكاء. التفَتت إليّ أُمّي فزِعةً: ما بِكَ؟ ما بِكَ يا حَبيبي؟

صِحتُ قبلَ أن أُجهشَ بِالبُكاء:

أكرَهُ السكابَندو يا أُمّي.. أكرَهُ السكابَندو..

W

قطار الثامنة والنصف

(رولا عبد الرؤوف حسينات)

جلوسي على حافة الدرجة المعدنية البارزة بدوائر صغيرة، وقد اكتست بالسواد كان قدري، لم أكن أحلم أن أكون شابًا يطالع كتابه دون أن يعي أيَّ جملة فيه،

رغم أني تعلمت القراءة والكتابة للمرحلة الابتدائية، اكتفائي بمراقبة القادمين إلى محطة القطار كل يوم، جعلني ألعن حظي الذي لم أنل غيره...

ما الذي كان؟ وكيف كان؟ لا أدري!

ما أستطيع إبصاره بعينين دميمتين بشق رفيع، وحبوب صغيرة قد تراصت في المساحة الضيقة بين الجفن والعين بلون مائل للحمرة، مع رسم لندبة باثنتي عشرة

غرزة قد غار في الوجه ما بين الأنف والأذن بخط رفيع قد قشر معه سنوات طويلة، لم يكن أحدٌ ليدعني أعمل

عنده... أحلام العصافير وأمنيات إبليس فكلها تطفو
إلى السطح، وما تلبث أن تغرق...
شاب مثلي بهذه المواصفات في الوجه، وغيرها الكثير أخفيه تحت ثيابي الرثة... ربما استطعت ستره ولكني لم أستطع احتمال آلامه؛ الكبد والطحال والمرارة تهيج
بجوقة واحدة تدعكني ولا تتركني... مما جعلني أفيق على كابوس اسمه الموت، يلاحقني مع كل إغماضة عين، ولم يكن أمام مسكين مثلي أثقلته الحياة بفواتيرها
إلا أن أبقى منصتًا للأحياء، أعيش معهم وأعجن بمعجنهم... عم فتح الله سائق القطار، أعادني لنفسي...
قال لي: سترى الحياة، لا تضع نفسك في قارورة ليكتشفك أحد، فربما مت قبل ذلك...
عم فتح الله تجاوز الخمسين وبقي يقود القطار وكأنه ابن العشرين؛ قوي رغم ما تغير على جسده؛ كرشه الصغير الذي يرتفع مع ملابسه، وبخاصة بدلته
الزرقاء الداكنة بكمها الطويل وبنطلونه الواسع الذي يخفي ساقين أنهكتهما سنين العمر وصمدتا، ما زالت عكازتاه تسيّرانه رغم ما يعانيه من مرض السكر
والضغط، رغم العالم الآخر الذي يعيشه، ويسلي الكثيرين بقصصه؛ عالم ما قبل التاريخ؛ حين أبصر الإنسان وجوده فوق أرض شعواء، شعثاء، فلا ارتبط بها
ولا استقر فيها، فظل يبحث عن كل ما يجعله مسيطرًا، مستحوذًا على كل شيء؛ لأنه شعر بالقوة وهي الشمعة المضيئة بداخله دون أن يطفئها... فاصطاد ما

هو
أقوى منه بالحيلة والمكر... وجعل له منطقة وحماها وتعاون مع الآخرين، وأحبَّ وكره... ولكنه عرف كيف يفعل هذا وذاك...
وهو يتحدث يظنه الكثيرون خالي البال، وقد ينجح هذا مع الأستاذ شوقي الذي يستيقظ نهار المحطة على وجهه الممطوط، وشاربيه الرفيعين، وتلك التقويسة عند
الفم، لم تكن لأعلى بل كانت لأسفل محددًا ذقنًا بارزًا... الأستاذ شوقي أُحيل قبل عامين إلى المعاش بعد خدمة ستين عامًا، وكما يقول للجالسين: كلما أرادوا
إحالتي للتقاعد، ينظرون إلى سجلي التعليمي وإخلاصي في العمل فيخافون، ويمدونني سنة أخرى. ويميل إلى الجالس قربه، ويهمس في أذنه: كنت الأفضل.
القناع الذي يختبئ وراءه عم فتح الله والأستاذ شوقي لم يكن رغم شراسته غير قناع حزين، يخبئ في تابوته الآلاف من القصص الحزينة... موت جميع أسرة
الأستاذ شوقي بمرض وراثي حيّر الأطباء لم يجعله يائسًا من الحياة... يهمس عم متولي في أذني ويقول: يخاف أن ينام وحيدًا في شقته... ويبقى مستيقظًا... لم ينم
منذ سنتين، وهو يفيق كبندول الساعة، يفيق على كل همسة لشبح، أو أنين لأحد أفراد عائلته... الكثير من الصحف كتبت عن هذا المرض، الدولة لم تستطع فعل
شيء، ونقص الموازنة وقف أمام طريقه في أن ينقذ

أحدًا منهم... ليكون فأر تجارب في الخارج، ليموت وهم يجربون عليه الموت... هنا أو هناك... لن يسمى بشيء آخر...

وعم فتح الله لم يكن أفضل حالًا منه، فهو لم ينجب غير البنات، الكثير منهن، ربما وصل عددهن إلى خمس عشرة بنتًا، لا يدري هو، كان فقط يقضي ليلته مع

زوجته التي ما إن تشرق الشمس حتى تحمل، وما إن تغيب الشمس حتى تلد، سنوات طويلة لم يكن يعد فيها، ولم يكن يستمع لأحد فهو لا يريد سوءته أن

تلاحقه؛ ولذلك كان يقلب يديه ويقبلهما وهو يحمد الله... لم تكن الأمور أفضل حالًا عندما كبرن، الزواج والطلاق والخلفة والهموم والمشاكل والقضايا الكثيرة،

والأفواه المفتوحة تريد مالًا كثيرًا... ولذلك هجر ساعات راحته في البيت، كان يعطي راتبه إلى أم البنات ويمضي مسرعًا قبل أن تلقي إليه بالشتائم... تريد مالًا كثيرًا،

وتريد طعامًا يشبع الأفواه الجائعة التي تضاعفت وتضاعفت، ولكنه يهرب منها ليكون حرًا بين طيات كتاب؛ ليكتشف نفسه كالإنسان الأول تمامًا، لكن دون أن

يكتشف الحب، ويغيب فيما تبقى من نهاره وراء زجاج القطار الذي ينتهي بمقطورات عشر أشبه بدودة شريطية تمتد أبعد من عين الأفق الضيقة بالرؤوس

السوداء التي تشبه النمل، لكن دون أن تتوارى تحت التراب وفي الشقوق... الهروب الذي مارساه كليهما كان يشبه هروب الكثيرين ممن ينظرون بعينين مفتوحتين

لخريطة حياتهم المليئة بالبثور والندب والحفر، فلا

يفيقون على صفعاتها اللاسعة، ولا على قرقرة بطونهم بقدر ما يفيقون على الفرح وكأنه اللمسة السحرية التي

تحنط الموت، وتحيي الأمل...

تفيدة فرج كانت شعلة المحطة، لم تكن تبخل على المارقين بجولة راقصة على رؤوس أصابع قدمين نحيلتين، سمراوين، وورك ممتلئ يهتز بسرعة تبهر العيون

التي ما تلبث أن توقف عجلة الحياة لديها، لتنظر لذلك الجسد الرقيق الذي يتمايل بمنديله الأحمر المربوط على مؤخرة ممتلئة وبارزة رغم القد النحيل الذي

تملكه... والصدر الممتلئ الذي يبرز كتفاحتين منتفختين، الرجال والنساء يصفقون، والشبان يشعلون سجائرهم وينظرون، والكثير من المهمومين يلوحون بأيديهم

ولا تسمع صفارات القطارات الأخرى وهي تغيب أو تجيء...

ساعة من الزمن كل يوم تحييها تفيدة فرج، صدقة للجميع كي ينفضوا عن أنفسهم تراب الشقاء. الرسم الأحمر الفاقع فوق شفتيها، والعلكة في فمها لا

يجعلانها في نظرها ساقطة بقدر ما تحكي عن أعمال البرِّ لديها، حتى بدوت أصغر ما أكون أمامها؛ فهي تدفع نصف ما تقبض لدار الأيتام والنصف الآخر تقسمه

بين العائلات الفقيرة التي تعرفها في الحي القديم عند البناية التي انهدمت الشهر الماضي، وقد سبقتها بناية أخرى، وأخرى ستلحق بها، لكنها تسكن في واحدة

عاجلًا أم آجلًا ستنهار، وستموت... رغم جمالها الأسمر

فإنها تخفي حزنًا دفينًا، رأيت الكثير من الدموع في عينيها، ولكنها كانت تلملمها بمنديل من قماش، لم أر
تطريزًا أو رسمًا للحرف الأول من اسم أو ما شابه لحبيب لم يعرفه أحد...
فأعود يأسًا من المحاولة التي تجدد لديّ أملًا في أن أتقلد دور العاشق كما في أدوار السينما، الجميلة والعاشق المفتون اسم لفيلم جديد سيسحق كل الأفلام
الهابطة التي أسرق من مصروفي لأحظى بمشاهدتها... رغم أنها راقصة فإنها إنسانة مثلي، قدرها أن تكون هكذا، ولم تختره... من منا لا يريد أن يكون الأفضل؟!
فقدت أبي السكير بعد أن أمضى بسكينه في وجهي، كان ذلك عندما كنت في الرابعة من عمري؛ لأنني رفضت أن أسرق... لم يسجن أبي الذي كان يجأر ككلب
مسعور برائحته القذرة النافذة من جسده بسبب تلك السكين، التي تركت ندبًا في وجهي باثنتي عشرة غرزة... قطبها التمرجي محمود الذي يسكن في البناية التي
تأتي بعد البناية التي نسكن فيها -بغرفة حقيرة قد تقاسمت باقي غرفها أسر كثيرة تسأل الشقاء والفقر دون جواب-ببنايتين عند ناصية الطريق الفرعي الذي
تتزاحم على جنبيه الكثير من العشوائيات... صوت عراك والدي وصفارات الشرطة وصل لجميع من في الحي وما يليه من أحياء...
ليلة القبض على السكير الذي انقض على محفظة أحد

الأثرياء أثناء خروجه مع زوجته الملونة وهرب رغم ما قد ناله من ضرب من تلك الأجساد التي انسل من

بينها... كانت ليلة مليئة بالرعب والصراخ والدماء...

السجن الذي أمضى فيه ما تبقى من عمره حتى مات ميتة الكلاب الضالة، بغرفة ضيقة لا تتسع إلا له واقفًا أو طاويًا إليه ركبتيه جالسًا... المربع صغير في الباب

الحديدي يلقى إليه منه الطعام في صحن حديدي صغير، لم تكن الكلاب تطيق الاقتراب منه فبقي حتى تعفن، ولم يخرج من السجن إلا بعد أن خرج الدود

سابحًا من جسده، ومبولته طفح منها البراز والصديد...

الموت والحياة يقلبان عملتهما في البؤساء والمعوزين، وهي لن تفرَّ من قدرها الذي ولدت فيه... حصيلة ما يبقى لديها هو ثمن سندويشة كبدة وكأس شاي مختمر

من عربة الحاجة عيدة التي تقف بجوار عربة عرانيس الذرة الصفراء، والتي تصطف إلى جوارها عربة الكبدة... الكثير من العربات تقف منتظرة رزقها... الدخان

الأبيض الذي يتطاير من القدر فوق شعلة النار الملتهبة، والذي يصدر ضجيجًا، وفقاعات الغليان ترتفع إلى أعلى رافعة معها عرانيس الذرة الصفراء، تمتد يد سيد

المليئة بالشعر الملتصق بجلده المائل لسمرة داكنة ليضعها في وعاء كبير يرش فوقه الملح الأبيض، الكثير من الأيدي تمتد لأخذ العرانيس الصفراء، وهي تلقي

بالخمسين قرشًا في صحن فضي من الألومنيوم، الواقفون اعتادوا على السيد وعقيرته التي ترتفع بالغناء، والذي يذوب في البخار الأبيض المتصاعد، الكثيرون ألفوه

وألفوا عربته المليئة بالعرانيس، القدر الكبيرة، الأوراق والكثير من الزينة الحمراء والصفراء، لا يعرفونه لغياب وجهه بالبخار الأبيض، ولكنهم يعرفون عربته

المكتوب عليها بخط مائل ركيك (عربية السيد)، وهي بالنسبة للكثيرين المعلم الرئيس لسكة القطار التي تمتد كأفعى فوق سكة حديد طويلة تشهد مع الساعات

الأولى لطلوع الشمس من بين البيوت الإسمنتية المتلاصقة، الكثير من الرؤوس السوداء التي تحج لسكة القطار... السيد لم يكن يحفظ الوجوه بقدر ما أحفظها

بأصواتها، وأنصت للمارقين... فأنا مجرد معلم من معالم الطريق التي لا يمكن لأحد سوى التعثر بي، الكثير من القصص استطعت أن أحفظها، فتحي العتال

الذي يهتز جسده الرقيق مع أول هبة للريح، وهو يعتمر تلك العمامة فوق رأسه، وهي من خرقة مال لونها للأصفر، وقد أسدل منها خيطًا رفيعًا إلى ما وراء أذنه

المعقوفة، وهو مهووس بالغناء والمواويل، رغم ما يشكوه حبيبه من قلة المال الذي يسعى في الأرض ليجمعه عند المحلات التجارية الكبيرة التي تحتاج إلى من يحمل

لها بضائعها، من أكياس الأرز والسكر وغيرها، مواويله تجعل الكثير من المسافرين يجلسون إلى جانبه، وهم يستمعون لقصته؛ عن زواجه صغيرًا بابنة عمه

العمشاء؛ والتي لا تستطيع أيضًا أن تسمع بأذنها اليمنى، المسكينة أُصيبت في صغرها بمرض حاد، ولم يستطع أحد إيصالها للمشفى الذي يبعد عن كفر الزيت

حوالي الأربعة أو الخمسة كيلومترات، لم يكن بوسع

أمها العاجزة سوى أن تطرق بعويلها أذن الليل، وبيوت الجيران وقد وضعت نسوتها الكحل في العين، وهو

مسحوق أسود ثقيل يغلق العينين، ووضع الرماد على القروح والجروح، والكثير من الأبخرة المتصاعدة من بخور خانق، أصابها بنوبة سعال حادة، أصابتها بحالة

من الربو المزمن، والبخاخ مشكوك بين يديها والفم، ابنة خاله المسكينة التي وقع حبها في قلبه منذ صغرهما قبل أن يحدث لها ما حدث، وجعلها عالة على

الجميع إلا هو، فقد أخذ بيدها واعتنى بها رغم أنه لم ينل تلك الفتاة التي كان يحلم بها، لكنه جمع بين شعور الإشفاق والحب... لم يستطع أن يفرق بينهما،

لكنه استطاع أن يثبت لنفسه بأنه رجل، والرجل ليس بشاربيه إنما بفعله، وها هو يستعد لبناء غرفة أخرى من لبِن، وإسمنت؛ ليخرج من الغرفة الطينية

القديمة التي ورثها عن أبويه بعدما قبضهما الله إليه، الغرفة الإسمنتية ملاصقة للغرفة الطينية فهو سيصلحها ويقوي بنيانها، فهو بأي حال من الأحوال لن

يستطيع بناء غيرها، سيفتح منها بابًا صغيرًا، ينحني الداخل والخارج منها إلى الغرفة الإسمنتية، ويستر بابها بملاءة ثقيلة، عبارة عن غطاء لفراش أبيه، ولكنه

وزوجته العمشاء لم يرضيا باستخدامها كغطاء لأي منهما... فهي تخشى أن تستسلم لرائحة الموت العالقة فيها، الصغيران إسماعيل ووهيبة في الغرفة الطينية

بينما هما سيعيشان في غرفتهما الإسمنتية، كما يفعل أهل المدينة...

الفقر والجوع والمرض هم الثالوث الذي يخشاه على

عائلته، ولذلك قبل أن تضيء الشمس أول شمعة لها، يكون قد اتخذ مكانه المعتاد على المقعد الحديدي ذي القطعتين الطويلتين، مرتبة بشكل أفقي مستندًا إلى قطعتين أخريين من المعدن بلون أخضر، وقد تآكلت أرجله من الصدأ، وظل حلمه بجمع المال ليعيل أسرته وزوجته العمشاء يراوده فلا يفيق منه.

وهو يقلب بصره بين العابرين ومآسيهم... فقدانه لوالده لم يكن يعني له شيئًا، ولن يعني له الكثير؛ فهو مجرد هامش زمني له ندبة ذات الاثنتي عشرة غرزة، والتي لم تجعل له مستقبلًا في العمل بعد أن خرج من الابتدائية، عمله مع عم فتح الله الذي زُرعت محبته في قلبه، ربما لأنه أنجب الكثير من البنات، وألِف رائحتهن، وهو لم يشتم بعد رائحة الولد...

عيشة والدته لم تتوقف عن إمساك الحبل الرفيع من السماء في أن يتعلم، نحيبها ليل نهار يفتت الصخر... النحيب الصامت الذي يُهرق دموعًا أشد حرقة، يمزق اللحم ويفصله عن العظم ثم يفتته...

لم تكن أيٌّ من النساء اللواتي يضعن الشال الأسود فوق رؤوسهن، ويرتدين الثوب الملون الباهت يشبهنها، لقد كانت شيئًا آخر، امرأة من نوع آخر؛ يكفي أن تكون أمه والتي لم يمهلها المرض كثيرًا، وقد نشب في عظام مفاصلها فأوقد فيها نارًا... في المشفى الذي يؤوي المئات من الأجساد الميتة التي لم تصرف لها غير الأدوية التالفة وكيس البول...

الحاجة رقية تشبه أمه لكنها ليست بطولها فأمه أكثر طولًا، وليست بجمال أسنانها فهذه قد تساقط الكثير

منها، وبقي أربع رفيعة سوداء، هذه أكبر عمرًا من
أمه التي ماتت قبل سنوات بعيدة، لكنها تشبهها في قلبها وطيبتها...
النساء تتشابه صورهن بعد أن يلدن، ويرضعن الصغار، تتهدل قراب صدورهن لتصل إلى منتصف البطن، والبطن المنتفخ المحشو بالكثير من الأشياء التي لا تمت
للحمل بشيء، ومؤخرة مرتفعة بورك سمين... والنقاط البنية تملأ الوجوه، والشعرات الحمراء الكثيرة، هو لا يعرف لِمَ تشترك جميع النساء بكل شيء، حتى
الشعرات الحمراء التي تبرز من تحت الملاءة؟!
الوجوه التي مرت عليه كثيرة، بعضها لم يعد؛ ربما دفعت فواتيرها كاملة وماتت، وربما أوهنتها مقصلة الحياة، وعجزت عن المضي، وبقيت تنتظر قطارًا آخر لن
يأتي...
الكثير من القصص عرفها، وكثير منها حفظها عن ظهر قلب، كحلمه بتفيدة فرج الذي يداعب قلبه؛ بقدها... بوركيها... بتفاحتيها... بشفتيها... بسمرتها...
بجسدها الممتلئ... بكل ما فيها من شهوة تناديه... تجعله يلعق زنوبتها لترق له، وتحن عليه بابتسامة، بقبلة، ولِمَ لا؟! هي تلقي بالصدقات أينما كان، فليكن
ضمن صدقاتها، ألا يحق له أن يحن عليه أحد؟ أو أن يكون في هامش أحد؟!
الكتب التي صادرتها الحياة برتابتها، بقسوتها، تشابهت مع كل الوجوه التي تقاسمها الكثيرون...
قصص الحياة التي يسمعها قبل الساعة الثامنة

والنصف، الكثير من المظاريف التي لم تفتح بعد، في رحلة قطار الثامنة والنصف يسقطه ولا يحتفظ منه بشيء...

عندما يعود وحيدًا إلى حيث كان يسكن قبل أن يطرده صاحب البيت من غرفة واحدة ومرحاض قذر، وبقي على كومة الذكريات، وعلى رائحة أمه الحبيبة، يلتقم

لقمته عند أسوارها، وينام متوسدًا برميل زبالتها، ويحتسي كأسًا من الشاي الأسود مع سيجارة من صندوقه الصغير، ليحمل الكثير مما هناك، يوم كانت أمه

تشطفه، وتغسله بطشت الماء الساخن من سخان اسودّ قاعه ويداه قد صدئتا فوق الغاز الصغير في زاوية الغرفة، وكوب مكسورة يده من الألومنيوم تغرف منه،

وتغسله حتى يتطاير الهباب منه كما يتطاير البخار من القدر الموضوع على الغاز الصغير، الذكريات المحشورة في زجاجات صفّها بترتيب في نفسه حتى لم يعد

للكثير منها مكان، فحفر لها قرب الجدار، كل يوم يضع زجاجة أو زجاجتين من الذكريات، ويعيد طمرها ويغادر قبل أن تصدح المآذن ب"الله أكبر".

يذهب حينها ليغتسل في المسجد قبل أن يتوقف ويقرر العودة... حين التصق به رجل وظله له لحية سوداء، حليق الشاربين، معتمرًا عمامة بيضاء... ثوبه القصير

لم يؤرقه، وكذلك شكله لم يؤرقه، لكن التصاقه به وأخذه بيده كان ما يقلقه، لم تكن طيبته كطيبة عم فتح الله...

كانت طيبة منفرة، ما أريده أن أكون مع الله، وربما هو كذلك!

فلم أسئ يومًا، لم أقترف معصية، أصلي، أحمد اللّه، كل شيء أفعله كما كل الناس، دون أن أحتاج إلى شهادة أحد أو رقية من أحد، أرضى برزقي... فأنا مع
اللّه، وربما أقرب إلى اللّه من هذا؟!
ما يريبني أكثر ترديده: الجنة تنتظر، الجنة تنتظر... ولِم تراها تنتظرني دون غيري؟!
رغم أن الحياة غريمي، ورغم الجوع والشقاء والتعثير والسوء الذي أعيشه، أنافس فيها الكلاب غير أني آمل بأن يتغير ولو قيد أنملة...
حقي في أن أحلم... وأبحر بقاربي، ربما لن يتغير شيء حتى أموت، ولكن لن أتوقف عن العمل، ولن أتوقف عن الأمل...
فلم يريد هذا أن يصادرها مني؟!
هربت عندما رأيته عند باب المسجد... فررت منه وفررت من بيت اللّه...
ولكني توقفت وقدماي تركضان، فيده الثقيلة أمسكتني من قميصي، وقد لف ذراعه حول كتفي وأخذ يسيّرني معه دون أن أنطق، دون أن أتنفس...
لقد ترك الصلاة هو الآخر، وأخذني بعيدًا، وصل بي إلى حيث يقف القطار، دون أن ينطق حتى وصلنا، فقال بصوت أجش: افتح الباب...
قطار الثامنة والنصف كان باردًا لم تمسه لسعة الشمس بعد...
لم أعرف ماذا أفعل؟ كنت وحيدًا دون الرؤوس السوداء...
أدرت المفتاح ببابه، وطبقته على بعضه، دخل بخطى واثقة، واتخذ موقعه في مكان تفيدة فرج، هممت بأن

أقول له: غيّر مقعدك. لكني خشيت أن أسمع: الجنة
تنتظرك. فاكتفيت بالصمت واكتفى بترديد: كلنا لها، كلنا لها.
عندما اقتربت الثامنة والنصف وانطلق القطار بكل الأحلام والآمال، والهموم... انفجر كل شيء... كانت قد دقت الساعة الثامنة والنصف.

W

سُخِطَ فراشَة

(محمد الدمرداش بدر)

كنت طالبًا بكلية الطب حين سمعت تلك المعلومة، التي تتحدث حول مَقْدرة جناحي الفراشة في أن يُحدثا فيضانًا بنهر الأمازون. سمعتها بإحدى الأفلام الوثائقية،
ووضعتها آنذاك في خانة المفرقعات التشويقية المبالَغ فيها؛ بغرض جذب المشاهدات لا أكثر.
تبدلت قيمتها لديَّ يومَ أَحضروا ذلك النادل إلى المَشفى الذي أعَمل به إثْر جَلطة دِماغية أدخلته في غَيبوبة لساعات. أحضروه إلى هنا عصرًا، وشاهدته أول مرة
ليلًا، تحديدًا عندما دقّ وَقت حُقنته وتعمدت أن أُعطيها له بنفسي.
دخلت عليه غرفة ملاحظة الطوارئ رقم ٣، فوجدته مستفيقًا، بدا رجلًا كبيرًا بالستينات من عمره، فسألته عن حالته وأنا أضع مقياس الضغط حول مِعصمه
الرهِيف. لقد استقرت حالته بَعد يوم كامل من الإسعافات. حفزني ذلك لبدء حديث معه؛ إذ إن حديثًا مُختصرًا لإشباع فضول دام لساعات لن يُشكل أي خطر

عليه، غالبًا.

غرست الإبرة بذراعه.. ثم تَرجلت بهدوء تجاه نافذة الغُرفة.. نظرت من خِلالها على تلك الجماهير. أجل، لقب «جماهير» يناسبهم تمامًا بالنظر إلى عددهم الكبير.

لقد حلَّ الليل، ودرجة الحرارة تتسارع بالانخفاض. وعلى الرغم من ذلك لم يَتناقصوا! فقط تَختلف الأوجه، فاستنتجت أن البعض يَرحل ويأتي مَكانهم آخرون.

لقد أحضره زَوجته وأولاده مغشيًا عليه، ومن خلفهم هؤلاء! مئات من البشر تسببوا بحالة مِن الفوضى؛ الأمر الذي أثار رَهبة كل مَن في المشفى، حتى استطاع

رجال الأمن السَيطَرة على الوَضع وإخراجهم مِنها، ومنعت عنه الزيارات تمامًا.

عَلِمت بعدها أن هؤلاء هُم زبائن النادل! ما أثار فُضولي وقتئذ ثورة البركان، بلغ فضولي أشده بعدما شاهدتهم للمرة الثانية ليلًا أمام المشفى من نافذة غرفة

النادل بعدما أعطيته حقنته. لم أستطع جمحه أكثر، فانفجر مدويًا:

- ماذا يمكن أن يفعله أحدهم ليجيء إليه هؤلاء البشر وقت مرضه؟!

كلمات قُذفت من فمي عفويًا وما زلت لم أزح نظري عن الجمع، سَكَتَ لوهلة متفاجئًا من طريقة سؤالي، ثم قال ببطء: - لا أعرف ردًا مُباشرًا هكذا لسؤالك يا بني!

وأكمل:

- بإمكاني التوضيح إذا كان لديك الوقت...

- «بالطبع لدي الوقت!»

قلتها لنفسي قبل أن أحضر كُرسيًّا وبلهفة جلست بِجوار سريره. لم أنتظر كثيرًا حتى بدأ حكايته هَائمًا بسَقْف الغُرفة، يَسترجع ذكريات سنوات بَعيدة..

كان طفلًا عندما بدأ العمل مع والده بمطعمهما الصغير. عمل ودرس بالتوازي إلى أن مرض والده وطُرح الفراش، وأصبح هو من يدير المطعم بنفسه ليعول أباه

وأمه، ونتيجة لذلك، اضطر إلى ترك المدرسة بالمرحلة الثانوية.

من أول يوم وعى فيه الحياة لم يقتنع بمهنة أبيه، كان يرى أنه يستحق أفضل من ذلك.. كانت له فلسفته الخاصة؛ يقول إن القليل منا له قيمته بالحياة، وعلى

إثرها يستحق التقدير في الدنيا، والبعض الآخر لا يعدو كونهم دمى بلا فائدة!

ومع الأسف كان يعتبر نفسه وأباه كذلك.

جرت الأعوام وبلغ بالسن وبلغ معه حرجه من ذلك، لم يعترف يومًا بها ولا أدرك لحظة رسالتها.

لم يكن عمره تجاوز الثلاثين حين استيقظ ذلك اليوم متأخرًا كعادته بعد أن لكم منبهه عدة صفعات؛ أملًا بصمت يمكنه ببعض ثواني نوم إضافية. وبعد معركة،

رفع رايته البيضاء في وجه منبهه.. فنهض من سريره مغلق الوجه، سابًّا كلَّ ما يأتي بخاطره، كعادته أيضًا.

وبينما هو يستعد ليواجه سخافات زبائنه كما عبّر.. أخبرته والدته أن دواء أبيه قد نفد البارحة، ولم تجده بالصيدليات، فطلبت منه إحضاره، وكعادته قَبل ذلك

رغمًا عنه، ليس لأنه يمقت أباه، لا.. وإنما لرفضه العفوي في تحمله أعباءً إضافية، والتزامات نفسية فوق ما

عنده.

همَّ للذهاب لمطعمه مُجبِرًا قدميه على السير، فما زال يريد النوم، وفي أثناء ذلكَ دق جرس هاتفه ليفتح -هو- بضغطة زر سيلًا مُملًا من التوبيخ على تأخيره، لقد

كان الاتفاق أن يأتيه الكهربائيُّ باكرًا لصيانة العطل الذي تسبب بانقطاع الكهرباء مرات متعددة. فأخبره الكهربائي بأنه سيأتيه غدًا؛ نظرًا لالتزاماته الأخرى..

وصل مطعمه، وغدا يملأ زجاجات المياه... ملأ بعضها ثم انقطعت المياه..

- «أصبحنا وأصبح الملك للّٰه، لتنشق الأرض وتبتعلني أحسن!»

قالها لنفسه ثم دخل عليه أول زبون، كان رجلًا أنيقًا بأواخر الأربعينات، بدا متزنًا للغاية..

أحضر له النادل طلبه ومعه كوب مياه، ثم انغمس الرجل بعد ذلك في عمل مجموعة من الاتصالات الهاتفية، استنتج النادل مما سمعه منها أنه صاحب شركة،

ويبدو أن بضاعته تأخرت في المجيء من خارج البلاد، لقد سمعه يوبخ أحدهم على ذلك.

بعدها بدقائق حضر الزبون الثاني، فتاة بدت بأوائل العشرينات، جلست وشرعت سريعًا بقراءة كتاب، بدت للنادل أنها مثقفة..

لكنها لم تأت بمفردها، لقد كان هناك من ينتظرها بالخارج، أتى خلفها مباشرة شاب سيئ الهيئة، مثير للشك، نظر للمطعم ولم يدخل، فقط وقف أمامه على

الجهة الأخرى من الشارع، كان يتعقبها، أو هكذا ظن النادل. وبالطبع سبَّبَ له ذلك توترًا شديدًا فوق ما عنده

من قلة نوم وتأخره ثم انقطاع المياه وتوقف الكهرباء الوشيك.

كان بأخدود بين اليقظة والنوم عندما طلبت الفتاة ما أرادت، فأحضره بكسل، والنعاس يغالبه. ظل هكذا حتى سُمع للنعاس كلمة واضحة فاستكان على "نمليّة البوفيه" للحظات باسطًا رأسه فوق يده عليها، قبل أن يطلق الرجل صوتًا رخيمًا: - كوب مياه آخر.. من فضلك.

رد النادل بصوت بارد يشوبه هجين من الاشمئزاز والغضب..

- لا توجد؛ المياه مقطوعة..

نظر إليه الرجل واجمًا للحظة، ثم قال بِحِدَّة:

- ألا يوجد لديك كوب واحد؟ أريد أن أتعاطى دو..

قاطعة النادل سريعًا:

- نعم، لا يوجد كوب واحد!

صمت الرجل للحظات ثم قال:

- حسنًا..

بعدها نادت الفتاة على النادل لتستأذنه في طلبٍ آخرَ، كان مشروبًا، فأحضره لها ومعه كوب من الماء..

حينها سمع الرجل يغمغم:

- واضح... لا توجد مياه!

سمعه النادل فرد عليه بغضب:

- أجل، لا توجد مياه وإذا أردت الشرب فلتذهب إلى الخارج وتبحث عن كوب ماء!

خرجت من النادل تلك الأسهم الصادمة فحمل الرجل

أغراضه ووضع الحساب على المنضدة وذهب. ولكنه نسي حبة دواء كان سيأخذها على الطاولة، لمحها النادل ولكنه لم ينبهه لذلك..

هنا خرجت الفتاة عن صمتها لتقول بصوت حازم:

- لِمَ لم تُعطِه يشرب يا هذا؟! المعاملة هنا سيئة! سيأتي خطيبي وسأذهب من هنا ولن آتي هنا ثانيةً!

برر النادل لها ذلك بأنه لا يوجد مياه إلا للتي تنزل مع طلبات الزبائن؛ فالمياه مقطوعة، فبدا على الفتاة أنها لم تقتنع، فلم يتحدث إليها أكثر من ذلك..

بعد وقت لم يعلم النادل إذا ما كان طويلًا أو قصيرًا نادت الفتاة لطلب آخر، يبدو أن خطيبها سيتأخر كثيرًا..

أحضره النادل ومعه كوب من الماء..

وهنا حدث شيء نادرٌ..

لقد انزلقت الأكواب، وسُكب محتواها على الطاولة...

ابتل كل ما عليها بما فيها الكتاب الذي قد شرعت بقراءته حال وصولها، نهضت الفتاة بسرعة لتتفادى المياه وهي تطلق وابلًا من اللعن!

يبدو أنها ستقابل خطيبها بملابس مبتلة ولزجة...

تركت الكتاب المُبتل ورحلت مسرعة بدون أن توجه كلمة للنادل.

بدون أن تنظر إليه حتى..

لقد بدا عليها..

أنها..

لا تراه من الأساس!

بلمح البصر أصبحت الفتاة خارج المطعم، وكان "سيئ الهيئة" هناك، ينتظرها، فانطلق وراءها مباشرة..

انطلق النادل وراءها هو الآخر ليخلصها من ذلك اللعين، ولكنهما اختفيا عن أنظاره في وقتها!

W

بعد وقت مجهولة مدته تخطى النادل ما حدث مع الفتاة، وقرر الذهاب للصيدلية المجاورة مستغلًا عدم وجود زبائن، ليرى إن كان دواء أبيه نزل بالصيدليات أم

لا.. وقبل أن يغلق باب محله أقدم على غلق الإضاءة بسحب سكينة الكهرباء..

سحبها..

لم يحدث شيء!

رفعها ثم سحبها مرة أخرى..

الإضاءة لم تنطفئ!

أرجع النادل ذلك إلى العطل الكهربائي، هذا هو المنطق الوحيد بشيء عجيب كهذا، فترك كل شيء كما هو وذهب..

رجع من الصيدلية وكان قد وصل حد عنقه من الغضب، الدواء لم ينزل إلى الصيدليات بعد.

لم يكن قد جفف الطاولة المسكوب عليها الطلبات بعد، فانتشل قماشته من مكانها، ووضعها بأحضان طاولته لتقوم بوظيفتها وترتشف البلل. كان كتاب الفتاة ما

زال على الطاولة، انتشله النادل من المياه كعملاق ينتشل جزيرة من وسط محيط، ثم ضرب بعينه أول صفحتين مفتوحتين كذراعين تواقة لحضن قارئهما، نظر

بهما بدافع الفضول، وظن أنه سيجد ممتعًا، قصة أو أي ما شابه..

وهنا..

مفاجأة أخرى..

لقد كان به...

لا شيء..

لا شيء حقًا...

فقط صفحات فارغة، وليتها استمرت فارغة!

على صفحات الكتاب، ومن رحم ذلك العدم انفجرت حروف متراقصة، انبثقت كما انبثق كوننا من اللاشيء. حروف تتراقص.. تتغامز.. تلاعب النادل لعبًا!

وقف النادل بلا حراك واجمًا يفرك عينيه ويزدرد لعابه..

نعم... لقد كانت حروفًا حيةً!

شعر النادل حينها أن أحدهم قد أمسك بعقله وعصره عصرًا ليخرج له كل هذه الترهات، وشعرت أنا أيضًا بذلك عندما قص عليّ ذلك، لم تكن تلك ملامح

شخص كاذب مُلفق لقصة من وحي خياله؛ فقد كان يحكيها وهو يرتجف ويتصبب عرقًا كأنما يعيش ذلك مرة ثانية..

ما سمعت كان ضربًا من الجنون حقًا!

حروف تتراقص! هل شاهد أحد من قبل حروفًا تتراقص؟!

لم يلبث أن خرج النادل من صدمته حتى لُكم الضربة القاضية.. فقد استفاق من وجومه الذي سببته الحروف المتراقصة على شعور قدميه بمياه تغطيها حتى

الركبة!

لم يكن لديه وقت للاستيعاب..

وبعد لحظة تحول مطعمه إلى..

غرفة إعدام غرقًا بالمياه!

أصبح بالكامل في أحضان المياه، يصرخ بدون صوت طلبًا للنجدة..

كانت تلك أولَى صرخاته، هو لا يعلم متى استجمع قواه وأطلقها، وعندما أطلقها.. خرجت صامتة!

مرت أمامه معظم لحظات حياته، كل لحظة قال للحياة لا، كل ثانية قضاها في ذم ظروفه وحياته، قال لي أنه لم يكن لديه شيء جيد يتذكره. أغمض عيناه

محاولًا تجنب تلك المشاعر السيئة مستسلمًا للمياه، متعجلًا لحظة إغمائه حتى لا يشعر بشيء...

W

انحسرت المياه فجأة، طارحة النادل أرضًا كدمية تقذفها طفلة بعد أن ملتها، وفي ذلك الوقت فقد النادل قدرته على التمييز بين الواقع والخيال. فسار بالمكان

صمت يسبق أعتى ريح عاصفة مرت بحياته.. لم يكن يشوب ذلك الصمت سوى قطرات مياه ساقطة على الأرض المغطاة بما يقرب عشرة سنتيمترات مياه حيث

يرقد بلا حراك..

قطع ذلك الصمت صوت عرفه النادل سريعًا...

صوت فرقعة..

فرقعة ماس كهرباء..

هذا الصوت بالتحديد هو من ركله كما وصف من على

حافة المنطق، وأصبح الآن في عالم الجنون. عندما سمع ذلك الصوت؛ رفض أن ينظر إلى مصدره مخافة التيقن من هلاكه..

ثم دوت فرقعة ثانية..

وثالثة..

ثم نظر نظرة خاطفة تجاه المصدر..

فتباطأ الزمن مع الرابعة...

وهنا..

سَبَحَ الموت بالماء وصولًا على جسد المسكين، مسقطًا مطرقةً مطرقة على كل عظمة بجسده..

سُحقت ضلوعه..

تقلصت أعضاؤه..

ثم ابيضت الرؤية تمامًا حتى..

حتى وجد نفسه طائرًا خارج جسده! يشاهده يرتجف بعنف، يرج رج الصرعى، يرى رأسه من بعيد يطاح بيها يمينًا ويسارًا حتى تكاد أن تخلع من مكانها.. ظل

الوضع هكذا حتى احترق جسده واحترق معه كل شيء بالمطعم. كان يشهد كل ذلك كأنه كاميرا معلقة بالسقف، لا يستطيع الحراك..

ابيض كل شيء مرة ثانية لحظات.. ثم انقشع البياض ليجد نفسه بمكان آخر..

إنه الرجل..

الرجل الذي انفعل عليه بالحديث بأول اليوم، كان مجتمعًا ببعض زملائه..

إنها شركة أدوية..

علم ذلك بعدما شاهد الرجل يوبخ زملاءه ضاربًا بيده على المنضدة وهو يقول «لماذا تأخر الدواء؟ هناك من يعانون بسببنا الآن، ليسامحكم الله».

أجل.. إنه هو..

الدواء الذي يحتاجه أبو النادل..

الرجل هذا هو المسؤول عن توفيره بالبلاد!

استمروا بالجدال، والرجل في قمة انفعاله حتى وضع الرجل يده بجيبه؛ باحثًا عن علبة دوائه، أخرجها فوجدها فارغة..

وهنا تذكر النادل الحبة التي نسيها الرجل على الطاولة بعد أن رفض إعطاءه كوب المياه ليتعاطاها..

لم يكن للنادل عين لتتسع، ولا قلب لينبض، ليعبر عما بنفسه.. فقط صرخ بصمت كما يصرخ بلا فائدة بعدما سقط الرجل جثة هامدة.. ليجتمع حوله زملاؤه

قبل أن يبيض كل شيء مرة أخرى!

لحظة وانقشع البياض..

ليجد نفسه بمكان آخر..

إنها الفتاة..

تركض بالشارع...

لكنها ممزقة الثياب، تتلفت يمينًا ويسارًا وعلى جسدها آثار عنف..

لم تكن وحدها..

كان يركض خلفها "سيئ الهيئة".

ما زال النادل يشاهد كل ذلك ولا يقدر على الحراك، كان يشاهد فقط ويكأنه صنم له عينان..

ظلت الفتاة تركض وسيئ الهيئة خلفها حتى كان على الفتاة أن تجتاز الشارع لتنجو منه..

تعبر الفتاة الشارع بسرعة..

و..

ظهرت سيارة إسعاف من لا شيء!

صدمتها.. وأطاحت بها بعيدًا..

تباطأ الزمن، وكأنه يأبى أن يمر ليرحمها من ذلك الألم..

وقع "سيئ الهيئة" على الأرض مما رأى، ولم يكن قد عبر الشارع بعد.. ثم التفت وأخذ بالجري ينظر وراءه.. يبكي، حتى اختفى عن الأنظار..

بعدما شهد النادل كل ذلك، انتقل بسرعة الضوء لداخل سيارة الإسعاف..

ليواجه مفاجأة جديدة..

السيارة تحمل الرجل مسؤول شركة الأدوية!

وهنا تساءل، «هل كل ذلك يحدث له حقًا.. هل استحق كل ذلك؟»..

تأخر على الكهربائي وكانت النتيجة موته صعقًا بالكهرباء، رفض إعطاء كوب مياه لرجل مخافة على رزقه، فمات الرجل المسؤول عن توفير دواء أبيه قبل أن تصدم

سيارة الإسعاف التي تحاول إسعافه فتاة بريئة. الفتاة.. الفتاة التي لاقت معاملة سيئة، ورحلت مبكرًا قبل قدوم خطيبها فتم الاعتداء عليها ولاقت حتفها لاحقًا!

كل ذلك بسبب غضبه وسخطه وإهماله...

ابيضت الرؤية..

ثم انقشعت مرة أخرى، ولكن هذه المرة...

كان لديه جسد، تحسسه ثم نظر حوله... إنها المقابر بأرضها المتربة. كان يسير بين جماعة من النسوة ترتدي ثيابًا سوداء، يطلقون نحيبًا على أحدهم، عرف النادل

من هو منذ الوهلة الأول، بالتأكيد هو من مات. إذ إنه يسير بينهم ولا أحد يراه، بالإضافة لأنه قد شاهد موته منذ دقائق، إنه مجرد روح خبيثة تسير بالأرض..

لمح أمه جالسة على القبر تبكي، ثم نظر حوله باحثًا عن أبيه فلم يجده. وهنا نظر إلى القبر فوجد اسمه وفوقه اسم والده! لقد توفي والده أيضًا! ولكن بعد مرور

شهر على موته، لقد تُوُفِّيَ لعدم توفر الدواء بسبب موت الرجل المعني بتوفيره!

ركع النادل على ركبتيه بمكانه خلف أمه مطلقًا بحرقة صرخةً من الأعماق: «يا رب.. يا رب.. لمَ كل ذلك؟ ماذا فعلت لكل ذلك!»..

وهنا حدث ما لم يكن يتوقعه..

لقد سمعت أمه ذلك!

متسعة عيناها نظرت إليه نظرة غضب، رجع إثرها النادل إلى الخلف فزعًا.. كان يبتعد وتبتعد هي الأخرى، كل شيء كان يبتعد.. كأنه جالس بمركز دائرة وجميع

الموجودات تبتعد عنه. كل شيء يدور.. حتى أصبح الظلام سيد المكان، ثم عم الصمت ثانيةً.

انقشع بعض الظلام بظهور مصادر للضوء.. ضوء ساطع..

تتجلى من جهات مختلفة، أخذ النادل يلتفت وشعيرات جسده تقف انتباهًا لها..

كانوا يقتربون عليه..

يقتربون أكثر...

إنهم أمه وأبوه والرجل والفتاة يحملون مصابيح، يبكون، يبكون بحرقة وينظرون إليه نظرة قاسية..

ثم أتى من بعيد ضوآن آخران. أناس أخرى لا يعرفها...

يبدو أنهم يعرفون الرجل والفتاة...

أحدهم ولد صغير تشبث بيد الرجل، يبدو أنه ولده، يبكي بحرقة وينظر إلى النادل..

والآخر خطيب الفتاة، كان يقف بجانبها ويبكي بحرقة..

ثم تبعهم مئات من الناس تبكي وتنظر له بغضب وهم يطوقونه..

أصبحوا آلافًا..

أصبحوا لا يُعَدُّون..

كلهم ينظرون إليه..

ثم صمت الجميع فجأة، توقفوا عن البكاء، ليأتي باكٍ آخر من بعيد..

اقترب أكثر وأكثر..

أفسح الجميع له الطريق..

إنه.. إنه هو.. إنه النادل نفسه!

- كوب مياه آخر من فضلك.. أنت يا بني ألا تسمع؟!

استيقظ النادل على صوت الرجل ليجد نفسه ما زال بالمطعم، باسطًا رأسه على "النملية".. لقد كان يحلُم!

كانت تلك أعظم لحظات حياته، وأكثر وقت خفق فيه قلبه، هنا علم أن الله أعطاه حياة جديدة، علم بتلك اللحظة قيمة حياته، وقيمة عمله، عرف أنه لا يوجد عمل ذو شأن قليل، وأن أسمى عمل بالحياة هو مساعدة الآخرين؛ خدمة غيره للوصول لأحلامه، ما أرقاها وظيفةً! جَعْلُ الآخرين سعداء، إنه المعنى الأعظم للتصالح مع النفس.

أتى النادل مسرعًا بكوب الماء وظل ينتظر الرجل حتى يشربه لدرجة إنه سأله: «لماذا يقف على رأسه هكذا!».. فأخبره أنه يطمئن على أنه سيأخذ دواءه، فتعجب

الرجل وأخبره أنه ليس بمريض! اعتذر له النادل وذهب إلى خارج، إلى (سيئ الهيئة)، نادى عليه وطلب منه الرحيل، الحقيقة أنه لم يقبل، ولكن النادل تعامل مع الموقف بحكمة، ولم يقبل أن ترحل الفتاة حتى يأتي خطيبها...

هي لم تطلب الرحيل أيضًا..

ولكن خطيبها أيضًا لم يأتِ..

لقد كان زوجها وأولادها، لقد كانت متزوجة!

W

بعدما رحلوا جميعًا بسلام وبعدهم بقية الزبائن الذين أتوا على مدار اليوم، هاتف النادل والده واطمأن عليه قبل أن يذهب إلى الصيدلية ليجد الدواء المطلوب، كان سعيدًا لأقصى درجة ممكنة عندما انتهى اليوم، وذهب بالدواء لأبيه ليجلس باكيًا بين يدي أبويه.

انتهى اليوم تمامًا بوعد للكهربائي بأنه لن يتأخر ثانية في الغد.

كانت تلك قصة النادل الذي سُخِطَ فراشة، والذي شهد جنازته مئات من البشر، يسيرون في حبه، متذكرين مواقفه النبيلة مع كل فرد منهم على مدار أكثر من ثلاثين عامًا من العمل بمهنته.

W

إبراهيم

(هدي الغرواي)

صراخ يقطع أحلامي، أستوقف كلّ ما حولي لأتذكّر واقعي جيدًا، امرأة بدينة لا أميّز ملامحها سوى شفتيها الغليظتين، ودم يملأ ثوبها الوردي؛ تركض لا أعرف إلى أين.. أو ربما رأيتها سقطت، أحدهم ينادي: إبراهيم.. إبراهيم..

هذا كلُّ ما أتذكّره قبل أن تتكفّلني الشوارع، ربما كان الصراخ مخاضًا حضر أمّي في تلك الساعة؛ وأنا طفل يأبى أن يموت لأنّه لا يفقه صمت القبور، أو إنّه صوت ملك الموت وهو يقبض روحها ليسلمني هبة للتشرّد.

أخذتني امرأة عجوز في فمها سنّ واحدة تتأرجح حين تريد التحدّث، كأنها سجين لا يريد الخروج من زنزانة مشرعة، اشترت لي بعض الحلوى ولفرط سعادتي نسيت أنّني لست ابنها، ذهبت بي إلى طريق يطول وصفه، أدخلتني غرفة يمكثُ فيها فانوس معلّق من رقبته إلى السقف؛ وصنبور ماء كأنّه عجوز لا يستطيع إطباق شفتيه بشكل طبيعي، هناك في زاوية الغرفة

أوانٍ متّسخة وملابس بالية كأنّها جثث بعضها فوق بعض.

اصطحبتني معها في اليوم الثاني إلى شوارع مزدحمة، كان الجو يجعلني أرتجف؛ ملابسي ممزّقة، والسماء أقرب للبكاء، أتذكّر لون البرد يخرج من فمي على

شكل بخار أبيض، أجلستني على الرصيف وجلست هي قربي تتسوّل؛ حتّى ملأت صرتها بدنانير أناس يستجدون ضمائرهم حين تكسرهم نظرتي فيظنون أنّهم

على خير.

W

مرّت فترة طويلة وأنا مع العجوز التي تلوك شفتيها مع الأكل، ذات صباح لم توقظني لأذهب معها، حرّكتها لكنّي لأوّل مرّة أفكّر بماذا سأناديها، أزحت الغطاء

لأنطق كلمة أسمع الأطفال والشعراء ينطقون بها..

(يمّه.. يمّه..).

ركضت إلى الشارع وأنا أبكي، لقد ماتت دون أن تسألني من أنا، رحلت لأكون وريثها في التشرّد، أناس لا أعرفهم حملوها واختفت عن ناظري.

سألني أحدهم: هل أنت حفيدها؟

وقتها لم أكن أعرف معنى الحفيد، ولا أعرف أن من حقّي الكلام مع الآخرين، كلُّ ما تعلّمته أنّه يجب عليّ أن ألزم الصمت في حضور الناس، تركني وهو يقول لا

حول ولا قوّة إلّا بالله.

ذهبتُ إلى الشارع وجلست في المكان الذي كنّا نجلس

فيه معًا، لكن هذه المرّة لم أمدّ يدي؛ بل كنتُ أتأمّل المارّة، علّني أعرف بماذا أختلف عنهم؟!

سأكون ابن هذا الرجل الذي يجلس في سيارته بانتظار السماح له بالمرور، وأنا خلفه أخرج رأسي من النافذة وألوّح للأطفال بيدي؛ لأنّي أملك أبًا جميلًا مثلهم

يحبُّني ويشتري لي الملابس والألعاب، ثمَّ يجلب لي الحلوى ويحملني على كتفه، لكنّي أرفض ذلك لأنّي أستحي أن أكون على صدره وأنا بهذه السن، كان عليّ أن

أحلم بأدب..

فجأة.. أشار إليّ صاحب السيّارة وهو يبتسم بوجهي.. هل سمع أحلامي، ماذا يريد منّي، وضعت سبّابتي على صدري لأتأكّد من أنّه يقصدني، فهزّ رأسه وهو

يقول: تعال تعال..

نهضت؛ نزلت من الرصيف حتّى وقفت جنبه، أخرج لي مبلغًا، رفضت أن آخذه.

عمو ما أريد أنا ما محتاج.

أنت وين أهلك؟

ما عندي أهل..

وضع يده على جبينه ثمَّ نزل من سيّارته، أمسكني، تمنّيت أن يحضنني لكنّه لم يفعل قال لي: ابق في هذا المكان سأعود إليك بعد قليل.

W

شعرت بالجوع وأنا أنتظره على رصيف يضجُّ بالفقر، عاد الرجل من جديد، أجلسني داخل سيّارته لكنّي كنت

خائفًا، وبعد أن اشترى عصيرًا؛ أخرج لي مبلغًا: هذا مبلغ بسيط لك، وفي هذا الصندوق بضاعة تستطيع أن تبيعها على هذا الرصيف.. لا تمدّ يدك لأحد فأنت إنسان والإنسان له كرامة، وهذه الكرامة كالزجاج

إذا انكسرت لا تستطيع أن تعيدها كما كانت..

إلى هذه اللحظة وأنا أحفظ ذلك الرجل في نفسي، أدرك ما قاله جيدًا، لم أعد بعدها أمدُّ يدي إلى الناس، فارقت شوارع الذل وأخذت أشتغل في (كراج النهضة) عدّة سنوات، أبيت في تلك الغرفة التي ورثتها عن عجوز لا أعرفها.. حتّى جاء القدر ذات ظهيرة برجال يرتدون زيًّا بلون أخضر قاتم، تستطيع أن تميّزهم من

شواربهم، تلك التي تشبه إلى حدٍّ كبير (قوس بغداد)، أخرجوني منها بالقوّة بحجّة أنّني لا أملك هويّة وهذا المكان ليس من حقّي.

بلغتُ سنُّ المراهقة، اشتغلت منظفًا في شارع (المُراد) في منطقة الكاظمية، أكسب أجورًا زهيدة وأبيت في صحن الإمام الكاظم، لم أمكثُ إلّا لفترة وجيزة لأنه كان

مكانًا يدور حوله عقارب الحكومة وخشيت أن يمسكوا بي لأنّي لا أملك أي مستمسك يثبت هويّتي.

بعدها جئت إلى هنا في شارع المتنبي بقيت أعمل (حمّالًا)، كلّ شيء يوحي إليّ بالذكرى، وكل ما حملته لم يكن أثقل من تعاستي حين عشقتها؛ تلك فتاة إن رأيتها

ستشعر باليتم حقًّا ولو كنتَ في كنف أمك وأبيك، تودُّ لو تضمُّك إليها أبدًا أو تضمّها أنت؛ ثمَّ تغمض عينيك، عوالم الكتمان أفضل لغة لفهمها، كأنّها حمامة

تُحلّق في فضاء صدرك، لا أدري أنّني سأكون سيّئًا كذلك الخادم الذي أحبَّ أميرة ولم يحظَ في نهاية المطاف إلّا بحلم أفزعه من ظلمة الليل.

W

بقيت أتعذّب بحبّها دون أن تعلم، يأخذني الشوق إليها فأترك عملي لأمكث وحدي أمضي في أزقّة هجرت، بيوت كالأرامل ترتدي الحزن وتوصد أبوابها خوفًا من أن يدخلها رجل آخر، هناك أبوح بحبّي أمام نافذة ربما كانت تقف عندها فتاة تنتظر حبيبها أن يرجع من الأسر في حلم ما... أدخلتني في متاهات لم أفكّر أنّني ولدت فيها، ودلّتني على جنّة خلد ذات ضياع لا ينتهي، كم أتمنّى لو كانت ملكي، أتساءل كثيرًا كيف للمرء أن يدّعي الصبر دون أن يمرَّ بعذاب العشق.

حين أسمع وقع خطاها تنتزع الروح من جسدي رويدًا رويدًا.. أدرك أنَّ للعشق لغتين لغة الحياة والموت، لا أدري لماذا أشعر بحقيقة الجنون حين تمضي، لأظل أنا كلوحة تابوت تنتظر جنازة تلقيها في باطن أرضٍ لا تتكلّم.

بعد دخول المُحتَل إلى بغداد انقطع عنّي طيفها، هنا تجلس، هذه آثار خطواتها، وهناك تتكئ لتقرأ كتابًا، أحسد كلّ شيء تلامسه، وأعترف أن العشق نبيّ أنكره البعض رجمًا بالغيب؛ ليوهموا أنفسهم أنّهم على فراق.

W

تراكمت عليّ الأقدار، قُتلت أحلامي برغم أنّها لم تكن تحلّق إلّا في ظلام، وكنت أنا كمطر يهوي إلى الأرض فقط.

أصبحتُ الآن في سنّ يأوي الموت في حضرتها، مرضت وانتكست حالتي الصحيّة، ضعف نظري أكثر من السابق، لا أملك المال الكافي للعلاج ولا يحقّ لمثلي أن يفكّر
بذلك.
عندما أسير كان عليّ أن أتلمّس جوانب طريقي، أتعثّر في عربات الكتب، أتلفتُ عدّة مرّات، بضاعة معروضة للبيع، أحيانًا عندما أسقط أسمع كلمات تخلف فيّ
جرحًا أطول منّي عمرًا.
قرّرت أن أبقى في مكاني هنا، أعيش في فرع ضيّق لا يسع سوى ذاكرتي، وقطعة من السماء لا أستطيع رؤيتها، أبيت مع أشباح الموت، أسمع لهاث الليل وصخب
النهار، أحلم بالحبِّ وحدي بين تشرّد أعمى وجدران لا تفقه معنى الرذيلة أو الحسنات، تصمُّ آذانها عن كلِّ شيء في جوفها، طرق خرساء ستظلّ تمضي دونَ أن
تلتفت إليّ، بعضهم يقدّم لي ما يسدّ جوعي، لا أنتظر سوى المجهول يدور حولي وأنا أتخبّط في ظلام، تجاوزتني الدنيا لتلقيني هنا بعدما فقدت ناظريّ، لا أعرف
سوى أنَّ اسمي إبراهيم.
W

غلبت أصالح في روحي!

(محمد عبد الرحمن)

وغلبت أكلم في روحي.. وغلبت ألملم في روحي..
وغلبت أنفخ في روحي.. وهي زي قربة مخرومة..

مافيهاش رجا..

غلبت وتعبت..

لكن معلهش! بكرة يبان الصيف من الشتا!

بكرة يا ست ثومة نلاقي الحظ.. ونعوَّض اللي فات..

بكرة نفتح الشباك على آخره.. ونجيب أعلى ما في صوت الراديو..

ونونِّس الحيارى بحسك اللي مالهوش زي!

W

لكن النهار دا لأ.. ماينفعش.. البحر قالب وشه.. والنوة سانَّة سنانها..

الهوا طايح يمين وشمال.. زي ما يكون نفس مارد ملعون وطالع يقلب الدنيا فوق راس الكل.. اللي بيقول آمين قبل المغضوب عليه.. الشبابيك فضلت تخبَّط

وترزَّع.. خلعتني من قلب فرشتي خلع.. بالعافية قفلتها وشديت عليها المشمع وزنقته في الحيط.. خفت حد من العيال ياخد له لطشة برد تكوِّمه.. وأتاري البت

رحمة بنت الكلب اللي حسي انقطع معاها تتنيل تلبس بنطلون قبل ما تنام.. لإنها ما بقتش لسه صغار.. ولإن الغطا مع فرك الأفاعي بتاعها بيتحاش من على

جسمها المدعوق.. ولإن أخوها حسن شنبه خط ف وشه وبقى راجل...

أتاريها ولا سمعت لي كلمة!

ومهما قلتِ يا ريسة هي مصدرة الطناش.. يا بتكسل يا بتكيدك!

وإنتِ ياما ماينتي وكنتِ بتاكليها بمزاجك! لكن النهار دا

بالذات لأ.. وألف لأ..

ويا أنتِ يا هي بنت العويل دي!

قومتيها مفجوعة على قرص لابالبيها العريانة وشد الشعر اللي طلع نصه في إيدك والكفوف اللي علمت بالأزرق على وشها ورقبتها.. والواد بسلامته ما عجبتهوش

قسوتك وجبروتك.. كان بيبرطم وهو راجع لكنبته بعد ما طلعت روحه وهو بيحوشك عنها..

حيقول إيه عليكِ غير إنك زي الوز حنية بلا بز!

أمهم آه بس مرة راضعة دم ترسة.. قاسية وبنت ستين كلب؟!

وإنتِ يعني حتردي عليه بايه غير إنه واطي ودون وما يسواش قشرة بصلة زي أبوه بالظبط؟!

تفِّيتِ على الأرض وراه وخدتِ لك جنب.. ما اتحركتيش من مكانك إلا على صوت الشباب السهرانين في الشارع بيقولوا لك تلحقي الزفت إيريال التليفزيون اللي وقع

من فوق الجدار وشال في سكته المنشر بالغسيل اللي عليه.. الغسيل اللي طلع عين أمك فيه! بجملة القرف.. من تاني حتعيديه زي البُلغة القديمة!

وهو أنا ح ألحق ألمه قبل ما يتطيّن وخيبته تكبر؟!

ما أظنيش!

W

الباب تقيل ومفصلاته دايبة.. والخرقة اللي حطيتها تحته تصد الريح وتقطع رجلين ضيوف آخر الليل الغلسين

تقلته أكتر.. وأعملها إيه؟! ولو كنا في بؤونة الحجر
ماكنتش حاشيلها! سيبك من الصراصير والأبراص.. الفيران كترت قوي.. بقت بتخرج من جحورها في عز الشمس فشر القطط.. لا.. قطط إيه؟! فيران اليومين دول
بقت بتتنطع فشر أجرب كلاب! ديك النهار وأنا بافرش كان فار قد الداهية بيجري ورا قطة.. منفوخ زي شجيع السيما وهي العبيطة بنت العبيطة خايفة وواخدة
ديلها في سنانها.. أنا فطست على روحي من الضحك.. قلت أما بجاحة يا ولاد! وعم قباري المجنون قال إيه وهو بينزل مشاريب القهوة سمع طراطيش كلام إن
الحكومة طالقة جيش الفيران دا علينا علشان ترازينا وتربينا.. وسمع كمان إنهم حيعملوا مظاهرة قدام المحافظة ويقوموا الدنيا.. على إيه القلابان دا كله؟! الطيب
أحسن وكلها محصلة بعضها! وأهو الحال أرحم من اللي عملوه السنة اللي فاتت ولاد المجنونة.. أفندية الجوامع الجديدة.. مشايخ آخر زمن!
ما أعرفش حمار مين دلَّهم على الفكرة الملعونة.. قال إيه يرشوا السم على كل ناصية وكل خن كأنه ملح! عنها وكانت ليلة غبرة ومقندلة! صبحنا والعفونة ضاربة
مننا فينا.. يجي ألف فار جتتهم ملقحة في مداخل البيوت والمناور وعلى الأسطح.. وأنا ساعتها قلت دا باين له طاعون حيشيل ولا يخلي.. حيكنس كنس!
صليت لربنا ركعتين يفكوا الكرب ودعيته يلطف بينا..
صليت وقعدت في الركن أسبَّح واستغفر..

وقلت يا ترى مخبية لنا إيه تاني يا دنيا دنية؟!
ناقصنا إيه؟!
W
نومة ما نقومش منها؟!
توهة ما تعرف رجوع؟!
وهي اللي زيك حتروح لفين؟! دا إنتِ الهم فوق دماغك مطرح ما حتكوني..
شيلي يا عزة حُطي يا عزة.. جيبي يا عزة ودّي يا عزة!
ملعون أبو عزة للي جاب أبوه.. زرعها في أرض بور ولا سقاهاش غير المر العلقم!
لكن على إيه الهري والغم دا كله؟!
على هلاهيلك اللي إتمرمغوا في الوحل على غفلة ما حصلتش من أيام أهل الكهف؟!
على القرف اللي عمره ما حاوط جنابك من كل ناحية غير قبل كام ساعة بس؟!
ما كل دا ضلك وأنفاسك اللي صابرة عليهم صبر أيوب!
إنتِ اللي شايطة بزيادة.. جواكِ نار لا بتهدا ولا بترحم! عايزة تاكل وبس..
بطلي لف ودوران يا أم العيال!
عيالك غلابة والهم مكفّيهم ومكيّفهم!
واللي طير النوم من عينك ورشّ الشوك تحتك وماخلاكيش تفردي ضهرك ساعة واحدة في ليلك الطويل كان ولا حاجة.. كان بسلامته سي رميو.. العاشق الموكوس

ابن الموكوس!

إيه فكرك فجأة بكيسة الهدايا الحمرا اللي دافساها ورا الدولاب ليكِ سنة وأكتر؟!

حنيتي لهدية حبيب القلب اللي اتمحَّك زمان وجابهالك من غير مناسبة؟!

ضحك بسنانه المهتمة وقال لك عربون محبة لأجدع ست في الدنيا!

وخدتيها منه وإنتِ عليكِ سهم الله.. فرحانة ومكسوفة فشر بنت ستاشر سنة!

أهو طلع بيَّاع كلام! بيغنِّي على كل من هب ودب..

وكنتِ بخيبتك القوية بتقولي عليه غلبان؟! دا يغلب بلد بناسها! السُهن المستموت!

لا.. وقلبك إتخلع لما شفتيه مدلوق على البير وغرقان في دمه؟! إيه الحنية دي كلها يا ست؟! من إمتى؟!

من يوم ما رجله المهزوزة حطت في المكان وشفتِ طلعته البهية؟!

لا.. من يومك!

W

وإنتِ كنتِ زي الخيال.. جلد على عضم! لا حد عارف لك وش من ضهر!

لكن في عين الكل كنتِ جميلة.. جميلة جمال الروح.. وكنتِ تتحبي بجد!

إيه اللي خلاكِ تستعجلي وتبصي تحت رجليكِ لحد ما إتكبيتِ على بوزك؟!

قعدتِ يا خايبة تحبي على روحك مستنية الشاطر

حسن.. وفي الآخر وقعتِ في راجل ندل معندهوش نخوة ولا قلب! أول ما شفتيه لاقيتيه طول بعرض وعليه

هيبة.. قلتِ دا السبع اللي حيحميني ويعوضني اللي فات! ويا دوب سواد أول ليلة جنبه وكنتِ فاهمة اللي فيها.. بصيتِ عليه وهوة مفرفر زي دكر البط المدبوح..

وفهمتِ إن اللي ما رضاش بالخل حيرضى بشرابه! أصل راجلك العترة طلع دلدول وماشي بشورة صاحبة الشورى.. أخته القراشانة حكمت عليه تبيّت معاكم في

المطرح.. الأول ماكنتيش فاهمة ليه؟! وبعدين عرفتِ إن الهانم وقفت على راسكم لحد ما شافت بعينيها منديل براءتك! طب كانت تستنى لحد ما تيجي أمك وأمه

في الصباحية! وهوة لسه في حد بيعمل كدا؟! دا حتى الأرياف والصعيد الجواني إتمدنوا! بس تعملي إيه في اللي بيسلم دماغه للوسواس الخناس؟! قال إيه أخوها

اسم النبي حارسه السيد طيب ورقيق.. ابن ذوات!

أما إنتِ دايرة وتتفات لك بلاد! إنتِ بنت سوق.. بنت كلاب!

حقك بقى لما جيبتيها من كومة شعرها في ساعتها ورميتيها على السلالم وعرَّفتيها إن اللّه حق..

وأهو سبحانه! خلى طاحونة الأيام لفت وسيدة دي بالذات بقت تشهد لك وتبصم بالعشرة..

لكن بعد إيه؟!

بعد ما أخوها خاب وساب صنعته.. رهن العدة وقفل الورشة وقعد في البيت يعدِّد زي الولايا؟!

والا بعد ما جرَّبت المر وفارقت هي كمان؟!

بعد ما راجلها اللي مش راجل إتجوز عليها وسفها وراه

تراب محاكم البلد من غير ما تطول حق من باطل؟!

صحيح يا ولاد الإيام دول!

وإنتِ إمتى حتكون دولة إيامك يا معدولة؟!

W

(حتى الزمان اللي كان عطفك يعيني.. يعيني عليه..

خلاني أرضى الهوان وأسلِّم الروح إليه!)

W

وبرغم كل الشقا والعرق وطلعان الروح والدين مع زباين آخر الشهر الفلسانين.. صوت الست في العصاري بيوصلك نسيم من الجنة.. همس بيسري بالسحر

لاجل يطري على القلب ويرحمه من صهد المناهدة والمعافرة.. حلاوته بتخلي البني آدم يحس إنه الوحيد اللي عايش والباقي كلهم مساخيط بلد النحاس اللي كانوا

بيحكوا عليهم في الراديو زمان.. اللي لا عاشوا ولا ماتوا!

بس هوة يعني صوت ثومة كان أول مرة يتسمع ويتحس في عصريتك البمبي دي؟!

صوت الست له دلاله ف كل وقت يا فالحة.. إنتِ اللي بقيتِ مسهوكة حبتين!

بتهربي من سماعه بالليل وبتخافي جسمك يقشعر قدام العيال وتتفضحي..

والا تكونيش صدقتِ إن جتتك نحَّست بجد؟!

صحيح إنتِ شاربة كاس الهم المعتق لآخره.. حياتك بكرة خيط إتكرت على مفيش.. ويوم بيوم لا ليها طعم ولا فيها ملامح.. وصحيح إنك عايشة للزعيق والضرب

والشتايم؟!

لكنك ما سلمتيش وغرقتِ في البر اللي حسبتيه أمان!

وبعد السنين ما بدلِّت ودبلِّت لاقيتِ روحك من تاني محبوسة ف خانة اليَّك!

حب يا خايبة؟!

حب يا نيلة!

وحتى لو كنتِ عضم ف قفة.. حقك! وتحطي صباعك في عين التخين وتدغدغي دماغه بقعر مداسك! لكن مالقيتيش إلا فاروق سكالانس! القهوجي اللي الزمن أكل

عليه وشرب لما قال يا كفا؟! طب إيه قولك بقى ف نايبته القوية اللي الخلق من صباحية ربنا مالهاش سيرة غيرها؟!

من غيظك كنتِ حتشمري دراعاتك وتلمي ديل جلابيتك في سيالتك.. وتقفي في وسط الحتة تقولي للكل: إتلموا يا اللي مافيكمش راجل وأرجل ما فيكم مرة!

لكنك سكتّ! ولا اللي لزقوا بقها بغرا أمريكاني!

ريقك كان ناشف صبار.. وعرقك تلج.. دوختِ وإنتِ بتسمعي فضيحة حبيب القلب..

وروحتِ تايهة تطلعي بضاعتك.. وإنتِ لا عارفة يمينك من شمالك..

يومك عدا بسنة.. وشفتِ جهنم الحمرا ولا جبر خاطرك مخلوق..

على العصرية نفضتِ قلوعك.. والست اللي كانت واقفة ليها ربع ساعة بتفعص في الطماطم قالت لك خضارك

النهار دا ماله دبلان كدا ليه؟! كنتِ حتطيري راسها بكفة الميزان! وهي اختصرت ومشيت قبل ما لسانك يقطع هدومها ولحمها.. قالت لك روَّحي أحسن لا تعمليلك مصيبة! روَّحي يا أم الرجالة!

كان عندها حق...

لميتِ الفرشة طوالي وسحبتِ روحك على البيت..

عاوزة تنامي؟!

دا بعدك!

W

الفكر حيسلسلك من فوقك لتحتك.. ويسلمك من بير غويط لبحر مالهوش قرار..

مين اللي طلع عليكِ "أم الرجالة"؟! مين أول حد نده عليكِ بيه؟!

ما تعرفيش!

سوق الدخيلة كله قال دي بت جدعة بمليون راجل.. تقف على الفرشة من طلعة الشمس لمغيبها لا تكل ولا تمل.. تنقي بضاعتها من الوكالة بالنظرة والإشارة.. لا تاجر غلبها ولا عمرها شالت قفص بايظ ومتلفق!

لا ليها ف الفصال ولا تعرف المحايلة..

تترمي البحر متكتفة ف عز الضلمة وتطلع راكبة الجني مش هوة اللي راكبها!

كلهم وقفوا جنبك.. وقفات أخوة وجدعنة.. لما جالك الخبيث ورقدتِ في جمال عبد الناصر لحد ما شيلتِ صدرك.. بالورم.. بالهم.. محدش من أهلك الأندال

أتحمل قرش صاغ تكاليف.. السوق كله محل محل

وفرشة فرشة دفعوا ورفضوا ياخدوا منك ميلم أحمر بعد ما خفّيتِ ورجعتِ وقفتِ على رجلك ف فرشتك

وسطهم!

الناس طول عمرها بتحبك يا بت.. إيه بس اللي جرالك وخلى عفاريتك حاضرة!

حتقولي الناس بقت وحشة وبوشين وبتاكل بعض من غير ما تسمي! حتلفي من آخر الداير وتدوري بالموضوع على بسلامته سكلانس؟! حتقولي سكتوا على ظلمه

وضربه ورميته زي كلاب السكك؟!

بس هي الناس كانت أجرمت ف إيه؟! البيه هوة اللي غلطان وعايب!

والمثل بيقول الله يلعن أبو اللي يجيب سيرة الناس؟!

لا.. الله يلعن أبو اللي يخلي الناس تجيب سيرته!

الدني الطفس أبو عين زايغة مايملاهاش إلا التراب!

رايح يتمحك بالبت الساقعة الفاقعة دي؟!

لبنى اللي ماكنش حد بيغيته من نابها الأزرق غيرك إنتِ؟!

خليه يشرب.. قال إنها بتفتري عليه ومشي من سكات ومن ساعتها والحوار داير على إنه عاكسها واتهجم عليها وهي قاعدة لوحدها في الصيدلية بترص الدوا..

وأهلها طبعًا ضربوه وعدموه العافية.. طفحوه الدم وأدبوه.. وهوة قال إيه صلب طوله بالضالين ورفع أنفه للسما وشكرك على سندته وقال أنه حيجيلك وقت

تاني؟! دا لو إتجدعن وهووب ناحية مدخل الحتة الناس حتاكله بسنانها أكل.. بس وإنتِ مالك؟! سيبك منه

وخليكِ في حالك..

إنت لا فيكِ حيل للعب ولا عندك وقت للتسالي!

الجو بقى أهدا؟! الريح نامت والبرد خف!

وإنتِ لسه بتستحلي القعدة المستخبية ورا الشباك؟!

لازقة فيه من وإنتِ طولك شبر.. لابدة ورا الضلفة زي قطة مبلولة.. كارهة القضبان اللي مانعاكِ تهربي للوسعاية وتلعبي مع الصبيان.. دلوقت شباكك مافيهوش

حديد ولا غيره..

شباكك مفتوح يا عزة.. ليه بقى فضلتِ محبوسة؟!

W

بقى يعني مش عارفة ليه؟!

حياتك دارت بالطول والعرض.. لا عرفتِ تحبيها بالعافية ولا نفع تفهميها بالذوق! أيام عدت عليكِ كنتِ عاوزة تقفي في وش الدنيا وتقولي كلام كبير ويودِّي في

داهية.. وطبعًا انكتمتِ كتمة الفول المدمس! وأيام تانية فضلتِ تهلفطي بأي هري والسلام.. لحد ما حسيتِ نفسك منفوخة زي الحلاليف اللي كنتِ بتجري وراها

مع عيال كوم الناضورة من خرابة توما لأول داير البحر..

عيالك قدامك أهم.. ذلّاهم بالليل والنهار على النومة والهدمة واللقمة..

البت ملامحها إتشوهت على إيدك..

والواد بصته لازقة في الأرض ونفسه يا حبة عيني دايمًا مكسورة..

شايلاهم فوق دماغك وزاعقة ليه؟! كأن هما اللي جابوا

لك أبوهم مش إنتِ اللي جيبتيه ليهم!

فين زمان لما طبقتِ عليهم بسنانك علشان مايضيعوش وخفتِ عليهم من الهوا الطاير؟!

لا رضيتِ بجوازة تقهرهم ولا قبلتِ برفقة تفضحهم!

وكنتِ تقولي في سرك العيال ذنبهم إيه؟! دول لساهم صغار.. ملايكة خرص..

والزمن مسيره يعوَّضك بيهم خير..

ليه دلوقت قلبتِ زي النوَّة الغبية اللي جاية بعد أوانها بأوان؟!

ليه بقيتِ تفتكري كلامك القديم وتتمسخري وتقولي بلا هبل؟!

بتقولي حيعملوا لي إيه يا حسرة؟! حيحوشوا عني الهم والا الموت؟!

صحيح اللي جاي يا بنت الحلال مش قد اللي فات.. والمكتوب مفيش منه هروب!

لكن أهي عيشة وانكتبت عليكِ زي ما انكتبت على غيرك..

سلمي أمرك لله تسلمي!

والعاقلة يا ست زوزَّا إن جالها الغصب تاخده بالجودة!

W

بس بذمتك فيه عاقلة تعمل عملتك دي؟!

طقت ف دماغك الجنّونة يا أنعورة يا اللي أبوكِ الكلب ورّثك نشفان الدماغ والعند اللي يموت!

لبستِ هدمتك وغطيتِ راسك ع الكام شعرة اللي فاضلين من الكيماوي..

وفوريرة طلعتِ تاخدي أتوبيس موقف المحكمة اللي رايح المحطة..

إنتِ عارفة كويس البيت اللي فيه أوضة المعدول فاروق هناك..

مدخل السوق من آخر شارع عبد المنعم..

الأتوبيس كان فاضي وهواه نضيف.. وقعدتِ في كرسي براحتك وبصيتِ على البحر كأنك بتشكي له!

فتحتِ الكيسة الحمرا إياها وبصيتِ على الطرحة الموردة أم ترتر وتطريز غلس.. والجزمة السودة أم توكة دهبي على شكل قلب.. صح كدا! هي دي عدلتها.. قلبك على الجزمة!

لكن وحياة من خرطك ست وسوَّاكِ بميت راجل.. حتضربي باب أوضته برجلك فشر المخبرين.. وترمي له هديته الخايبة ف وشه.. لا تلزمك ولا تشرفك.. خصوصي وإن مفيش بينك وبينه حاجة!

وبعدها تسيبيه من غير لا سلام ولا كلام..

تنزلي تشربي كوباية عصير القصب المعتبرة عند الصعيدي..

وتطلعي من هناك على الوكالة تجيبي أحلى بضاعة فيها..

اللي يسعده حظه النهار دا وياكل من خضارك حيحلف بحياتك.. بحياة أم الرجالة!

وإن كان على اللي كان.. معلهش.. بكرة يبان الصيف من الشتا!

W

كيد الذاكرة

(شهرزاد دوس)

حتمًا لم يكن نهارًا مناسبًا لمغادرة البيت، الشائعات تتجول بين جموع الناس، وتقفز من شخص لآخر كطرد بريدي مستعجل، دون أن يكلف أحد نفسه عناء

فتحه، والتحقق مما بداخله، نهش أعراض الناس هواية منتشرة هذه الأيام، والكل يتلذذ بمضغ قصة الأسبوع، قصة شهية فيها من العفن ما يغري كل نفس

حاقدة، تتعطش للنيل من شخص مثله.

لا يجوز الخروج والتنزه في هذا اليوم، بيد أنه يوم السوق الأسبوعية، أين يجتمع الناس من كل حدب وصوب في ساحة كبيرة مهملة، يستعرضون منتوجاتهم

الفلاحية الطازجة ويتفاوضون على أسعار رؤوس الماشية والغنم، وهذا الأسبوع مميز كفاية، ليجعلهم بدل التفاوض على الأسعار، يتناقلون قصة السيد

مصطفى وابنته.

تتأجج نار حارقة بداخله حين ينظر في أعينهم، ويسمع ألسنتهم وهي تلعق سمعته بشراهة، إنه يعلم أنهم يتحدثون عن ابنته التي جلبت له العار، بل ويقرأ

شفاههم قبل أن تنطق، ويسمع تمتماتهم ما إن يبتعد عنهم ببضعة أمتار.

لقد زوج ابنته الوحيدة لرجل عادي، لا يختلف عن هؤلاء الكسالى المرميين على كراسي المقاهي، أو المنبطحين تحت ظلال الأشجار المغروسة في الأرصفة المهترئة،

زوجها كما يفعل أغلب الآباء الذين نبتوا وذبلوا في هذه

القرية اللعينة لكن ابنته، لم تكن امرأة عادية ترعى زوجها، وتصون بيتها، لقد كانت، وما زالت الطفرة
التي سودت تاريخ العائلة ومرغت وجهه الذي يشع نورًا وضياءً في الطين.
ابنة الإمام، مشعوذة! الإمام الذي يحفظ القرآن عن ظهر قلب منذ كان في السادسة من عمره؟ الرجل الذي ينصح الغافلين والعاصين، يغيث المساكين والضالين؟
واجهه أبو موسى بالحقيقة حين كان على وشك أن يعتلي المنبر لأداء خطبة الجمعة، رماه بنظرة احتقار ونقل له الخبر بنبرة وقحة تفتقر لأدنى شروط الأدب، ثم
غادر المسجد معلنًا تمرده، يومها لم يستطع أن يلقي خطبته بحماسته المعهودة، كانت الدموع تستفز مقلتيه كلما التقت عيناه بوجوه المصلين المصفرة، كان يرى
الشرر وهو يتطاير من عيونهم الحانقة ويسمع صوت تأففهم وامتعاضهم كلما وصل لجملة تحث على الخير، وترك المنكرات والمعاصي.
خرج من المسجد مكسور القامة كما لم يكن يومًا، لم يكلمه أحد ولم يدعُ له المغادرون دعوات البركة كما ألف، تجاهله الأقربون قبل غيرهم، وفي اليوم التالي لم
يقدر على الخروج من البيت بعد أن بلغ ضغط دمه العشرين، وانفجر أنفه بسيول من الدماء...
كيف لجميلة أن تخون تربيته الصالحة، وتنمسخ فجأة إلى مشعوذة قذرة؟ لم يتقبل عقله قط ما تتداوله مجالس الناس من حوله، كيف هذا؟ وهو الذي علمها
دينها منذ رأت النور، ولقنها القران حفظًا وترتيلًا؟ لا بد أن في الأمر أحجية تحتاج لحل، وإلا فإنه سيموت حسرة.

بالرغم من أنه يوم السوق الأسبوعية، هو مصر على مواجهة ابنته بالحقيقة وزيارتها في بيتها البعيد رغم قربه، كانت خطواته المنهكة تزيد من المسافة بدل أن

تختصرها، وتغسل جسده الضعيف بسيول من العرق، تقاذفتها مسامات جلده المترهل، تزامنًا مع دقات قلبه التي زلزلت أطرافه المرتجفة.

الطرقة الأولى على الباب أفقدته توازنه، فكاد أن يقع أرضًا لولا أنه تشبث بمقبض الباب الصدئ، أما الثانية فأفصحت له عن شابة جميلة كاسمها، تعبق برائحة

المسك، ضمت جسده المرتعش إليها كطفل صغير، وقبلت جبهته التي غرقت في عرقه.

نظر إليها وقد زاغ بصره، وكاد يفقد الوعي، سمعها وهي تدعوه إلى الدخول بحرارة، فاستجاب لها بطريقة آلية دون أن يستوعب ما يحدث له، اطمأن ليدها التي

ضغطت على ساعده بشوق بنت، لم تر والدها منذ أعوام خلت، وانتهى به المطاف إلى غرفة جلوس مقشرة الجدران، مهشمة الباب، جلس على الكنبة، فغاص

فيها بدل أن يعتدل جلوسه، وعندما انتبه إليها وجد أن قاعدتها الإسفنجية تآكلت بما يكفي لتكون مجرد هيكل لخردة، استنجد بالأرض، وجلس على اللحاف

الذي تحول بياضه إلى سواد، فاغتالت رائحة البول جيوبه الأنفية، فانتفض واقفًا وقد دمعت عيناه من شدة الرائحة.

عادت ابنته إليه تحمل صينية بلاستيكية، عليها فنجان قهوة وبضع حبات بسكويت، تعجبت من منظره

المضطرب ودعته للجلوس على الكنبة المعطوبة، بعد أن

قربت إليه مائدة عرجاء ووضعت عليها ما جاءت به، استسلم لنظراتها العطوفة، وحاول بكل ما أوتي من قوة أن لا يحرجها، لكنه فشل في ذلك بعد أن اشتعل

وجهها خجلًا، واحمرت وجنتاها المكتنزتان وهي تخبره بعدم وجود السكر، وأن عليه شرب القهوة مرة.

ابتلع مرارة القهوة مع مرارة الواقع الذي انبسط أمامه فجأة، تأمل ابنته التي ثبتت وليدها في حجرها لينام، فلم يعرفها ولم يقدر على فتح أي حديث معها وإلا

انفجرت مشاعره المختلطة دفعة واحدة.

ساد سكوت حتمي بينهما، واختزل كلاهما نظراته في بضعة تأملات حذرة، وكأن مسافات الزمن التي نمت بينهما مسحت حميمية الرابطة بين الأب والابنة.

قاطعت طرقات عنيفة أشجانهما الصامتة، فألقت "جميلة" نظرة وجلة على والدها، وأسرعت إلى الباب مرتعدة، كان زوجها الأشعث يقف وراء الباب، تتدلى من

يده ديوك سوداء منحورة وعندما انتبه لوجوده، أسرع بإخفائها وراء سترته المطلية بالطين، وألقى عليه تحية جافة واختفى.

عادت إليه ابنته مطأطئة الرأس، تفرك يديها المرتجفتين، وتناضل لتُخرس سعالًا اجتاح رئتيها فجأة، جلست مقابله، فلم يكلمها وهم بالنهوض مستسلمًا،

مقتنعًا بما رأت عيناه من مشاهد مريبة، لكنها تمسكت بكتفيه وحاولت زج بعض الكلمات وسط نوبات السعال التي اخترقت حنجرتها، ودفعت بكتلة من الدماء

لتتسرب من بين شفتيها اليابستين.

انفعل لمشهد ابنته وهي تمسح الدماء المتدفقة في ثيابها الرثة حينًا، وتبتلعها حينًا آخر، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يضجعها على سرير الطبيب.

لاحقًا علم أنها مصابة بمرض السل الرئوي منذ زمن، دون أن تكترث للعلاج حتى، وبعد أخذ وردٍ، وتحقيق مضنٍ، اعترفت له بأنها تعيش فقرًا مدقعًا منذ

سنوات، وأن زوجها وجد طريقة ليجني بعض النقود هذه الأيام، لم ترد إخباره بحقيقة نشاطه في البداية، لكنها استسلمت لدموعها وأخبرته بأنه يساعد

مشعوذة عجرية في توفير مستلزمات طقوسها الشيطانية، وهو يستقبل زبائنها السريين في البيت، ويرغمها على بلع هذه الحقيقة رغم اعتراضها الشديد.

عض على يده، واستعرت جمرة حارقة في جوفه، تأمل جسد ابنته الجاثم على السرير كهيكل عظمي، فارغ من الصحة واستجمع كل ذرة شجاعة في روحه، وعاد

إلى بيتها لوضع حد لهذه المهزلة.

فتح الباب بالمفتاح الذي أعطته له، لم يكن هناك أحد في البيت باستثناء ابنها النائم بهدوء، تجرأ على دخول الغرفة الأخرى، فلم يجد ما يثير الاهتمام بوجود كل

تلك الخردوات المصطفة في صورة الأثاث، انتبه إلى الخزانة المنزوعة الأبواب، لم تثر الملابس المطوية بعبث اهتمامه بقدر الكيس البلاستيكي الضخم، الذي ربض في

أسفل الخزنة كوحش بري جاهز للانقضاض على فريسته، اقترب منه دون تفكير، وحل عنه الرباط الذي

ألجمه فاندفعت منه رائحة عفن كريهة، واصطدم بصره برؤوس حيوانات مجمعة بداخله بعناية!

فر من الغرفة وانطلق خارجًا، يكاد يفرغ أحشاءه كلها، ثم باغتته طرقات خفيفة كالهمس داعبت الباب القصديري بكسل، استرجع أنفاسه بصعوبة، وقبض على قلبه متجهًا إلى الباب.

كان يرتعد كورقة ذابلة، وعندما فتحه، أطل عليه أبو موسى بابتسامة خبيثة، سرعان ما ذابت وتحولت إلى نظرة رعب بعد أن اكتشف وجوده.

- ماذا تفعل هنا؟

تلعثم أبو موسى، محاولًا ترقيع نواياه القذرة بإجابة تبرئه، لكن الحروف خانته ولم تنجد كذبه، فاضطر لبلع السؤال والهروب مسرعًا تحت مظلة الغضب.

تهاوى هو على الأرض دفعة واحدة، وانطفأت حواسه تباعًا، لم يعد يشعر بأطرافه، وتحولت السماء الصافية إلى غيمة ضبابية، وانطلق طنين قوي كقطار بخاري، يشق قنواته السمعية.

عندما استيقظ بعد ساعات، كان زوج ابنته عند رأسه يتمتم بكلمات غير مفهومة، فيما وقفت إلى جنبه عجوز شمطاء، جاحظة العينين، وراحت ترشه بماء أصفر اللون، وعلى وجهها ابتسامة ليس لها مرادفات.

لم يستطع أن يتحرك، رغم محاولاته الحثيثة، كانت عيناه تتحركان في حركات دائرية مضطربة دون أن يتمكن من القيام، اخترق صوت حفيده الباكي سمعه، مد يديه إلى السماء، حاول التشبث بأقرب شيء، جرب أن

يكلم زوج ابنته الذي صد عنه بظهره وانشغل بحديث مبهم مع تلك العجوز الغريبة، استغفر، استنجد،
لكن غمامة سوداء حطت على وجهه، وفقد وعيه من جديد.
عندما استعاد نفسه أخيرًا، كان في غرفة جميلة، على سرير خشبي بأغطية نظيفة، ورائحة زكية، هدأت من روع مستقبلاته الحسية، حرك ذراعيه، فشعر
بسعادة عظيمة، انتبه إلى ثيابه، فكان مرتديًا قميصًا صوفيًا أخضر اللون، تعجب من الأمر فهو لم يمتلك قميصًا كهذا من قبل! تحسس وجهه، لكنه لم يجد
لحيته، صاح في نفسه، أين لحيته البيضاء الجميلة؟!
شعر بالهلع، اجتاح صراخه الغرفة، فانتهت إليه سيدة بشوشة، وراحت تهدئ من روعه.
صاح بها:
-من أنت؟ ماذا أفعل هنا!
ابتسمت هي بثقة، وقربت إليه كأس ماء وقرصي دواء:
- تفضل يا مصطفى، إنه موعد دواء الضغط.
ابتلع دواءه بريبة، وتماسك وهو ينظر إليها تنسحب من عنده.
شعر بخدر خفيف يدق قدميه، صعودًا إلى يديه، ثم وجهه، استسلم للراحة العجيبة التي شقت عروقه، وأطلق تنهيدة نفضت كل الفوضى التي بداخله.
مع مرور الأيام، اكتشف أنه يمكث في دار العجزة منذ سنين، وعندما سأل عن ابنته وعن زوجها وكل تلك الأمور المريبة التي كانت تحدث، ابتسمت السيدة

بهدوئها المعهود وقالت له دون أن ترمش، أنه يعاني من الخرف منذ ست سنوات وهذه الأفكار والحكايا هي من وحي خياله الواسع، وأكدت له أن ابنته الوحيدة،

توفيت بمرض السل عندما كانت في عمر الخامسة!

كان ليصدقها، لولا أن صوتًا مبحوحًا نطق من أعماقه، إنها تكذب!

W

جار المأذون

(محمد عيد أيوب)

صوت صراخ من الدور الأرضي المجاور..

- حسبنا الله ونعم الوكيل فيك يا ظالم يا مفتري. ربنا ينتقم منك يا بعيد.

- جتك مصيبة يا اهبل دا العيب منك.. ابقى وريني السنيورة هتجيب لك الواد ازاااي يا معيووب.

كالعادة زوجتي العزيزة تنزعج وتزعجني معها:

- اصحى بسرعة يا محمد شوف الصراخ دا منين؟

أجيبها وقد تعجبت من سؤالها المتكرر، وإجابتي التي لا تتغير في كل مرة: - هيكون منين يعني؟! زي كل مرة.. حالة طلاق جديدة عند جارنا العزيز، مأذون البلد.

أنظر من نافذة الغرفة لأطل علي التكاتك التي تقل المتعاركين، إثر طلاق أحدهم لزوجته، واضح من السباب أن سبب الطلاق هي خلفة البنات في مجتمع ساقط دينًا وأخلاقًا وعلمًا.

كان السُباب من أخوات المطلقة وأقاربها الذين صبوا جام غضبهم على ذلك الزوج المتغطرس الجاهل.

بينما جلست هنالك على الرصيف المقابل لبيت مولانا المأذون، خائرة القوى مستسلمة بلا حيلة، الزوجة المكلومة، تشكو حالها لرب العباد ولا تدري كيف يكون مستقبلها وفي رقبتها أربع بنات بعد أن طلقها أبوهم إرضاءً لزوجته الجديدة التي تقول أنها "زي الفريك ما تحبش شريك".

نزلت إلى الشارع لاستشراف الأمر، ووجدت ضالتي حين رأيت أحد أصدقاء الطفولة.

عرفت الكثير من سعد، ذلك الصديق القديم الذي حضر باعتباره قريبًا للزوج، لم يكن سعد راضيًا عن فعل قريبه، ولكن ما باليد حيلة، ذهب مع جمع أقاربه

حماية لذلك التعس من أن تناله يد البطش -التي يستحقها بالطبع-من أقارب زوجته، ولم يكن أتعس من الزوج إلا سعد، الذي يذهب مدافعًا عن جاهل

أحمق، لا لشيء إلا أن تعير عائلته بأن أحدهم ضُرب وأهين وإن كان مذنبًا ومدانًا!

وهناك إلى جانب بوابة بيت مولانا، رأيت الزوج ينظر من بعيد، نافثًا دخان سيجارته إلى أعلى ثم خافضًا هامته بلا اكتراث للصراخ، ولا لأم بناته، التي خارت قواها

بعد أن نعت حظها كالنائحة الثكلى!

أطل مولانا من نافذة مكتبه الذي يحتل الدور الأرضي من بيته الكائن على ناصية الشارع ونادى على الزوج، ويبدو أنه أتم كل الإجراءات وينتظر توقيع الزوج الذي

دخل في حراسة أهله ليوقع على قسيمة الطلاق.

مولانا لا يحب الطلاق ولا يستبشر باليوم الذي يقع فيه حالة طلاق واحدة، هكذا أسر لي ونحن عائدون من

صلاة الظهر يومًا مشيحًا بيده للخلف دليلًا على التأفف من الطلاق الذي صار ظاهرة لا تحتمل، وخراب البيوت الذي أضحى بسبب وبدون سبب، ومزدريًا الأهل الذين صاروا كالدمى في أيدي أبنائهم، فلا كرامة لرأي الأب ولا اعتبار لنصيحة الأم، كل ما يريده أي أحمق سيفعله، مرة بداعي الحرية، ومرة بداعي القسمة والنصيب.

كانت تلك الأمور تحل بسهولة حينما كان الكبير منصفًا، يسمع له الكل ويطيع، ولكن ضاعت هيبة الكبير، وأضحت مصائر البيوت في مهب الريح.. ريح الطيش واللامسئولية.

حين اقتصر الجيران والأهل، ولم يعد من يتطوع للصلح ووأد المشكلات في مهدها.

لم يمض كثير وقت حتى خرج الزوج من بيت مولانا مصحوبًا بلعنات أهل زوجته وسكان الشارع ومن عقلاء أهله أيضًا، الذين أضناهم الجهد في إقناعه بالزواج من الثانية من دون الإضرار بأم البنات المسكينة، ولكن لا حيلة لهم بعد أن ركب دماغه وقد خطط ليدخل دنيا جديدة مواريًا خلفه تحت تراب الفقر والعوز دنياه القديمة ببناتها الأربع.

W

الحاج مسعد، ميسور الحال، ذو السيارة الفارهة والبيت الكبير على الشارع الرئيسي، له تجارة رائجة، لم يحفظ من القرآن إلا آية واحدة يرددها "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع".

يهدد بها زوجتيه، ويراود بها من يشتهي من رواد محله الأنيق ويقرأها إذا ما تقدم للصلاة بموظفي محله أوقات العمل.

يدرك مولانا أن الأستاذ مسعد لا يعاني فحولة لا سمح الله، ولكن "القرش مقوي قلبه" على حد تعبيره الدارج.

وقت العصرية، يفرش مولانا حصيرته أمام بيته مستقبلًا ضيوفه من أهل جيرته ومن الأقربين، هناك انتهزت الفرصة كعهدي به، أحب كلامه واستزيد منه كلما

حانت لي الفرصة.

جلس أحتسي الشاي في حضرته، وبادره أحد الحضور:

- مولانا.. انت ليه واقف في وش الأستاذ مسعد ونكفت له الجوازة، مش بردو الشرع حلل أربعة؟! انت هتحرم الحلال ولا إيه يا سيدنا؟ وبعدين الراجل مقتدر

وجيبه عمران، والمثل عندنا بيقول..

يقاطعه مولانا: "الراجل ما يعيبوش إلا جيبه" جتك خيبة فيك وف أمثالك الخايبة زيك.. المثل دا تحديدًا كان ذريعة لمسعد ولكل واحد زيه يتزوج بلا حساب،

ويطلق بلا اكتراث، لا يعبأ بالضر الذي سيصيب الأولى وأولاده منها.

يريد أن يأتي بالزوجة الثالثة، وزوجتاه تعانيان مر الشكوى من إهماله لأولاده وبيتيه، فلا متابعة لدروس، ولا مراعاة لحقوق.

حين تزوج بالثانية، شكا الأولى لطوب الأرض، وافتعل معها المشاكل حتى يحصل على قبول الناس لفعلته، ولو فعلها بغير الضر الذي ألحقه بالأولى لكان مصابه

أهون، فتهيأ الكل حتى أهلها لفعلته، وأتى بها من بعيد

حتى لا نفسد الزيجة، وأقسم بالأيمان المغلظة أمام تلك البلهاء وأهلها، أنها الأخيرة ولا أحد بعدها..

وكنت متأكدًا من عدم وفائه.

الآن.. أهمل زوجتيه وأولادهما وهم بالثالثة، يلعب بهن كلعب الطفل بالدمى.

- وما له إذا كان مقتدر وصحته مساعداه يا مولانا.

- يا أخي اتنيل، شكا لي غير مرة الدكتور وائل، الصيدلي أنه دائم الذهاب إليه يسأل عن منشطات، كالصبية المتهورين غير ذوي العقول، غير عابئ بعمره ولا صورته.

يا اخواننا افهموا -والكلام ما زال لمولانا-مسعد مريض، وحله أن يذهب إلى طبيب نفساني فقد يساعده على تجاوز ما يهيئه له عقله المريض.

أنا لا أحرم ما أحل الله وحاشا لله أن أفعل، ما يحدث من حولي من خراب للبيوت وضياع للأطفال يحتم على من هم في مثل مكاني أن يتحركوا للإنقاذ ولو بكلمة، وهذا ما فعلته حين حذرت أهل الناجية الثالثة من مصير سابقتيها البائستين.

غير واحد أبلغني أن ابنه الأكبر يتعاطى المخدرات، وأبلغته متوقعًا أن يحسن التصرف، ولكن هيهات..

ضرب الولد حتى نزف أنفه ودماغه، وهرب من البيت إلى ضياع أكبر، مثل مسعد لا يغرنك حسن لقائه ولا كرم ضيافته، فمثله يضر أكثر مما ينفع.

زيجة ثالثة، تعني ضحية ثالثة، وأطفال ينضمون إلى قائمة الضحايا الذين سبقوهم فلا أدب ولا تعليم ولا خلق.

وبعدين افهموا.. درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، هكذا تعلمنا في الأزهر الشريف، وزواج مسعد من الثالثة، مفسدة مطلقة، درءها، كمثل دلق القهوة..

خير.

- ربنا قال: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع". ماذا تقول يا مولانا؟!

- كمل يا حبيبي الآية.. "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة". قال بعض المفسرين: التزموا بواحدة لأنكم لن تستطيعوا أن تعدلوا، وكل أدرى بقدرته على العدل بين

زوجاته، فإذا كان الحبيب المصطفي.. ما تصلوا عليه؟!

يرد الجميع في همهمات متقطعة: "اللهم صل وسلم وبارك عليه".

- قال حين قسم بين زوجاته: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك".

قسم المال والاهتمام والمبيت والطعام والسفر بينهن بالعدل كما علمه ربه، وهو من هو في قسمته بأبي هو وأمي، ولكنه اعتذر إلى ربه في ميل قلبه إلى عائشة بنت

الصديق، وقلب محمد -صلى الله عليه وسلم-بيد رب محمد.

حتى في مرضه الذي مات فيه، استأذن زوجاته في أن يمرض ببيت عائشة، فأذنّ له، وضع خطًا ظاهرًا تحت "استأذن زوجاته" التي نمر عليها مرور الكرام، وليس

منا من يفعل فعل الحبيب النبي.

قل لي أنت وهو، أترون في مسعد رجلًا عادلًا قد أحسن إلى زوجتيه فلا نضيق عليه في الزواج من الثالثة؟

مولانا فقيه عالم، نسكت أمام سهام ردوده القاطعة، وبيانه الذي لا يحتمل التأويل.

بينما أوقف سيارتي حذاء الرصيف المقابل لبيتي بعد شقاء يوم طويل، انتبهت إلى تلكم المرأة سليطة اللسان كالحرباء، تقبض بتلابيب ثيابه من قفاه، وصوتها غليظ كريه:

- رايح تتجوز عليّ يا شايب يا عايب، انت مفكرني نايمة على وداني يا عرة الرجالة يا صنف واطي يخاف ما يختشيش؟ ومين الصايعة اللي عاوزها تبقى ضرتي؟ جتك

القرف لمامة بتجيب اللمامة اللي شبهك.

ينظر حوله للشارع الذي طالما أصبح وأمسى على صفيح ساخن من جراء عراك زوجته ويحاول تهدئتها منعًا للفضايح: - وطي صوتك يا سعدية الناس اتلمت علينا.

- وانت اللي زيك يهمه الفضايح يا مفضوح، والنبي لافرج عليك خلقه.

الست سعدية، أو كما يناديها الصغار في الشارع طنط سعدية، وهو أبعد الأوصاف عن تلكم السليطة الشريرة، فما كان لمثلها أن تحظى بلقب طنط أبدًا.

هي امرأة نكدية، يخشاها الشارع كله ويعمل للسانها ألف حساب، في أول يوم سكنت فيه، نصحني السمسار نصيحة غالية، ابعد عنها يا أستاذ أحسن دي شر

مستطر، بتقول شكل للبيع.

زوجها عم حربي، هادئ لا صوت له، كلما رآه أحد دعا له دعوة في سره... ربنا يصبرك على ما ابتلاك، ويجهر بها

أصدقاؤه المقربون في نوبات تندرهم وضحكهم،
فإذا ما أطلت تلكم الحرباء، كتموا جميعًا الأنفاس، وكأنما على رؤسهم الطير.
عم حربي هادئ مطيع، يتجنب مشاكلها، ويقضي مصالح بيتهم بلا كلل علها ترضى، وأنى لمثل هذه أن ترضى!
يبدأ يومه أمام الفرن البلدي، يأتي بالخبز الطازج وفي نوبة رجوعه يأتي بالفول وأقراص الطعمية الساخنة، يتهدج في جلبابه وطاقيته باسم الوجه يتلقى
الصباحات بين خير وفل وورد من الجيران، يردها بصباحه الذي لا يغيره.. صباح الرضا.
كنت محظوظًا في هذا الصباح حين أدركني بعد أن أدرت محرك سيارتي لأتهيأ للخروج في يوم من أيام الشتاء فبادرني: - صباح الرضا يا أستاذ محمد.
- صباح الفل يا عم حربي، إيه الحلاوة دي... والنبي عريس.
يبتسم ابتسامة خبيثة ثم يهمس لي:
- وطي صوتك بعدين تسمعك، تجيبك من زمارة رقبتك وانت كتكوت صغير.
- يعني وانت هتسيبني كدا يا عم حربي؟ دا أنا ف ضهري سبع.
يضحك مائلًا بظهره إلى الوراء ومصفقًا بيديه بعد أن ترك حاجاته على كبوت السيارة..
- سبع مين؟ ولا اعرفك.. ما أنا خمسين مرة اتعارك وياها وانت كل مرة بتعمل عبيط.

- لا واللّه ما باعمل عبيط ولا حاجة... أنا كدا طبيعي.. خلقة ربنا.

يأخذ قرصين من الطعمية يلفهما في رغيف بلدي سخن، يقدمه إليّ بيد ومربتًا على كتفي بالأخرى: - افطر يا سبع عشان شكلها نزلتك من غير فطار.

يأخذ حاجاته من على السيارة ويردد: رجالة آخر زمن.

انطلقت إلى عملي مصحوبًا بطاقة لا مثيل لها من لقاء هذا الرجل الطيب، ولا أعلم من الذي أوعزه بمثل تلك العملة السوداء، "بقى يتجوز على سعدية؟! للّه في خلقه شئون!"

ما زلت لا أعلم تفاصيل الحادث الأليم، وكل التفاصيل عند مولانا.. وليس مولانا بالذي ينطق بأحداث الناس إلا بالنذر الذي نعلمه!

في رحاب مولانا وفي منظرة بيته..

- هو مسعد غراب البين، كان ماله حربي، ما طول عمره صابر على بلوته وساكت، مسعد سهر معاه كام ليلة شقلب مخ الراجل، ويا ريته فضل واقف جنبه، دا أخد ديل جلابيته في سنانه وطار لاحسن سعدية تمسكه، بس هتروح فين يا مسعد.. هتجيبك هتجيبك، سعدية قدر ومكتوب يا حبيبي.

بادرت مولانا متسائلًا: وهي مين العروسة يا مولانا؟

- واللّه يا أستاذ بنت طيبة ويتيمة ومش عاوزة غير الستر، سعدية شاطتها زي الكورة، بقت تجري وتتكفي.

- بس انت كدا بتكيل بمكيالين يا مولانا، تنكف جوازة مسعد، وتيجي عند عم حربي وتشتغل، مش معاملة دي.

- حربي من حقه يتجوز، إيه رأيك بقى؟ وعدل وستين عدل كمان، هو في حد منكم صابر على جيرة سعدية لما هو يصبر على شركتها ف بيته العمر دا.

- يعني الجوازة فركشتها سعدية يا مولانا، والراجل الطيب دا مكتوب عليه الشقا، مفيش حتى نص المدة حسن سير وسلوك؟

يهز رأسه ضاحكًا بخبث، يهم أن يتكلم، ثم يملك زمام نفسه، ويمسك عليه لسانه.

عجيب أمر مولانا، يعرف الكثير، ولا يبوح إلا بالقدر الذي يريد أن يبوح به، ولم لا، وأسرار الكل عنده، وكأنه يغطيها بطاقيته الحمراء، ويشد وثاقها بعمامته

البيضاء الزاهرة.

أخذت مكاني المعتاد في المقهى القريب، قليل من يحضر هنا، تعدهم علي أصابع يديك، كلهم ما بين الخمسينات والستينات من العمر، والشباب لهم أماكن

أخرى يفضلونها، هنا لن يحصلوا على الكابتشينو، ولا وجود للهوت شوكليت، والتلفاز قديم صورته مهتزة، ليس هنا مجال للاشتراك بباقات المباريات ولا توجد

فرصة سانحة للعب البلايستيشن،

هناك في مقهى تيتو كل ما يحبونه موجود ومتاح، والأهم بعيدًا عن أعين الرقابة اللصيقة في المقهى القديم، القريب من سكناهم، ولو أمسك أحدهم بمقبض

الشيشة، فحتمًا لن يتم الحجر، فالأخبار هنا تسري بسرعة البرق، ولنا في خبر سعدية عبرة واضحة لا تقبل تأويلًا.

قريبًا وإلى الخلف مني، جلس ثلاثتهم يلعبون الدومينو،

عم حربي، والحاج مسعد والحاج عابد ثالثهم.
أحب سماع تندرهم على عم حربي، وردوده المضحكة.
عابد يوجه كلامه إلى عم حربي:
- العب يا عريس.
يرد حربي:
- وطي صوتك تودينا ف داهية.
انتبهت إليهم، وضعت كوب الشاي على الطاولة ثم قلت بصوت عالٍ:
- ماخلاص فركش، والله انكتب لك عمر جديد يا عم حربي.
يضحك ثلاثتهم ضحكات هيستيرية.
يوجه مسعد إليهم الكلام: طيب الأستاذ محمد دا، عضمه لسه طري.
بدوت أمامهم كساذج فعلًا، هل فعلها الرجل؟!
لم أدع الفضول يقتلني، سحبت الكرسي ودنوت من ذوي الخبرة.
- يبقى انت نيمت سعدية تاني واتجوزت يا عم حربي يا جن بعد ما طلقت عند المأذون... دي كانت اقصر جوازة في التاريخ، مالحقش المأذون يقفل صفحة
الجوازات، إلا والقضا المستعجل خلاك طلقت وقتي.
- غشيم وعودك طري زي ما قال لك الحاج مسعد.. الطلاق باللفظ بس قدام سعدية، من صربعتها وعصبيتها ما شافتش قدامها ولا ميزت، ومولانا قفل الدفتر..
وبعدها سألت مولانا، قال لي طلاق المكره لا يقع، وهل من مكره مثلي؟!

أسندت ظهري إلى مسند الكرسي أضحك على نفسي من فرط سذاجتي، أدركت ساعتها لمَ سكت مولانا ولم يكمل حديثه يوم أتيته في بيته!

"يا ابن اللعيب يا عم حربي، لأ ومولانا... أوحى إلى الجميع بغير ما حدث من دون أن يكذب، ولم نعهده كاذبًا يومًا".

أحسست بثقل الكواهل ومتانة عقولهم، وخبث تدبيرهم، ليس عليّ إلا أن أسكت وأتعلم.

نظرت إليه نظرة تلميذ لأستاذه المخضرم، وسألته:

- طيب وسعدية عرفت يومها ازاي يا عم البورم؟

يهز عم حربي رأسه ولي شيشته معًا، متوعدًا صاحب الفعلة النكراء فقد اهتدى إليه، ثم يجيب بهدوء لا يخلو من الغل: - حرم مولانا المأذون يا عم، من باب الستات لبعضيها، ونردها لك في الأفراح، ومن قدم السبت يلقى الحد قدامه.

التقم لي الشيشة ثانية ينفث فيها غله، ويسترضي نفسه بما صنع ليلتئم كبرياؤه المجروح.

- رجالة مالهاش أمان.

كان تعليق زوجتي العزيزة علي عم حربي ثم أردفت وقد بدا على كلامها التوجس: - حتى عم حربي اللي كنا بنقول عليه راجل طيب وصابر، يعمل نفس العملة المنيلة، هما الرجالة ما فهموش من الدين غير جوازة الاتنين والتلاتة؟!

أسمع كلامها منتشيًا برصيد الخوف الذي تخفيه خلف كلماتها، ثم رأيت ثقبًا أنفذ منه إلى عقلها، فأدرأ بالتهمة عن الرجل وحيدًا: - يعني هو اللي بيتجوز تاني بيتجوز

راجل؟ ما هي بردو واحدة ست، وقبلت تكون ضرة، ومبسوطة وراضية.

لو كان الفعل خيانة، فقد استوى فيها الرجل والمرأة

ولو كان الرجل جبارًا ظالمًا، فقد رأينا جميعًا سعدية وأفعالها التي لا ترضي أحدًا.

سكتت مغتاظة وافتعلت الانشغال، فليس ثمة رد.

W

في المصحة

(العيد مروى)

في لحظة يأس مميتة تعانق روحي السيجارة وتتركها حينما تصير رمادًا لأعلن عن وفاة السيجارة العشرين، كان وجعي أكبر من السعادة التي يحملها الكون

وكفيلًا بإغراق الأرض في بحر الكآبة، كانت المرة الأولى التي أجرب فيها التدخين... تحول حبي ذاك إلى إدمان ولم يمر يوم دون أن تشكو علبة السجائر انتهاء

ذخيرتها وأشتكي أنا ألمًا في صدري، حتى فتحت عيني ذات يوم على غرفة طليت جدرانها باللون الأزرق، يدور أمامي رجال تلتهب في أعينهم العصبية، يأخذون إبرًا

لا أعلم محتواها كل فترة، أحسست في البداية بأن أطرافي مخدرة وبرأسي ثقل يمنعني من حمله، فكرت في أن هنالك شيئًا ينقصني، نعم تنقصني سيجارة،

فكرت فيها قبل أن أحاول معرفة المكان الذي يحويني الآن، تحسست ملابسي لأستخرج العلبة، يا إلهي ما هذه الملابس التي أرتديها؟ كانت ملابسي نسخة عن

الملابس التي ترتديها تلك العيون الغاضبة التي تحاول

أن تهدأ غصبًا عنهًا والتي رأيتها تحوم في المكان منذ فتحت عيني، وهناك استطعت معرفة موقعي من هذه
الحياة المملة "أنا في مصحة معالجة الإدمان"، اعترتني موجة غضب، أردت تكسير كل ما في الغرفة لكن أعضائي خانتني هذه المرة، لم أقو على النهوض بجسدي
ولم أتمكن إلا من إغلاق عيني لأسترجع الذي جاء بي إلى هنا، مرّت أمامي صورة ابنتي أروى وهي متشبثة بملاءة أمها ودموعها تنهمر، وزوجتي صفية متكئة على
باب البيت وهي الأخرى تمسح دموعها في ألم، بينما أنا أصارع الممرضين وأتخبط بين أيديهم، كان ذلك قبل أن تدخل ذراعي تلك الحقنة اللعينة لأجد نفسي في
هذا المكان، لم أخبركم عني بعد، اسمي سامي وأنا شاب ثلاثيني، أنهيت دراستي الجامعية وتوظفت بعد تخرجي مباشرة في مكتب المواصلات، كنت أعمل بجد
لأبني مستقبلي وأعيش الحلم الذي خططت له أيام الجامعة، كان حلمًا بسيطًا لم يتطلب غير بيت صغير يجمعني بالفتاة التي اختارها قلبي وعشت لأجلها كل
لحظة، كان راتبي قليلًا نوعًا ما فأصبحت أعمل ساعات ما بعد دوامي في مطعم أحد أصدقائي بينما كانت حبيبتي روضة تنتظر قدومي لخطبتها بفارغ الصبر،
مرت الأيام واشتريت بيتًا صغيرًا وجهزته بكل ما يحتاجه وكان كبيت الأحلام الذي رسمناه معًا، وجاء اليوم الذي حدثت والديّ عنها، هناك كانت نهاية الأحلام،
رفض والدي هذا الزواج وهددني بطردي من البيت ومن أبوته إن تزوجت روضة، لأنها فتاة متعلمة وموظفة وهي

ابنة المدينة كما قال، نسيت أن أخبركم من قبل
أني من الريف وأن والدي رجل مسيطر يحب فرض قوته على كل من في البيت ولا يحق لأحد إبداء رأيه حتى لو كان صائبًا، ونسيت كذلك أن أخبركم أن قانون
العائلة ينص على أن يتزوج أبناء العمومة من بعضهم البعض حتى لا يذهب الميراث إلى الغرباء، لكن الحب باغت قلبي ورفض أن يعترف بأي من هذه القوانين
الجائرة وأنستني أيام الجامعة والأحلام التي ربيتها الواقع والمستقبل الذي اختاره لي والدي، طارت روضة من بين يدي بعدما أخفقت في الوفاء بوعدي آخذة معها
أسعد أيامي إلى بيت رجل آخر، وهناك بدلت سجائري العادية بالحشيش، ومن شاب أدمن السجائر بعد رفض والده الزواج بحبيبته تحولت إلى مدمن مخدرات
بعد أن زفت إلى زوجها، تزوجت بعد ذلك بسنتين ابنة عمي صفية، كانت كباقي بنات عائلتي، امرأة تحمل جميع صفات الزوجة التي أرادها لي والدي، جميلة
وتجيد أعمال المنزل كما أنها لم تتعد المرحلة الابتدائية لأن والدها منعها من الدراسة في المتوسطة بحجة أن المرأة خلقت للبيت، لم أستطع أن أحب زوجتي ولم
أجعلها تحس بأني زوجها يومًا، رزقني الله بعد سنة بابنة جميلة أسمتها والدتها أروى، كم تمنيت لو أسميت ابنتي روضة، لكن هذا الاسم أصبح اسم شبهة
بالنسبة لوالدي فاستحال عليّ فعل ذلك، بدأت أزداد شغفًا لتناول المخدرات وأصبح دخلي عاجزًا عن توفيرها لي والإنفاق على أسرتي، ازدادت حالتي المادية
والصحية سوءًا وأصبحت قنبلة غاضبة تنفجر في وجه

صفية كل يوم، فأفرغ في جسدها الضعيف النار التي كانت تلتهب في صدري كلما فرغ جيبي من المال ولا
أتوقف عن ضربها إلا بعد أن تعطيني شيئًا من ذهبها، أبيعه لأشتري ما يسكن روحي ويعطيني السعادة التي تفتقر إليها أيامي، آخر مرة أخذت منها خاتم الزواج
وبعته، أخبرتني أنه آخر ما لديها وذرفت لأجله دموعًا كثيرة، أخذت الخاتم الذي يربطها بي بكل وحشية وبعته، صداع شديد يجعل من رأسي جسمًا ثقيلًا
يتعبني حمله، يمنعني من تذكر باقي الأحداث ويقف حائلًا بيني وبين معرفة ما مررت به من أحداث قبل أن أصل إلى هذا المكان، أردت أن أضغط عليه بكل قوة
عله يتوقف، شعرت بيدي اليسرى التي لم تتحرك منذ استيقظت من نومها وحركتها إلى فوق صدري بصعوبة، تفاجأت مما رأيت، كانت مضمدة وصعب عليّ
تحريك أصابعي وهناك تذكرت المرآة، عاد إليّ الجزء الضائع من ذاكرتي وتذكرت بقية الأحداث، من لحظة دخولي إلى البيت إلى الصورة المضببة التي رأيتها بعد أن
صبت الإبرة سمها في عروقي، لكن ذاكرتي مشوشة بعض الشيء والصورة ليست صافية، في أذني صوت تكسير أحضرته معي من البيت، بقايا الزجاج في كل
مكان، المرآة... نعم بدأت أتذكر بالتدريج، لا أعلم منذ متى لأني لا أعرف اليوم ولا الساعة التي أنا بها الآن وما أعرفه أنه قبل أن آتي إلى هذا المكان الموحش بحثت
عن الحبوب التي كنت أضعها في الدرج فلم أجدها، سألت عنها صفية فأجابت بالنفي وقالت أنها لم ترها،

كان الكذب يلمع في عينيها، هي امرأة صادقة وإخفاء
الكذب في عيون صادقة أمر صعب للغاية، أمسكت سكينًا كان أمامي ووضعته على رقبتها مهددًا إياها بالذبح إن لم تعطني الحبوب، لم يكن ذلك بالأمر المدهش
فقد هددتها به في الكثير من المرات، لكن المدهش في الأمر جرأتها والقوة التي أتت بها دفعة واحدة والكلمات الواثقة التي رمت بها على مسمعي: "اذبحني فقد
فعلت ذلك في العديد من المرات، أكمل ما نويت عليه لكن تذكر أنك لن تجد امرأة في العالم بعدي تقبل العيش معك، من يمكنها أن تستحمل ذكرًا يركض خلف
سعادة وهمية والعالم مليء بالرجال، من يبحثون عن السعادة بين صفوف المصلين، أفق مما أنت فيه وتذكر أن لك زوجة وابنة، فإن لم تكن زوجًا فعلى الأقل
كن أبًا". استفزتني عباراتها القاتلة وضغطت على رقبتها بالسكين أكثر، لكن صراخ طفلتي أسقط السكين من يدي، ولم أجد غير التكسير وسيلة أفرغ فيها غضبي
وأعوض ما انتقصته صفية من رجولتي، وعند وصولي إلى نهاية الرواق رأيت في المرآة صورة رجل يشبهني إلى حد كبير، شكل الوجه البيضاوي، الشعر الأملس،
أنفه الطويل، إلا أن عينيه يخرج منهما لهيب، تفطنت إلى أن هذا الشخص هو أنا في لحظة غضب غابت فيها المخدرات، شعرت بالقرف من نفسي وكسرت المرآة
حتى لا أرى ذلك الشخص مرة أخرى، في تلك اللحظة عشقت نفسي أيام الماضي، ندمت على كل شيء، على تذوقي لأول سيجارة، على استبدالها بالحشيش،

على
كل ألم سببته لزوجتي، وعلى حرمان نفسي وابنتي من شعور الأبوة، صرخت من أعماق قلبي وذرفت دموع الندم، أردت العودة إلى الخلف بضع خطوات لأقبل
رأس زوجتي وأضم أروى إلى أحضاني وأعوضها عن كل الحرمان، ولكن خطوات القدر سبقت خطواتي، ووقفت مآزر بيض أمام ما كنت سأقوم به، كانت زوجتي
قد اتصلت بهم وقد تأخرت في ذلك، كان من المفروض أن تكون استنجدت بهم عندما أخذت منها حصتها من ميراث جدي قبل مولد أروى، في أول مرة آخذ منها
مالًا بالقوة، أحس بنوبة بكاء تعتصر أمعائي قبل أن تسد حلقي، يجب أن ألين، يجب أن أبكي وأعود بشرًا كما كنت، لا يجب أن أخسر هذه المرة، سأفرغ حزني
هذه المرة قطرات صافية لا دخانًا يطير آخذًا معه صحتي وصحوتي، يجب أن يكون ملموسًا هذه المرة بل ومسموعًا، سأعود إلى أسرتي الصغيرة وأجدد حياتي،
سأعيد شراء خاتم الزواج لصفية وتنام ابنتي على ذراعي وسأروي لهما قصة ما قبل النوم، لكن الآن موعد إخراج الطاقة السلبية التي بداخلي، سأخرجها بطريقة
تناسبني... في صرخة خرجت من أعماقي مغلفة بالندم خرجت كلمة كفيلة بإخراجي مما أنا فيه "ساااامحاني" أردت إيصالها إلى زوجتي وصغيرتي وأن يعود إليّ
عفوهما بدل صدى الصوت، لم يعد صدى صوتي، بل جاء صوت آخر قادم عن قرب، أحضروا الإبرة المهدئة، تحطمت أحلامي عند سماع تلك الكلمات، لم
يحاول أحد منهم أن يفهم سبب الصرخة ولا تحليل

كلامي، أنا لا أريد الإبرة أريد تصحيح أخطائي...
استسلمت إلى الإبرة وتركت سمها يتغلغل في جسدي، لم
أقاوم هذه المرة وأغلقت عيني على موسيقى هادئة يعزفها الضمير، كم هو مؤسف أن تندم بعد فوات الأوان...
W

موتى يعيشون

(محمد السيد عبد الله)

أخذ حمامًا باردًا، تحسس عضوه الذكري، أحس بنشاط جنسي يثب ويتصاعد، نادى في الخادمة.. كرر نداءه، ولكنها لم تجب؛ هي قبلته التي يتوجه إليها
بصلواته الجنسية.. فردوس.. تلك الفتاة البضة الرقيقة الناعمة، القروية الساذجة، ابنة العشرين.. خادمتهم. هو الإعلامي الكبير يطاردها ويضاجعها تارة في
المطبخ، وتارة هنا فوق سرير زوجته؛ الإعلامية الكبيرة أيضًا.

إنها حقًا خرافة كبرى.. هكذا كان يقول لنفسه.. تمامًا كالعالم الذي ننتمي إليه، وكأحاديثه الإعلامية وبرامجه الشهيرة، ومواثيق الأمم المتحدة وجلسات مجلس
الأمن والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.. وأين هو هذا الإنسان.. كلها خرافات كبرى.

أيضًا أطفال غزة والقطاع عار عليهم أن ينتموا لهذا العالم، وعار على هذا العالم أن يوجد به مثل هؤلاء الأطفال، أوليس هذا العالم خليق به الدمار.

الفيتو الأمريكي وحده يحيي ويميت، يمنح ويمنع، يأتي

بالشمس من مشرقها، ويأتي بها من مغربها. كذلك أيضًا الفيتو الفردوسي.. وحدها فردوس تمتعه

وتشبعه، يشعر معها وحدها برجولته وربما إنسانيته، رغم وسطه الحافل بالجميلات وطالبي الشهرة والمتعة أيضًا.

الإعلامي الكبير والذي يسبق اسمه مئات ومئات الألقاب والصفات حتى يخيل إليك أنه يتعين عليك أن تنتظر لمدة أربع أو خمس دقائق كي تلفظ اسمه من كثرة

الألقاب والصفات التي تسبق اسمه وكذلك اسم زوجته.

اللذة تحتد وتتزايد، ينادي في عصبية ولكن الصدى وحده يلبي نداءه، أيقن أنها ليست بالبيت؛ ربما تحضر شيئًا ما من خارج البيت، وربما سافرت لترعى أحوال

أمها المشلولة وولديها الصغيرين.. قالت له ذات مرة: أحلم -وكم هي تعيسة أحلامها، مثلها مثل أحلام رعاع هذا الوطن-أن تحج أمي ويتعلم ولداي.

سألها في دلع ذكوري: وماذا تريدين لهما؟

قالت: الأول طبيبًا ليعالج فقراء قريتنا، والثاني حافظًا للقرآن وإمامًا للناس.

زوجها مات في شرخ الصبا، كان يعمل أُجريًا في مجال المعمار والبناء، وذات نهار سقط من أعلى السقالة ميتًا، وتركها وصغيريها وأمه المشلولة، رشحتها لزوجتي

واحدة من سيدات البر والمكياج والمجتمع الراقي لما لمست فيها من سذاجة وأمانة.

كلنا نكذب يا فردوس، أنا أكذب في البرنامج وفي التلفاز

والراديو، وسيدتك هي الأخرى تكذب وتتجمل، والرئيس يكذب ورئيس الوزراء يكذب، والأمين العام للأمم
المتحدة يكذب، والقادة العرب يكذبون، وعرفات ورابين وكلينتون يكذبون، والفلاسفة والشعراء ورجال الدين يكذبون، وكتاب الأغاني والصحف يكذبون، وحدهم
أطفال القطاع وصغيراك لا يكذبون. هذا العالم يربو فوق جزيرة من الكذب، فتقاطعه وتقول -وإن كانت لا تفهم أغلب حديثه-: ولكن الله لا يكذب يا سيدي، وإن
كنت أنا الآن في نظره عاهرة نجسة ولكنه يعلم الحال.
لم تتلق تعليمًا كاملًا، أكملت الإعدادية، والقرية لا يوجد بها إلا مدرسة واحدة، ولا يوجد بها طبيب، فطرتها تقودها لمعرفة الله، تذكر لقاءه الأول بها، أعرضت
عنه السيدة الأولى وهجرته بالفراش فترة؛ لأنها كانت تصور برنامجًا جديدًا ببيروت، ذهب إلى الثلاجة ليشرب، لمح جسدها الوردي الشفاف وتكور ردفيها، بلل
ريقه وتنفس الصعداء، الردفان المكتظان بالقوة علقا برأسه، تقدم نحو المذبح واستجمع شتات لباقته الجنسية، تقرب منها كفأر مجرب، احتضنها.. شعر بلذة
تعتري وتفترس جسده كلية، تلفتت المغدور بها فوجدت نفسها بين أحضان الإعلامي الكبير؛ رجل المبادئ والقيم ونصير الفقراء، امتلك زمام المبادرة وبدأ هجومه
العاتي، المفاجأة والدهشة أفقدتها كل القدرة على صد الهجوم، وكيف تصد ربها؟
ربما تكون بكت وربما تكون قد لعنت نفسها، صلت لربها كثيرًا عله يغفر وينسى، ولكن المائتي جنيه وأحذية وملابس الصغيرين الجديدة ربما تكون قد أنستها هي

كل شيء.

سذاجة القروية وشبق المدينة ورغبات الجسد المهجور منذ سنين والأفواه الجائعة التي تنتظرها، كل ذلك جعلها ترضى وتقنع.

تذكر قرار تعيينه بماسبيرو، وكيف أن أباه قبل كل الجوارب والأحذية كي يحصل على التوقيع، وما زال يتذكر صورة أبيه وهو يحكي له كيف تعب واجتهد وازدرد ريقه كي يحصل على التوقيع. وتذكر أيضًا أن راقصة مشهورة هي التي حصلت على قرار تعيين زوجته بماسبيرو. إن هذا الوطن يقتل القيم والأخلاق، ويستهزئ

بإله يحكم العالم.

أغلق هاتفه، جلس على أريكة مقابلة لشاشة التلفاز، شبه عارٍ إلا ما يستر أسفله، البيت مؤسس ومنظم على الطريقة الأمريكية الحديثة، والأثاث كامل البهاء،

قلب في القنوات المختلفة، كل البرامج تتشابه، كلهم يبحثون عن الفضائح والمهازل والكوارث، كلهم يبحثون عن الظلام، يتاجرون بالفقراء والبسطاء ويكذبون،

يتجملون بمساحيق تجعلهم يبدون ملائكة أمام الكاميرات وهم في الحقيقة شياطين ملاعين، وهو أول هؤلاء الملاعين.

توقف أمام صوت يعرفه جيدًا، بل يعرفه من بين ملايين الأصوات يصرخ ويقول: آن لمصر أن تستفيق، آن لهذا الوطن أن يعرف قدره، من للفقراء والبسطاء

والرعاع؟ يا مسؤولي هذا الوطن استحوا، قدموا استقالاتكم خير لكم، عار عليكم أن تنتموا لوطن يُقتل

ويسحل أبناؤه، اتقوا اللّه، إن اللّه محاسبكم على ما
تفعلونه في هذا الوطن، أنتم تعبثون بمقدرات أبنائه، والشعب يئن.. فمن للشعب يعينه ويرعاه؟
أين الرئيس ومجلس الوزراء؟ يجب أن تتحركوا سريعًا، دعوا مكاتبكم المكيفة، واتركوا عرباتكم باهظة الثمن، وعيشوا كما يعيش الشعب، والبسوا مما يلبس،
واشربوا مما يشرب، وتناولوا طعامه وغذاءه.
وهنا أخذته نوبة ضحك هستيرية، كاد أن يغمى عليه، إنه صوت زوجته السيدة الفاضلة، هو نفسه كان يقول هذا الكلام بالأمس في برنامجه. تذكر راتب زوجته
السنوي الذي يقترب من خمسة ملايين جنيه وهي تتحدث وتصرخ: أين حقوق البسطاء؟ وتذكر راتبه الذي يقترب من التسعة ملايين سنويًا أيضًا. وأخذ يقهقه
ويقهقه حتى سعل.. ألم أقل لك يا فردوس أنهم يكذبون.. كلنا نكذب، ندور في حلقة مفرغة من الكذب والتدليس، وحدهم البسطاء يصدقوننا ولا أعرف كيف؟
برق في وعيه لغط يدور في وسطهم الإعلامي وخلف الكاميرات؛ زوجته المصون على علاقة بمعد برامج ناشئ بالقناة التي تمتلك وتذيع برنامجها، ولكنه أعرض عن
هذا اللغط ولم يصدق، أو هكذا صور الأمر لنفسه أنه لا يصدق، أو أنه يصدق ويتظاهر بأنه لا يصدق؛ حفاظًا على الرمق العائلي الأخير والمظهر الاجتماعي والهالة
الإعلامية التي تحيط بهما كإعلاميين من الصف الأول.
لم يصل هو شخصيًا لهذا الصف بسهولة، كم قبل من أحذية وأيدٍ، وكم طرق من أبواب وأبواب، وكم تجمل

وتزين ورقص على السلالم كالحواة والقرود، يقول
لنفسه: نحن أنفسنا جزء من ملهاة كبرى، يقال لنا: هنا انقدوا وسبوا واشتموا، فننقد ونسب ونشتم، ويقال لنا: هنا امدحوا وانفخوا في الأبواق، فنمدح وننفخ
ونطبل ونرقص ونزمر.. دمى عمياء لا عقل لها، وأي شيء له عقل؟ كل ما درسه عن المهنية والشرف الإعلامي وأمانة الكلمة نسيه عند أول يوم عمل؛ بل ركله
بقدميه. صدقني لا قيمة لكل ذلك ولا معنى، القيمة والمعنى فقط في الكتب والحروف والسطور المتراصة المتراكمة عبر السنين، أما الواقع فشيء آخر.
زوجتك أيضًا تسمع عنك الكثير والكثير، ولكنه على يقين من أنها لا تعرف علاقته بفردوس؛ ليس من باب أنها تثق فيه، أو أنها تأمن له، أو احتياطًا منه، ولكن
من باب الذوق؛ فهي لا تتخيل أن ذوقه قد انحدر إلى هذا الحد.
كان حصاد زواج عشرين عامًا اسمًا إعلاميًا مرموقًا، وملايين لا تعد ولا تحصى، وابنة مدمنة للخمور والهيروين.
ناني هي الحصاد المر، والطرح الأسود لهذه الحياة، مثلها مثل أبناء جيلها؛ ضائعة.. تائهة.. غائمة هي الدنيا في عيونها وبلا ملامح، يبحثون عن منقذ ولا معين،
كل المثل والقيم سقطت في عيونهم، التاريخ والفلسفة والأديان أعلنوا إفلاسهم، وكل الأفكار والنظريات أفلست، وحل محلها الخواء والفراغ.
دخلت عليه المطبخ يومًا وهو يضاجع فردوس، ارتاعت

الفلاحة الساذجة بينما كان هو في قمة لذته وحضوره وانفعاله، ارتبك قليلًا، ولكنها غادرته هازئة ساخرة،

تموت على شفتيها ابتسامة بلا هوية. وربما دخلت عليها أمها الإعلامية الكبيرة وهي تتعاطى الهيروين أيضًا، ضبطها هو أكثر من مرة وهي تتعاطى سمها المفضل.

كانت تعامله بجفاف شديد، وربما حقدت عليه، كانت تقول له ذلك، لا تخفيه أو تنكره.

الأم نهارًا بمحلات المكياج والعطور والأتيليهات وصالات الساونا وأندية الروتاري، وليلًا إما بمدينة الإنتاج الإعلامي أو بماسبيرو وإما حفلات الليل، لا بيت ولا

يحزنون. وهو الأمر لا يختلف كثيرًا، ضف إلى ذلك الإكثار من شرب الخمور وربما لعب القمار ليالي الجمعة.

كانت تقول لأمها: أنت ساقطة، كلكم تكذبون، عار عليكم أنفسكم، كيف تواجهونها حين تخلون لها؟ وكيف تزعمون أننا أبناؤكم؟ وتمضي كأنها الإعصار. تبيت

خارج البيت كثيرًا، ترافق أكثر من شاب، وهو لا ينكر ربما تكون أجهضت أكثر من مرة؛ فهذا جيل توقع منه أي شيء.

انتصف النهار، وحملت الشمس أسمالها البالية ودخل الليل المدينة كالمحتل، ارتدى بذلته كأجمل ما يكون، قرأ بعض الأوراق المتعلقة بحلقة اليوم، هي حلقة

فارقة، ربما تزيد في لمعان وتوهج اسمه كثيرًا، وربما تزيد من حصيلة الإعلانات ومن ثم الملايين. اليوم يحاور الرئيس.. هي حلقة العمر يا رجل، فتشجع.. ولو كانت

فردوس هنا لتشجع أكثر.

مؤكد سيسأل الرئيس عن البسطاء والفقراء والرعاع والدهماء؛ سيسأله عن حقوق المرضى وأصحاب المعاشات ومحدودي الدخل وساكني العشوائيات وأطفال

الشوارع؛ سيسأله عن التاريخ والحاضر والمستقبل، سيسأله عن رغيف الخبز ومياه الشرب ومشروعات الصرف الصحي وأسطوانة الغاز، وربما سأله عن أطفال

القطاع وصغيري فردوس، ولكن الوقت كالعادة لن يمهله.

مؤكد سيؤدي دوره ببراعة وإتقان، وكذا الرئيس أيضًا سيؤدي نفس الدور وبنفس البراعة والإتقان. ألم أقل لك يا فردوس نحن جزء من ملهاة كبرى، الكل فيها

يكذب، الكل فيها ينافق، الكل فيها يتجمل.

W

مرحلة الخطر

(عليا المصري)

في إحدى العيادات النفسية والعصبية يتمدد على "الشيزيلونج" وأمامه يجلس الطبيب المعالج لحالته المتابع لتطوراته، وبيده جهاز صغير يسجل ما يبوح به

مرضاه.... نظر إلى الأعلى وبدأ يحكي مصابه الأليم:

منذ أن ولدت لم أر فيه الأب الحنون، لم أر فيه الجزء الذي يخاف على أبنائه، كل ما كان يهمه ويشغل تفكيره أمواله... ثراؤه... حياته ولهوه، لم نكن قط أنا

وأخوتي ضمن حساباته حتى أمي لم يتزوجها إلا لإرضاء شهوته.... أناني... متسلط... دنيء إلى حد القذارة.... سأكون منافقًا كاذبًا إن أخبرتك أنني أكن له الحب أو

الاحترام... كل ما ينمو بقلبي تجاهه هو الغل والحقد والكراهية والانتقام.... أتمنى لو أطبق بيدي على عنقه حتى يلفظ آخر أنفاسه....

- ولكن لم كل هذا الكره؟! كثيرًا ما يكون الوالد متسلطًا ولكن في أعماقه كل الحب والحنان والطيبة لأبنائه.... لا تتعجل الحكم عليه...

قهقه بصوت مرتفع معقبًا على كلام الطبيب: أتعجل! هذا الحقير.... أنت لا تعلم كيف يعاقب أختيَّ الاثنتين... يحبسهما في الحمام أعزك الله أو يضع في

ملابسهما الفئران... أو يكويهما بالنار... ليس عنده ذرة شفقة ولا رحمة....

فز واقفًا من مكانه وكأن ثعبانًا قد لدغه: يجب أن أذهب الآن يا دكتور قبل أن يلاحظ غيابي.

وافقه الطبيب على قراره وأخبره أنه ينتظره ليأتي الجلسة القادمة في نهاية الأسبوع، ثم ذهب وجلس على مكتبه، أخرج الشريط من الجهاز ووضعه في درج المكتب

بجانب أخوته ثم أخرج الدفتر الخاص بالحالة وكتب فيه:

الجلسة الخمسون..

الحالة تزداد سوءًا والمريض يصبح عدوانيًا يفكر بقتل والده وتزداد انطوائيته شيئًا فشيئًا ولكنه لم يصل إلى مرحلة الخطر.

لم تمر ساعة حتى سمع جلبة خارج مكتبه، خرج ليلقي نظرة على ما يحدث فوجده بالخارج تتصبب من على جبينه حبيبات العرق، ووجهه شاحب اللون

ووجنتاه قد هرب الدم منهما، بادره بالسؤال: ماذا

حدث؟!

أسرع الآخر وشد بيد الطبيب، دخلا المكتب وأغلق الباب خلفه: لقد فعلتها.... نعم... قتلته.. انتقمت لنا وقطعت جثته إلى أجزاء بعد أن اخترقت قلبه بالسكين...

فتح عينيه إلى أوسعهما من صدمته: لا... لا يمكن... أكرم أنت تكذب صحيح؟ أخبرني أنك تكذب.

- هو الذي أجبرني، عندما ولجت إلى البيت وجدته يضرب أمي بالعصا وهي تستغيث من الألم ولا منجد لها فقد حبس أختيّ بالحمام المظلم كعادته القذرة وهما

تبكيان بالداخل... لم أتمالك أعصابي، وجدت سكينًا بطبق الفاكهة... أعماني الغضب فغرستها بقلبه... ثم انهلت على جسده أقطعه وأشرحه إربًا إربًا...

- حسنًا اهدأ لن يعلم أحد بما أخبرتني به... سوف نخفي جثته... ولن يعلم أحدٌ بشيء.

اتفقا على إخفاء الأمر وذهبا معًا إلى موقع الحدث، سحباه إلى أن وصلا به إلى بدروم الفيلا، مسحا آثار الدم والجريمة ثم أطلقا عليه الفئران تنهش جثته....

دقائق مرت عليهما كأنها الدهر حتى سمع أكرم صوت الطبيب يضحك من أعماقه وكأنه انتصر لتوه في معركة استمرت لسنوات، نظر إليه بتعجب وسأله: ما

المضحك نحن الآن ارتكبنا جريمة بشعة مشينة ينفر منها ذوو القلوب الرحيمة؟

نظر إليه وعلى وجهه علامات الفرح: لقد قتل والدك والدي حينما كنت طفلًا، لم أنس وجهه لثانية، عزمت من وقتها أنني سوف أنتقم لوالدي ولكن كانت

الطريقة بعيدة عن خيالي إلى أن قابلتك في ذلك اليوم

عندما جئتني إلى العيادة وقرأت اسمك، عرفتك بالشبه فأنت حقًا تشبه ذلك الوغد، أوافقك الرأي إنه كان

مثالًا لابن الشيطان في الأرض وكان حقًا يستحق تلك القتلة، ولكن عندما أتيت إليّ وكأن كل الحلول قدمت إليّ على طبق من ذهب، انتهزت الفرصة وأوهمتك

بمرضك، كنت أعلم أن الممرضة تسرق دفتر حالتك يوميًا لتريك تطوراتك... الوهم يا صديقي يصنع المعجزات ومن خلاله استطعت أن أصل إلى مرادي وانتقمت

لوالدي.... إياك أن تندم فقد انتقمت لأمك أيضًا مما كان يفعله بها وبأختيك...

- معك حق.... ولكنك نسيت شيئًا واحدًا... أنا أكره الخداع.

ثم انقض عليه وأطبق بيديه على عنقه حتى أجهز عليه واختنق، سحبه من قدميه إلى جانب أبيه ثم أشعل سيجارًا وجلس على كرسي واضعًا قدمًا على الأخرى....

يشاهد الفئران وهي تأكل طعامها....

W

الرجل السراب

(أيمن بيك)

أحسست كأني ولدت اللحظة، فأنا لا أذكر شيئًا مما حصل قبل أن أستفيق، لا أذكر متى دخلت المشفى، ولا لماذا دخلت، فقط وجدتني أفيق من إغماءة طويلة

وعميقة، ثقوب كثيرة قد برأت تملأ جسدي النحيل، وأشعر ببعض الإنهاك.

عندما أحست الممرضة بأني عدت إلى وعيي قامت

مسرعة إلى الخارج، ثم عادت ومعها طبيب شاب يرتدي نظارات، وضع يده على رأسي متحسسًا الحرارة، قاس نبضي ومن وجهه يبدو أنني بخير.

قال: سيد كروق، أهلًا بعودتك.

- كروق من؟

أجابت الممرضة ضاحكة: أنت، هذا اسمك، لقد فقدت ذاكرتك بعد الحادث.

ثم أحضرت مرآة كبيرة ووضعتها أمامي كما يفعل الحلاق، وقالت:

- هل تتذكر هذا الشخص؟

- نعم أتذكر، لا أظن أن حالتي بهذا السوء يا مدام.

- آنسة لو سمحت.

قالت ذلك بامتعاض.

- لا يهم، أيًا يكن، الآن أين عائلتي إن كان لي عائلة، وأين أعمل، ولماذا أنا هنا وكيف فقدت ذاكرتي؟

ولا أدري ماذا قلت لينفجر الطبيب والممرضة ضحكًا، أحسست بشيء من الاستخفاف وقلة الاحترام، فهيئتي لا تدل على أني رجل مثير للسخرية، ولا تبدو كلماتي

كذلك، قال الطبيب:

- في الحقيقة أنت سجين، قضيت خمسًا وعشرين سنة من حياتك في السجن.

عدلت ساعتها من جلستي، رفعت حاجبيّ مندهشًا، كان كلام الطبيب غريبًا فعلًا ومثيرًا للسؤال.

- أنا سجين؟ خمسة وعشرون عامًا؟

في تلك اللحظة دخل علينا ضابط شرطة ضخم، شارباه مثيران للضحك ويبدو أنه لم يضحك منذ قرون.

- هل استفاق؟

ثم نظر ناحيتي، قلت: وهل تظن عينيّ مفتوحتين عبثًا.

لم يكترث كثيرًا لما قلت، وبدأ يسرد عليّ بعض حقوقي قبل إخراجي من المستشفى، عرفت أنه لا يمكنني الهرب لكوني سجينًا، فأنا لا أحتاج لذلك، فترة سجني قد

انقضت منذ يومين ولولا ذلك الحادث المؤلم، لكنت الآن حرًا طليقًا.

ليس لدي عائلة، إنما صديق قديم قدم أوراقًا للمحكمة وطالب بأن يرعاني بعيدًا عن دور الرعاية، أتشوق فعلًا لرؤية ذلك الصديق الوفي.

أما ماذا فعلت لأستحق كل تلك السنوات في السجن، فهذا هو العجب بعينه، لقد قتلت حارسًا ليليًا، ضربته بعصا على رأسه، وسرقت بمعاونة بعض المجرمين،

سبائك من الذهب لا يقل ثمنها عن المئة مليون جنيه، كان الأمر صادمًا بالنسبة لي، كيف لشخص مثلي أن يفعل مثل ذلك، أحس أنني رجل شريف، رجل يمكن

الاعتماد عليه، لا أصدق أني قضيت نصف عمري في السجن، الحمد لله أني لا أذكر يومًا واحدًا من أيام السجن، لا أذكر كيف قضيت أيامي بين تلك الجدران

المصمتة، نسيت كل من عرفتهم في السجن.

قلت للضابط: أنت تهذي، أنا رجل شريف، لا يمكن أن أسرق أو أقتل، انظر إليّ ألا ترى هذا الوجه البريء؟

ثم استلقيت على ظهري، وأغمضت عينيّ لبرهة،

تمنيت أن أغيب عن وعيي مرة أخرى وأستيقظ في مكان آخر، أردت أن أستيقظ لأجد حولي أبنائي وزوجتي، أو

حتى ذلك الصديق الذي تحدثوا عنه، وأن أنهض صباحًا لأقود سيارتي إلى العمل. لكن عند الصباح، كنت أقف أمام المستشفى منتظرًا، أحمل بقايا كتب قيل لي

أنها كانت تخصني في السجن، وكيسًا أسود صغيرًا بداخله قليل من الملابس القديمة، يبدو أنه لا مفر من هذا الواقع الغريب، كيف سأعيش حياتي وأنا أعلم أني

رجل خطير، مجرم فتاك وقاتل، يا للعار، أتمنى أن أنسى هذه اللحظات، وأن يأتي ذلك الصديق ليأخذني بعيدًا عن هذا المكان الكئيب، انتظرت لساعات قبل أن

تقف أمامي سيارة صغيرة مظللة، نزل الزجاج تدريجيًا، ويبدو أن السائق يلاقي صعوبة ما في إنزال الزجاج اللعين، لقد كانت امرأة، في حدود الأربعين تقريبًا،

وتدخن سيجارة، كانت ترتدي زيًا أفريقيًا غريبًا أخبرتني لاحقًا أنه هدية من صديق هندي، أخبرتها مندهشًا ساعتها أنني ظننته هدية من صديق أفريقي.

المهم أنها طلبت مني الصعود إلى السيارة الصغيرة، فصعدت دون أن أطرح سؤالًا، قلت ربما هي سائقة صديقي وستأخذني إليه، بدا الطريق طويلًا إلى حيث

نقصد، وهنا تجرأت على الكلام:

- سيدتي، إلى أين نحن ذاهبان؟

- ستعرف بعد قليل.

- هل أرسلك صديقي؟

- صديقك من؟ اصبر يا رجل، كدنا نصل.

سكت، وأشحت بوجهي عنها ناظرًا عبر النافذة، قلت:

- هذه المدينة عتيقة جدًا، لا بد أنها كانت أسوأ من ذلك، فخمسة وعشرون عامًا كافية لتبدل الكثير من الملامح.

- هذه الخرطوم، وصدقني لم تتغير كثيرًا منذ أن تركها الإنجليز قبل مئة عام، وفي المدة التي غبتها أنت لم تتقدم المدينة إلا في السن.

جلسنا على مقاعد خشبية أمام أحد المطاعم، طلبت لي السيدة كوبًا من القهوة دون أن تستشيرني، وقالت أنها لا تشرب القهوة لذلك ستكتفي بالماء، وباغتتني قائلة:

- أنا صديقتك.

- يا للهول كنت أظنه رجلًا، لكن لا بأس، النساء أفضل من الرجال، بالله عليك ماذا سأستفيد من صديق ذكر؟

- ليس لدينا وقت للكلام، هل تذكر أين دفنت الذهب؟

ثم استدركت قائلة: أوه عليّ أولًا أن أخبرك بما حدث بالتفصيل، أنا اسمي مسكة، كنا نعمل معًا في هيئة السكك الحديدية لو تذكر، فكرنا ذات يوم بعد أن

سئمنا من الراتب الهزيل، أن نسرق البنك المركزي.

- ماذا؟ البنك؟

- كانت فكرتك على فكرة، المهم أننا خططنا للسرقة مدة طويلة، وكنت تدون كل أفكارك على الورق، أنا الآن أريدك أن تجد ذلك الورق، وأن تجد مكان الكنز،

وسنقتسم الذهب كما اتفقنا تمامًا.

ظللت ساكنًا في مكاني أفكر، هل هذا حقيقي فعلًا؟ وهل هذه السيدة الغريبة شريكتي؟ لكنها لا تبدو سيدة

شريرة بالمعنى الذي قد يتصوره البعض، تبدو وديعة وصادقة، ولا بد أني أغويتها لتقوم بذلك العمل السيئ، يا لي من رجل سيئ وقاسٍ!

غاظها صمتي وصوت القهوة وأنا أجرها إلى جوفي جرًا، أخذت الكيس الذي وضعته على يميني وبدأت تبحث بين الصفحات، كنت أظنها كتبًا عادية، ولكني

تفاجأت بمخططات وكلمات غريبة على جنبات الصفحات، كان من ضمنها خطة عبقرية للهرب من السجن، ومن التاريخ يبدو أنها خطة قديمة تعود لعشر

سنوات من اليوم، لا أدري لماذا لم أنفذها، ماذا حدث يا ترى.

- هل ترى هذا؟ إنه وصف لمكان الكنز.

قطبت حاجبيّ وانحنيت ناحية الكتاب: كورنيش، ١٢٠ شمال، ستة أمتار، ما هذا الكلام؟

- لقد فهمت، هذه الكلمات تقول إن الكنز مدفون على بعد مئة وعشرين خطوة شمال الكورنيش، على عمق ستة أمتار.

- امم يعجبني ذلك.

- حسنًا، نلتقي غدًا صباحًا هناك، وأنا سأجلب معي بقية الرجال لنخرج الكنز، خذ هذه مفاتيح الشقة واذهب من هذا الاتجاه.

أحكمت قبضتي على المفاتيح، ثم انطلقت إلى حيث سأنام الليلة، فكرت أن آخذ حمامًا ساخنًا ثم آكل شيئًا مستعجلًا وآوي إلى الفراش، سأنام طويلًا، ربما عدت

إلى صوابي وتذكرت شيئًا.

لكن دقيقة. هذه المرأة الغريبة أنا لا أعلم عنها شيئًا، ماذا لو كانت لصة؟ لا أظنني رجلًا ساذجًا، أنا لص محترم ومحترف، سأذهب لأخرج كنزي بيدي من تحت

الأرض، وبما أني رجل سفاح فسأقتل عدة أشخاص هناك، حتى أستعيد حيويتي المنسية، ربما رائحة الدم تذكرني بما مضى، ورميت ما بيدي من كتب وأكياس،

ثم عدت راجعًا إلى مكان الكنز، تطلب الأمر سيرًا على الأقدام وقتًا طويلًا، غابت الشمس تمامًا وأصبح الجو رطبًا، وبدأت أشعر بالتعب، ولكني وصلت. كانت

مسكة تقف عند رأس حفرة كبيرة، حولها عدة رجال يحفرون الأرض.

- آها، ولماذا الخيانة يا سيدة مسكة، ألم نتفق على موعد آخر، أذكر أننا تحدثنا عن الغد، هل تذكرين؟

لم تكلف نفسها عناء الكلام، ولكنها أشارت إلى الرجال بيدها فقط، ووجدت نفسي أقع على الأرض وأتلقى بضع لكمات مؤلمات، غبت عن الوعي تمامًا ولا أدري

ماذا حدث، لكني عندما استيقظت كنت راقدًا على الرصيف أمام المستشفى، كان الجو صحوًا وشمس الصباح قد بدأت تستعر، وقفت على طولي وأزلت التراب عن

سترتي، تلفت يمينًا وشمالًا محاولًا استيعاب ما يحدث، لا بد أنهم وضعوني هنا قبل لحظات، لكن لا بأس، هذا الكنز اللعين لا يهمني كثيرًا، أنا سعيد بهذا

الوضع الغريب والمريب.

بعد لحظات، وقفت أمامي سيارة مظللة ولكنها كبيرة بعض الشيء، ترجل منها رجل محترم في نفس عمري

تقريبًا، تقدم نحوي بخطوات ثابتة وأنيقة، وقال: - كروق صديقي، اشتقت إليك كثيرًا.

ثم ضمني إلى حضنه، عصرني بقوة حتى أصدرت صوتًا مكتومًا.

- شكرًا، لكن من أنت؟

- أنا صديقك، ألم يخبروك في المشفى؟

- أنت صديقي؟

- أجل، لا بأس إن كنت لا تذكرني، سنبني لك حياة جديدة وجميلة. اعذرني لم أستطع المجيء لأخذك البارحة، حدث عطل مفاجئ في مكابح سيارتي.

حسنًا لقد ركبت السيارة مرة أخرى، ولكني كنت حذرًا:

- اسمع يا صديقي، إن كنت تبحث عن كنز ما فأنا لا أذكر، وإن كنت تريد وصفًا للمكان فهو في الكورنيش على بعد ١٢٠ خطوة في عمق ستة أمتار، لا أعرف شيئًا آخر.

أوقف الرجل السيارة فجأة، نظر إليّ بزاوية حادة، ثم انفجر ضاحكًا في وجهي، بدا الأمر أسخف ما يمكن أن يكون، هؤلاء الناس غريبو الأطوار فعلًا، لا أدري إن كنت فقدت ذاكرتي أم فقدت العالم أجمع، ولكني سأواصل مهما كان، ولنر ماذا يريد الرجل. أدار المحرك من جديد، واصل المسير حتى توقف أمام إشارة المرور، ساعتها التفت ناحيتي قائلًا:

- أنت بريء، لم تسرق قط، لقد تكالبوا عليك يا صديقي واستغفلوك، لقد كنت موظفًا ممتازًا في هيئة المياه، لكنهم فصلوك ثم اتهموك بالسرقة.

- هيئة المياه أم السكك الحديدية؟ ما هذا العبث؟

ثم استدار يمينًا واتجه ناحية الشمال، كنت أكتفي بسرقة النظرات نحوه من فينة إلى أخرى، أمر محير فعلًا ومقزز، من أنا؟

W

رجلان

(د. فرج الحسيني)

(١)

في هذا الحديث رجلان متضادان كأبين ما يكون التضاد، متشابهان كأوضح ما يكون التشابه، جمعتهما الأقدار معًا -كما سنعلم من هذا الحديث-في ثلاثينيات القرن الماضي.

هذا شيخ درويش من أغمار الناس يقال له "تمام البربوري"، ساذج الطبع طيب النفس نقي السريرة، طابت نفسه عن الحياة ولذاتها واستوى في قلبه نعيمها وبؤسها، ينحدر من إحدى القرى الواقعة في أقصى جنوب الإقليم، كان شيئًا بين الطول والقصر ممتلئ الجسم أشيب اللحية كثها، وكان قد جاوز الستين من العمر ولكنه احتفظ بروح الشباب وتمتع بالمرح الجم والدعابة الزائدة، ومع هذا أو لأجل هذا؛ كان قوي الجسم كثير النشاط، ويستعين بكل هذا في نسيان ما أصابه من محن وما ألم به من خطوب؛ وما قد يخبئه القدر من حوادث وصروف يخافها ويرغب فيها.

وهذا شاب من عائلة متوسطة؛ تنازع الأيام وتغالبها

لتصير عائلة مرموقة؛ يقال له "عويس"، حاد الطبع شديد الشكيمة، محزون النفس كاسف البال؛ قد همه

أمر ذو بال، ينحدر من إحدى القرى التي تقع في أقصى شمال الإقليم؛ كان حدثًا قد بلغ العشرين، ورغم هذا كانت روحه روح شيخ هرم يائس مقدم على الموت،

وكان طوالًا مفتول العضل قوي الساعدين، لوحته الشمس شأنه شأن أمثاله من الفلاحين الذين يحيون حياة الشظف والخشونة وشيء من جهل كثير.

كان الشيخ "تمام البربوري" يكاد يبخع نفسه ويذهبها حسرات كلما ذكر إثمه القديم، يتألم منه باكيًا ويتألم منه ضاحكًا ويتألم صامتًا، لا يكاد ضميره يطمئن ولا

شعوره يستقر من عذاب النفس ووخز الضمير، قد حبب إليه الزهد، ورضى لنفسه في الحياة أو رضي من الحياة أن يكون سقا؛ يسقي الماء للناس من قربته التي

كان يشدها بكتفه، ملقيًا على أسماع الناس أثناء ذلك ما يتغنى به من الذكر والمديح وطلب المدد من الأولياء والصالحين، ولا يفتر لسانه عن تكرار عبارته هذه التي

كان يتغنى بها بصوته العريض الذي يفيض حنانًا ورحمة: "يا دمال النبي... اشرب وصلِ على النبي"؛ يريد كلمة "جمال" لأنه كان من أهل قريَة هكذا تنطق حرف

الجيم.

وكان الشيخ أيضًا قد بارح قريته التي درج بها وعاش فيها طور الصبا والشباب؛ والتي اقترف فيها الموبقات وتورط بها في الآثام، وانتقل إلى مدينة قنا حيث مسجد

سيدنا عبد الرحيم القنائي؛ ليصبح بعد محاولات كثيرة مجاورًا في المسجد المذكور، وهناك اتخذ هيئة زرية

على نحو ما هو عليه هيئة الدراويش، وتتوالى الأعوام

ويصبح الشيخ سادنًا لمقام سيدي عبد الرحيم وخادمه الأمين، بل ووليًا يُتوسل إليه، وما يزال رب الناس يبتليهم بالخير والشر فتنة، وما يزال كثير منهم يرون

ذلك من بركة الشيخ تمام ونقمته، حتى كان صباح يوم العيد الحزين.

وكان للشيخ تمام مذهبًا في فهم التوبة وبلوغ مقامها، كان يريد أن يجزيه الله عن آثامه التي أتاها أيام الضلال في حياته هذه الهينة السريعة، ليرحل من الدنيا

أبيض الصحائف نقي الجرائد، لذلك كان إذا ألمت به نوبة من نوبات الندم والجذب -وكثيرًا ما كانت تلم به-أنّ وبكى ورفع عقيرته بالشكوى وهو يمد الحروف ما

استطاع إليه سبيلًا: "مدد يا آل البيت مدد.. ريحونا يا سيادنا... عاوزين نرتاح يا سيادنا"، وقد استقر في خاطره هذا المذهب من أقوال وعاظ المساجد، كانوا يقولون

له وللناس: "بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين".

أما "عويس" ذلك الشاب الفتي؛ فلم يكن شيئًا من ذلك، ولم يكن يشبه شيئًا من ذلك، لا متصوفًا ولا مريدًا ولا حتى من رواد المساجد، وإنما ربته الطبيعة كما

تربي الضواري في البراري، كان يسعى سعيًا حثيثًا لارتكاب الإثم الذي تضطر إليه العائلات وتفخر باقترافه، أو يود أن يهلك نفسه في سبيل أخذ الثأر والانتقام

البغيض، وهو لا يريد أن يثأر وحسب؛ بل يريد أن يثأر بطريقة أليمة تليق به وبعائلته، طريقة تشفي العلة وتروي الغلة وتنفي العار.

ورغم أن حياة عويس كانت هادئة وادعة؛ فإن الأيام تمضي والأحداث تحدث والخطوب تلم، وإذ بعائلته ترزأ ذات يوم في والده "عتمان"، حيث قتله عامل يقال

له "مسعود"، من عمال التراحيل الذين كانوا يجلبون لأداء الأشغال الشاقة من قرى نائية، وكانوا في هذا الموسم يحفرون قناة تمر بقرية عويس، ذهب هذا

العامل لملء إحدى الجرار من ماكينة الري؛ فوجد عندها نخلة طارحة بلحًا يوشك أن يطيب، فأخذ يرجمها بالطوب وترجمه هي بالبلح، وإنه لما هو فيه من الرجم

وأكل البلح، إذا بعتمان والد عويس يهرول نحوه سابًا وشاتمًا، وما هو إلا شتم ورد الشتم؛ وضرب ورد الضرب، ثم منجل تلعب به الأيدي، ثم تنجلي المشاجرة

عن قتيل مسجى وعامل تراحيل لائذ بالفرار؛ قد ترك العمل وهرب إلى قريته تلك النائية التي تتبع مدينة قنا، ثم ترك قريته وسكن بمدينة قنا غير بعيد من جامع

سيدي عبد الرحيم القنائي، وهكذا وجد عويس نفسه في ساعة واحدة يتيمًا بغير أب؛ مدينًا بدم هذا العامل، وقد تصدى لهذا الأمر بعزم وحزم منقطع النظير.

W

(٢)

وعلى ما ترى عزيزي القارئ من تضاد بين الرجلين (الشيخ تمام والشاب عويس) فإنهما يتشابهان في خلال كثيرة، كالمضاء الشديد؛ والعزم الصادق؛ والاستخفاف

بالخطوب وازدراء للمصاعب، وكلاهما رجل حزم وجلد وصلابة ورأي وإقدام، وكلاهما ثقة بالنفس لا حد لها،

وهما يسعيان إلى غاية قوامها الإثم، إثم ممض
يلاحق الشيخ ويمزق فؤاده، وإثم ممض يلاحقه الشاب الفتي ويمزق فؤاده، وهما يبتغيان إلى الله الوسيلة في معالجة هذا الإثم، فالشيخ يتقرب إلى الله ليتوب
عليه، والشاب يرجو الله أن يوفقه في اقتراف الإثم والظفر بعامل التراحيل، وكلاهما أظهر الآخر؛ فلولا الشاب ما عرفنا من أمر الشيخ شيئًا ولجهله التاريخ كما
يجهل الملايين في كل جيل وفي كل حين، ولولا الشيخ ما كان في حديث الفتى من العبر والزواجر شيئًا.
لم يُرى عويس في بلدته ليلة العيد وإنما أشرقت الشمس فوجدته في مدينة قنا محل سكن عامل التراحيل، وأما الشيخ فقد استبدت به خواطر الندم ليلة العيد؛
فأخذ يتوجع ويتفجع، ويقول بصوته العريض وفي لهجته الصعيدية القحة: "ريحونا يا سيادنا... عاوزين نرتاح عاد"، وينام وهو محموم مهدوم، فيأتيه سيدي
عبد الرحيم القنائي في المنام ليلقي عليه خرقة بالية، ويقول له في ابتسام يملؤه الحنان: "بكره عيدك يا تمام"، ويفيق الشيخ من نومه كما يفيق المجنون، وينطلق
يهيم في الشوارع وينادي بأعلى ما يستطيع من رفع الصوت: "مدد يا سيدي عبد الرحيم مدد" مازجًا صوته العريض بتكبير العيد الذي ترسله المآذن وتختلج به
جنبات المساجد.
نترك الشيخ في هيامه وصياحه بين الشوارع والدروب وسط لجة العيد، وننتقل إلى عويس الذي وجد له مكانًا

غير بعيد من دار "مسعود" عامل التراحيل؛ وقف
فيه يتربص متعللًا باضطراب العيد، وقد خرج العامل من مكمنه في غير احتياط ولا حذر؛ مطمئنًا بزحمة العيد، ممسكًا بحزمة من عيدان القصب، ثم أسند
ظهره إلى حائط من الحيطان، وأنشأ يمز القصب، وهنالك هجم عليه عويس على حين غرة؛ وأخذ بخناقه، وقال له في صدق وصرامة وحزم لا عوج فيه، وعيونه
تقدح بالشرر: "مسعود! أنا عويس واد عتمان قتيلك في بني عويس"، هنالك يضطرب مسعود اضطرابًا شديدًا ويصيبه الهلع المهلك، وتمر برأسه أطياف خاطفة
من الذكرى، طيفه وهو يرجم النخلة، وطيفه وهو يشاجر عتمان؛ طيف منجل يكون مرة في يد عتمان ومرة في يده، وطيفه وهو يفر هاربًا تاركًا وراءه صريعًا
مضرجًا بالدماء.
انتبه مسعود سريعًا من هذه الأطياف؛ فإذا به في يدي شاب قوي شديد البأس يملك رقبته ويغل يديه، وإذا فم مفتوح من هول البغتة، وإذا محاولة واضطراب
وغبار يثار، وإذا استئثار ونضال، وإذا يد تبطش ويد تدفع، وإذا مسعود يكافح الاختناق ويقول بصوت مبحوح: "سيبني يا واد هموت"، فيطلقه عويس ليأخذ
نفسًا عميقًا ولكنه لم يدعه ليرجعه.
هذا خنجر مرهف يغرس في سويداء قلب، وهذا لون أحمر قانٍ يتفجر من صدر، وهذا شهيق بغيض مؤلم يسمع من حلق، وهذه نظرة شزراء جافية وعيون
جاحظة كريهة عليها أمارات الجذع وآيات الذهول، وهذه آهة منكرة مفجعة تخفت قليلًا قليلًا، وهذه أنة بشعة

موجعة تنتهي إلى خفوت لا معنى له، وهذه جثة
ملقاة تعالج الخفق وتجود بآخر أنفاسها، وهذه روح توفت حظها من الحياة، وهذا عويس ينثني على القتيل فيقطع ذراعه من حد الكتف، يريد هذه اليد التي هي
برهان لعائلته قبل أهل قريته، وهؤلاء جماعة يرون المعمعة ويهمون أن يتقدموا، ولكن أعوان عويس لم يدعوهم يتقدمون، أطلقوا النار محذرين من طبنجات
لهم، وهذا ذعر وصراخ وعويل، وهذه زوجة تلطم وتندب وهؤلاء نسوة يواسينها في شيء من العنف.
ها قد أدرك عويس النُجح ونجز مراده الصعب، ولم يبق له ولا لأعوانه إلا الفرار، فأما الأعوان فقد فروا بذراع طري يقطر دمًا، وما هو إلا شارع أو شارعين حتى
ابتلعتهم حقول الذرة التي لا تنتهي، وأما عويس فلأمر يراد؛ التبست عليه الطرق واشتبهت عليه المسالك، فكان يفر إلى وسط المدينة لا إلى مهارب الأطراف، وإنه
لما هو فيه من جد الهرب والناس يطاردونه ويلاحقونه، إذا بالشيخ تمام قادمًا يهرول من الناحية الأخرى متغنيًا بصوته العريض: "مدد يا سيدي عبد الرحيم
مدد"، فيرى الجموع الهادرة مقبلة خلف عويس وهي تصيح وتدبدب بأرجلها وتلوح بعصيها، فيستدير ويجري مع عويس كأنما يسابقه بل يكون هاديه وقائده،
ممعنًا مع ذلك في النشوة مفرطًا في النشاط؛ مغرقًا في الضحك أيضًا، لا يشك من يراه لأول وهلة أنه رجل مجنون مأفون، وهو يسلك به الدروب الضيقة الملتوية
التي تضيق بالناس وتعيق الأعداد الغفيرة، وينتقل من شارع إلى شارع، والشارع يسلمهما إلى حارة، والحارة

تتخاذل وتنتهي بعطفة مسدودة.

هنالك صعق عويس ودهش الشيخ ولكنه أنشأ يطلب المدد، ثم نظر كل منهما إلى الآخر، وإذا هما يدفعان بابًا أمامهما ويدخلان الدار بسرعة خاطفة، ويغلقان

الباب من دونهما بغلق نخل ثقيل، بعدما أوشكت جموع الناس أن تبلغهما.

W

(٣)

قال الشيخ تمام لعويس في عطف باسم وفي صوت حزين: "من أنت وماذا فعلت يا ولدي؟" قال عويس في جذع: "وانت ما لك كفياك وديتني في دهية"، قال

الشيخ في هدوء ودعة: "يا بني إنك لا تدري ماذا يراد بك من الخير، فقل لي من أنت وماذا فعلت"، قال الشاب في زهو متواضع حزين: "أخذت تار أبوي من اللي

قتله"، قال الشيخ وقد اضطربت أعطافه وانهلت من عينيه الدموع: "أقتلت نفسًا يا ولدي؟ أأزهقت روحًا يا بني؟ عجبًا للذين يزدهون بالقتل وينامون ملء

الجفون"، ثم قال وهو يمسح صدر عويس ويرده إلى الهدوء: "إن هذا يا ولدي لشيء يراد، ولقد بشرت بمنام انتظرته سنوات وسنوات، فلا تأس من روح الله،

فقد شملك برعايته ومد في عمرك تتوب عن خطيئة القتل، وكان يمكن أن تكون قتيلًا بدلًا من أن تكون قاتلًا" قال ذلك واعترته نوبة من الندم فأخذ يبكي ويعول

ويقول: "مدد يا سيدي عبد الرحيم مدد".

وجاء عسكر الشرطة يركبون الخيول بملابسهم المهيبة وعلى رؤوسهم الطرابيش، وأمامهم خفر كثيرون

يطردون الناس بالهراوى ويفسحون الطريق، كانت وجوه
الجميع كالحة جهمة بائسة، حتى في يوم العيد كانت ملابس الخفر تدل على الفاقة والضعة، وقد تحدث الضابط -وكان حانقًا مغيظًا-في حزم وجبروت مع من
بالدار بزجر شديد حتى فتحوا الباب.
ويدهش الناس حين وجدوا وليهم المبارك الشيخ تمام جالسًا في اطمئنان مع عويس، وقد أراد الضابط أن يخلي سبيله، ولكن الشيخ أبى وألح في الإباء، وقد اشتد
دهش الناس حين رأوا بكاء الشيخ الشديد وهو يمد يديه في صدق؛ ويرجو الضابط أن يضع فيهما الأصفاد، وبلغ عجبهم مداه حين سمعوه بلهجة المعترف
النادم: "أنا قاتل يا بيه، والله العظيم قاتل، أنا معترف أنا قتلت يا بيه"، ولكن شيخ الخفراء ينهر الشيخ ويرده إلى الهدوء ويقول له في عنف وفي عطف: "اسكت يا
مولانا الشيخ هتودي نفسك في دهية"، ويقول للضابط في مذلة واسترحام: "متصدقوش يا سعادة البيه دا راجل بركة ميعرفش عيقول ايه"، ولكن الضابط يأخذ
الشيخ "تمام" لإتمام المحضر، في منظر يبعث على السخط ويبعث على البكاء.
قال الضابط للمأمور في أدب شديد: ما رأيك سيادتكم في القضية، وبمَ تفسر اعتراف الدرويش؟ قال المأمور للضابط في شيء من الحيرة وفي اعتداد كبير: لا بد أن
وراء ذلك سر كبير، فلا تعبأ بالناس وما يقوله الناس، الكرة الآن في ملعب القضاة، وسأقوم بإحالة القضية

للنيابة بل سأسعى لكي تكون التحقيقات في مديرية
أخرى حتى لا يثير ذلك بغض الأهالي وموجدتهم، فهم لا يعرفوننا إلا قاهرين جائرين، ولا يعرفون أن من قهرنا وجورنا ينامون ملء الجفون، ومن قهرنا وجورنا
يمرحون ويتاجرون، حتى الغواني من قهرنا وجورنا يُسمّنّ الروادف ويضيقن الخصور.
وفي أسيوط قال المحامي لعويس إن موقفك في القضية خطير جدًا، وخير لك أن تتهم الدرويش بأنه حرضك على الفتك بمسعود، أمدك بأداة الجريمة ودلك على
القتيل، هذا جدير أن يخفف عنك الأحكام، وكانت أخلاق عويس تخول له أن يقول الزور من أجل النجاة من حبل المشنقة.
أما الشيخ فكان راضيًا دائمًا، مشغولًا دومًا بالأحزاب والأوراد والذكر والتسبيح والابتهال، قد حقق معه وكيل النيابة ساعات طويلة فما ظفر منه بشيء، كان
يستخرج منه الكلمات بجهد جهيد، كان يسأله: هل قتلت أحدًا ما؟ فيجيب بعد طول صمت: نعم، يقول له: من هو؟ فيجيب بعد لأي: هو سبحانه علام
الغيوب، وهكذا استغرق التحقيق ساعات طويلة، ومر شهر وشهر وشهر وأصدر القاضي حكمه المؤلم الصارم على الشاب الفتي والشيخ الدرويش.
ويخلو عويس بنفسه ويفكر في الزور والبهتان الذي تجنى به على الشيخ، ويفكر في سيرة الشيخ معه؛ إنه لم يحس بغضًا منه ولا حنقًا، ولم يسمع منه عتابًا
وملامًا ولم يلق إليه نظرة عتاب، إنما كان رفيقًا به

عطوفًا عليه، ولقد علمه الصلاة واستظهره بعض آيات القرآن وحفظه بعض الأوراد.

ولقد هم عويس بعد أن أحس بالندم الشديد، أن يسأل الشيخ عن إثمه القديم الذي صرح ذات مرة ولمح به مرات، وعن سجنه الطويل الذي سيقضيه بغير

جناية فعلها، فكان وقار الشيخ يرده دائمًا إلى الصواب، ولكن الشيخ لم يدعه يتردد كثيرًا ويحتار، قال له ذات مرة بصوت هادئ حزين: لست حانقًا عليك يا

ولدي ولا غضبان، فإن الذي أنطقك الزور هو الذي هدانا إلى الطريق المسدود وهو الذي أجراني معك وأيقظني في فجر العيد، ولقد بقيت أعوامًا طوالًا أتضرع إلى

الله أن أنال هذا القصاص، وكنت أقدر أن لو استجاب الله لي فسأموت راضيًا مقتولًا أو مخنوقًا أو غريقًا في إحدى القنوات، ولكن الله خفف عني بالسجن أعوامًا

هينة مهما تكون طوالًا.

ثم قال الشيخ بصوت يقطعه البكاء وتبلله الدموع: وتريد أن تسألني يا بني عن إثمي القديم، فقد كنا ثلاثة أتراب نقترف الآثام ونأتي المحرمات ونحن في مثل

شبابك النضير، كنا شيوخ منسر (أي أكابر حرامية) نسرق بالحيلة وننهب بالقوة، كنا نسرق محالج القطن والأجران والبهائم وننقب البيوت وحتى خيل الحكومة

سرقناه، ولذلك كانت لنا سطوة ورهبة في كل جنوب الإقليم، ولم نكن أصحاب خلق واحد؛ بل كنا أصحاب خلائق ثلاثة، فأما أنا فقد كنت مغرمًا بشرب

الحشيش، أنفق فيه نصيب السرقة وأستدين، وأما "زين" فكان مهذارًا متلافًا كلفًا بلعب القمار؛ ينفق فيه

نصيبه ويستدين أيضًا، وأما "عواد" فكان ماجنًا فاجرًا
زير نساء، وكانت له في ذلك خطوب وأحداث، ينفق نصيبه على بائعات الهوى؛ فإن نفد المال من يده؛ استباح هتك الأعراض.
وهكذا مرت أعوام وأعوام حتى كان اليوم المنكود، الذي أنبت في قلبي القهر وأذاقني مر العلقم، كنا قد عزمنا على سرقة بيت ناءٍ تحت جنح الظلام، فأما "زين"
فقد كان يراقب الطريق، وأما "عواد" فقد نقب الجدار، وأما أنا فدخلت متلصصًا أجمع الأشياء، وقد وجدت زعيم الدار نائمًا مكدودًا على حصير، وزوجه لاغبة
جواره تغط في نوم عميق، وغلام لهما قد تدحرج عن الحصير كما هي عادة الصبيان، وبينما أنا منهمك في الجمع والضم؛ إذ بي أطأ يد الغلام، فيفيق متألمًا داعيًا
من يسقيه الماء، ولكن نوم الشتاء كما تعلم يا ولدي ثقيل، لم تسمعه أمه ولم يسمعه أبوه، فأسير أنا في رفق وأناة وأناوله كوب ماء كان موضوعًا على دن
هناك، وما كنت أحسب أن الصبي يرى في الظلام، وما كنت أدرك أنه يميز بين خفق الأقدام، وما كنت أحسب أنه يخاف كل هذا الخوف المهلك من الغيلان.
إني لأقدم للغلام الكوب في رفق وحنان، فإذ به يرى بريق عيني من بين اللثام، فيفزع فزعًا شديدًا ويصرخ صراخًا عاليًا، وإذا باليد الآثمة التي أرادت أن تسقيه الماء
تطبق على فمه إطباقًا، وإذا بجسمي الثقيل يهوي على جسمه النحيل، وإذا بالحياة فيه قوية شديدة تجاهد الموت كل الجهاد.
آه يا ربي لم خلقت الأنف والفم متجاورين؟

فإن اليد الآثمة التي أطبقت على فم الغلام جاوزته إلى هذا النتوء الذي يستنشق منه الهواء، وإذا الغلام مضطرب يكافح الاختناق ويجاهد الموت، وإذا أنفاسه تهدأ

رويدًا رويدًا، وإذا جسمه يسكن شيئًا فشيئًا، وإذا الحياة تسلم دورها للموت كما يفعل عسكر الدرك، وإذ أسير ساهمًا في بعض الطريق مع صاحبيّ، رافضًا أخذ

نصيبي البخس شديد الغلاء، فيمضيان وهما يمرحان، وأمضي أنا وحيدًا إلى مرارة الندم وعذاب الضمير.

ولقد كرت الأيام ومرت الليالي حتى رأيت صاحبيّ اللذين أصرا على إثمهما قد انتقم الله منهما وأذاقهما من الفقر والأمراض شيئًا كثيرًا، وأما أنا فقد ندمت ندمًا

شديدًا، وعزمت ألا أعود إلى الآثام، ثم وجدت طريقي إلى مقام سيدي عبد الرحيم تائبًا منيبًا إلى الله.

ومهما بلغت قسوة الحياة عليّ يا بني في سالف الأيام؛ ومهما تقسو في مستقبل الأيام، فلن تبلغ مني مبلغ نظرة الصبي إليّ وهو بين الموت والحياة.

W

كائن آتٍ

(هشام أحمد الشامي)

لا أعرف من أين أبدأ وكيف أنتهي أيها الغرباء. أنتم لا تفقهون مني قولًا، تريدون أن أكتب لكم كل شيء حولي وما أشعر به، نسكي ومحياي، طريقتي في تقبيل

زوجتي، ماذا أتصفح على الهاتف وأنا جالس فوق المرحاض.

حسنًا.. أنتم لا تسمعون، ربما تحدثون أنفسكم بالإشارات أو بالأفكار وربما بالقراءة والكتابة. كتبتم وطلبتم مني أن أسطر لكم تفاصيلي الصغيرة، عادات وأفكار

بيتنا الصغير، وعن القطة التي تتسلل كل يوم وتجلس جوار باب المنزل.. لكني لن أحدثكم عن نفسي أو حول شارعنا ذي القنبلة التي زرعت فيه ولم تنتزع حتى الآن.

دعوني أسرد لكم قصة، إن فقهتم ما فيها. إن استنبطم منها شيئًا فهنيئًا لكم كوكبنا بعقوله. أعدكم إن أولتموها بفصاحة فلن يغلبكم أهل شيكاغو.. القصة

حول مدينتنا الوعرة التي أتى إليها الخبراء من كل البقاع وفشلوا في حل طلاسمنا.

هرب الحمال بحمولتنا المزجاة، شعير ومماحٍ وحزمة من الأوراق.. بحثنا عنه ليلًا ونهارًا.. مدينتنا محاطةً بأسوار شاهقة، أمام البوابات حراس أشداء لا يغمض

لهم جفن. أبواب مدينتنا ثلاثة، لم يخرج الحمال من باب الخروج ولا من باب الولوج ولم يهرب من باب الزوار كما

أفادت صحيفة صفراء. وبالخارج صحراء
عظيمة تحيط بأسوار مدينتنا. وإن امتلكت دابة لرفع الحمل فلن تستطيع أن ترفعه. وإن امتلكت دابة قوية مثل دواب السلطان فلن ترضى إلا بحمل الثمين
"فالحمار المحمل ذهبًا يصل به لأي مكان".
وتجول المنادي داعيًا في أنحاء المدينة ليقول: "آخر من رأى الحمال عليه الذهاب إلى القاضي".
جاء إلى دار القضاء ثلاثة أشخاص.. غلام وامرأة وشيخ.
أجابهم الشيخ وتذكر..
قبل صبيحة يوم السوق بساعات، مع الليل جلس الشيخ فوق دكته الخشبية عند أعتاب بيته واشتم رائحة الحمال قبل رؤيته. اقترب الحمال وهو يتلفت يساره
ويمينه، وعلى كتفه أحماله التي جعلته يسير مترنحًا بتؤدة.
توقف أمام الشيخ والتقط بعض الأنفاس. دعاه العجوز ليشرب معه كوبًا من الشاي. أرخى حمولته وجلس ليسأله الشيخ حول سبب تلفته في الظلام. فقال
الحمال..
وقت الغروب والضوء يتوارى خلف الأرض سمع أنين بالأعلى. نظر ليجد الشمس تئن على حالها عند أطراف البسيطة خلف سحب متراصة تتدفق إليها سحب
أدخنة مصنع لعب الأطفال. وهبطت ولم يتبق منها سوى هذا الخيط الأرجواني الدقيق.
ثم ودع شمسه وسحبه وأدخنته ليعاود سيره مع حضور الليل ورآها أمامه. هذه الجنية بشعرها المتلاحم مع

الظلام ووجهها الأبيض اللامع وثيابها المرمرية.

ابتسمت له وفتحت ذراعيها في ترحاب. توجس الحمال. ارتبك وكادت حمولته أن تسقط..

كان يحلم بها وقتما كان يئن ويبكي من ثقل حمله. كان يريد إلقاء ما فوق كاهله بعيدًا ويعدو إليها في شوق لتحتضنه ويختفي بها من العالم. نظر لها وأكمل

مسيرته وقال: "ربما ألتقي بمن هو أفضل". ابتعد وظلت هي واقفة مصلوبة الذراعين.

ترك كوب الشاي ممتلئًا كما هو ووقف وتناول حمولته وتلاشى وسط الظلام..

ثم سألوا المرأة لتقول وتحكي..

رأت الحمال ما بين الظهر والعصر قبل السوق بيوم. يمشي بين الناس كأنه جزء منهم وهم جزء منه، ولا يعيرونه اهتمامًا ولا بما يحمله. فقد اعتادوا رؤيته كل

يوم. في البداية كان لهم رغبة في المساعدة، فكان هناك من يتناول الأحولة من فوق الأرض ليناولها للحمال ويضعها فوق كتفه، عندما كان فضولهم يدعوهم

لاكتشاف ما بداخل هذه الأحولة. والآن بعدما عرفوا مات فضولهم ولم يعد للمعرفة مأوى.

تابعت رأسه المنكس، فوق كتفيه حوالان أحدهما من الشعير والآخر داخله أوراق، وعلى رأسه كيس فيه مجموعة من المماحي.

نادته وسألته: "هل تناولت غداءك؟". أشار بالنفي وقال: "لم آكل منذ أمد. لم أسأل أحدًا ولم يدعوني فرد".

أدخلته بيتها وتوجهت إلى المطبخ.. وهي تعد الطعام سمعته يدندن وينشد: "اليوم كائن والغد آتٍ".

بيدين تحمل صينية فوقها خبز وكوب من القهوة وآخر من الماء عادت إليه لترى اختلاف قسمات محياه. اختفت بعض تجاعيد وجهه. نظر لها وقال وهو يبتسم: "لم أر أحلامًا منذ بداية عملي. الآن وبعد غفوتي رأيت"..

في وقت قاتم لا هو ليل ولا نهار يمشي على طريق، يساره جبال وعلى يمينه أكوام من العظام الآدمية. مر على ثلاثة جبال. أحدها يحمل ذهبًا وجبل بباطنه حديد

وثالث يستخرجون منه التراب، داخلين بأجولة فارغة خارجين بها ممتلئة ليقذفوها إلى السماء فتختفي أجولة الذهب والحديد وكذلك التراب، وتهبط من السماء

أجولة أخرى فارغة وهكذا.

الجبال عامرة بالعاملين إلا من جبل رابع أعلى منهم جميعًا.. اقترب منه حتى رأى بغلة صفراء تنظر له بعينين حمراوين، قالت له وهي تشير برأسها إلى الجبال

الثلاثة: "اختر جبلًا". نظر إلى قاذفي الأجولة وقال: "وما فائدته إن كان خيره يذهب سدى". ضحكت لتقول: "ربما إن صعدت بأحمالك يتناثر الذهب ويغتني الفقير.

ربما الحديد يجعلهم أكثر قوة. إن تناثر التراب فوق العظام قد تعود الأبدان إلى الحياة.. ولماذا لا تصعد لهذا الجبل العالي ليأتيك الصغير ويشتري بضاعتك،

يسطر فيها ما يشاء ويمحو ما يريد ويطعم الجائع ويروي الظمآن بشعيرك. قد يمسك بقبضة يده التراب والحديد والذهب فيلقيه ويصير هذا الطريق نورًا". نظرا

إلى حمالي الذهب والحديد والتراب وأشارت البغلة إلى الجبل الأصم فوقها وقالت: "إن لم تصعد إلى قمة الجبل فلن تكتشف جمال الأرض. امض في طريقك ولا

تنس الصبي. عد إليه حتى وإن لم ترضيك إجابته". سار الحمال بضع خطوات ونظر خلفه ليرى البغلة وهي تتبخر ويصعد معها صوت يشدو ويقول: "اليوم كائن والغد آتٍ".

سألوا الصبي فأجاب وروى..

رآه صباح يوم ما قبل السوق وهو يحاول رفع بضاعته. هَم الصبي كي يساعده. "أنت صغير لا تقوى على رفع حملي، لكن سأقص لك أحجية إن حللتها فسوف أعطيك أثقالي دون مقابل لتفعل بها ما تشاء..

قارب فوق سطح البحر عليه ثلاثة أفراد. شيخ وامرأة وصبي، رابعهم زاد يطعمهم، ورحلتهم شاقة وبعيدة. وكاد أن يغرق بهم القارب. فيجب الاستغناء عن واحد منهم فعن من نستغني؟".

وقف الفتى يفكر. نظر إلى الحمال وإلى نفسه وقال: "الشجرة العاقر لا يقذفها أحد بحجر". ضحك الحمال ورفع حمولته بنفسه وقال وهو يرتحل بعيدًا عن الفتى: "شجرة عاقر وسط صحراء خير من شجر مثمر داخل حديقة غناء بلا بشر".

قبل ارتحال الفتى من دار القضاء سأل الحاضرين: "هل لديكم حل للغز؟". قال أحدهم: "ألقوا بالفتى". تعالى صوت آخر: "لا داعي للمرأة". ووقف ثالث بلحيته وقال: "إن خير الزاد التقوى". وقال الرابع: "رفقًا بالشيخ". وأغلق القاضي هذه القضية لعدم ثبوت الوقائع وخشية من الفتنة.

وحتى الآن لم يتوصلوا لإجابة. لم يتفقوا وإن كان الجواب صادمًا..

أيها الفضائيون هل عرفتم الإجابة.. هل اتفقتم؟

W

ف المعتقل والدنيا نهار..

(محمد البشير عبد الحليم)

"إنتوا دود الأرض والآفة المخيفة

إنتوا ذرة رمل ف عيون الخليفة

إنتوا كورباج المظالم والمآسي

إنتوا علة ف جسم بلدي.. إنتوا جيفة"

أحمد فؤاد نجم

بلدي وحبيبتي

القاهرة - ١٩٦٧

(١)

إنه شهر يونيو بقيظه المحرق وجوه الكاتم الخانق.. إنها ستينيات القرن العشرين المقفرة.. بسنواتها العجاف وقيظها الملهب وشمسها العنيدة، إنه صيف القرن

العشرين القاحل بنسماته الحارة الكالحة.. استيقظت في ساعة متأخرة من النهار بعد سهرة غنائية ثقافية حافلة تغنينا فيها وزملائي بأعذب الألحان التراثية

والثورية وألقينا شعرًا مختلف اللون والمواضيع ومتشابهًا في عمق المعنى وسهولة وصول الإحساس المراد في نفس المستمع.

نهضت عن الفراش الخرب بملاءته الممزقة ووسادته الحديدية المؤلمة وأنا أحاول جاهدًا أن أبقي ناظري على الطريق أمامي بدلًا من البحلقة في الجسد العاري الممدد

على السرير. توجهت إلى الحمام وأفرغت مثانة امتلأت بسرعة بسبب السكر البغيض وكانت قد اشتكت طوال الليل مؤرقة عليّ نومي، ثم نظرت إلى وجهي في مرآة

الحمام المنكسرة.. لقد بدأ الشيب يدب أوصاله في رأسي وشاربي! مرحبًا بنذير الموت، فقد أوشك العمر على الانقضاء.

جلست على الأريكة القديمة التي ما زالت تحمل أثرًا لبقايا طعام سهرة الأمس. كنت أشعر أن ذلك اليوم لن يكون كأي يوم مضى.. هناك شيء مختلف. شعور

غريب يراودني منذ سهرة أمس الصاخبة، لأول مرة نتناول وجبة الكباب في سهراتنا تلك! واكتظت السهرة بالحديث الصاخب الغاضب من المسؤولين والساخط

على أوضاع البلاد وأحوال المواطنين. وبدأ صديقنا الشيخ سيد بالعزف على أوتار عوده الرائعة وأنشدنا خلفه أغاني حماسية قد لحنها بنفسه وكتبها بعض الزملاء

الآخرين فكان يهتف ونردد من خلفه:

"إتجمعوا العشاق في سجن القلعة.. اتجمعوا العشاق ف باب الخلق.

والشمس غنوة من الزنازن طالعة.. ومصر غنوة مفرعة ف الحلق.

إتجمعوا العشاق في الزنزانة.. مهما يطول السجن مهما القهر.

مهما يزيد الفجر ف السجانة.. مين اللي يقدر ساعة يحبس مصر!"(1) كان صوته الملهم يثير حماستي والأصدقاء، نغني كأن الموت ينتظرنا خلف عتبة الباب.

مين اللي يقدر ساعة يحبس مصر؟ ولا حد.

قمت بسرعة نحو الغرفة لأطمئن على عاريتي المدللة النائمة في أحلامها الوردية.. هي كالملائكة أثناء النوم.. وشيطان أقرع عندما تصحو! ولكني أحبها في كل حالاتها

وخاصة أثناء نومها.

توجهت إلى خزانة الملابس واستخرجت منها أفخم ثيابي وأغلاها وأنا لا أعرف بعد إلى أين سأذهب، ولكن هاتفًا يهتف لي أن أرتديها بسرعة.. وفعلت.

ارتديت الثياب على جسدي الهزيل الهش وصففت شعري البني شديد الخشونة وهذبت شاربي المختلط بخيوط الشيب البيضاء وتعطرت أيضًا، وتمنجهت آخر

منجهة ثم وبكل عزم جلست على أريكتي مرة أخرى!

كان صوت أذان المغرب يملأ أرجاء المكان من حولي. كانت ابتسامتها تدور في خلدي، تذكرت في تلك اللحظة كل الذكريات الحلوة والمرة التي تجمعني بها. أول لقاء..

أول حديث وأول ضحكة، أول قصيدة أنظمها لها، أول قبلة أخطفها من خدها المهذب الخجول.. ويوم زفافنا المهيب!

مرة واحدة ودون أي مقدمات أو إنذارات ضُرب باب الشقة بقوة أفزعتني وأخرجتني من خيالاتي وترهاتي تلك. لم أخف من مناظرهم المهيبة وأجسادهم المفتولة

وبذلاتهم السوداء ونظاراتهم الشمسية ورابطات العنق الكبيرة التي تلتف على عنق كل فرد منهم كأنها حبل مشنقة. لم أكن خائفًا، لا شيء يخيف على الإطلاق..

إنهم زوار الليل المعتادون وخفافيش الظلام.

خرجت حبيبتي مفزوعة من حجرتها تلتف بملاءة حول جسدها وعلى وجهها علامات الفزع والقلق وتساءلت.. من هؤلاء يا نجيب!

طمأنتها وأخبرتها بأنهم بعض الأصدقاء لا غير، وأخذتني نوبة ضحك شديدة حتى انهمر الدمع من عيني. تعجب الضباط من أمري وهم يقودونني إلى السيارة

السوداء المنتظرة أمام مدخل العمارة الصغير واحتاروا في سر تلك الضحكات الغريبة.. لهم الحق في التعجب، فأنا أيضًا أصابني الذهول من تلك الضحكات..

فازددت ضحكًا!

W

(٢)

دفعني الحراس بكل غلّ وكراهية وعنف بعد أن نزعوا عني تلك العصبة السوداء إلى زنزانة حجرية خانقة بها بعض الرفاق المجهولين والمنبوذين في الأرض. توقفت

لحظة قبل أن أفتح عينيّ لكي لا تؤلمني من اندفاع الضوء إليها، ولكني اندهشت عندما فتحتهما لأول مرة فلم أجد ضوءًا في الزنزانة من الأصل!

إنها حجرة واسعة كبيرة تفوح منها رائحة الفضلات المعبقة الثقيلة مبنية من حجر عتيق داكن اللون. أغلق باب الزنزانة بعنف ثم التف حولي زمرة من المحبوسين

المتعرقين المرثي لحالتهم المبكية للأعين فاطرة القلب، فكل منهم يحمل على جسده آثار تعذيب وضرب وجلد شديد. بدأوا يسألونني وفي أعينهم لهفة التعرف على

الزائر الجديد كالطفل الذي يتوق لاستكشاف لعبته الجديدة..

-شيوعي؟

-علماني؟

-بالطبع إخواني؟

وكانت إجاباتي على كل سؤال هي.. لا. احتار الرفاق في أمري وتساءلوا عن الذي قد أتى بي إلى هنا إن لم أكن شيوعيًا أو إخوانيًا وكانت ملامح وجوههم وعليها تعبير الدهشة تثير سخريتي عندما سمعوا مني الجواب..

W

(٣)

قادني الشاويش عبد البصير، وهو كهل يقرب عامه الستين قصير القامة له وجه نوراني وشعر خفيف وشارب كثيف كلاهما ناصع البياض، محني الظهر تحت وطأة السنوات وطبيعة العمل، تتعلق آماله بيوم إقالته.. هكذا أباحت الدائرة السمراء المحيطة بعينيه الحزينتين.. قادني الرجل إلى مأمور السجن المعظم والمفوض من الرب شخصيًا بإدارة السجن وحماية البلاد والثورة المجيدة واسم حبيب الملايين من التدنيس والخوض بالحديث عنه. إنه فتى في منتصف العقد الرابع من عمره يافع له صلعة حديثة وشارب خفيف كشارب المشير المظفر.

- أهلًا بالفنان..

قالها بسخرية فازددت سخرية:

- يا مرحبًا بالمعجبين..

ضحك.. وضحك الشاويش على ضحكته وتبعهم الحرس الوقوف محملين بالبنادق على أكتافهم وضحكت أنا أيضًا..

- طيب ما تفرح معجبيك كدا وتسمعنا حاجة من قصايدك.

سكت لوهلة وفي فمه سيجارة مشتعلة ثم استأنف قائلًا:

- قل لنا القصيدة المدهشة اللي قلتها لأصحابك ليلة امبارح..

قالها بلؤم وخبث شديد.. فقلت في تحدٍ لبذلته ونجومه ونسوره النائمة على كتفيه بعد أن ملت التحليق في سماء البلاد: يا ثورة الشعارات والكدب والتهليل

يا شعب خد ع الزمر والرقص والتطبيل

رزق الحرامي انكتب ف الدنيا ع المخابيل

كشفت شعري ودعيت ع الباغي والجبار

يا شعب خايب ومعرض نفسك لخازوق

خالت عليك الخدع والمكر والملفوق

دلدل ركابه الأغا واتكاتروا ياما لفوق

والثورة ف المنتهى منسوبة للثوار!

يا شعب عايش ع المغنى وكام طبلة وعود

منهوبة أموالك علنًا بمسمى وعود

وتسلي نفسك ف تغني طريقك مسدود

وكل مرة تتوه بردو ف نفس المشوار!

يا شعب يا متهان..
وتهمتك إنسان..
شيوعي أو إخوان..
واتلموا ف المعتقل جمعًا واضرب بالنار
يا شعب جاهل بتدروش وتدق الزار
خدعوك فقالوا إنها ثورة وضباط أحرار
وعدوك بزفة يتقصع فيها المندار
يا شعب فكر واستعبر وافهم يا حمار(2)
W
(٤)
لم أدر ما الذي حدث! فتحت عيني ببطء لأنني لم أقو على مقاومة ثقل الجفون، وشعرت بألم شديد في مؤخرة رأسي ولزوجة وكأني أضع رأسي في بركة مياه.
التف المساجين من حولي بعد أن قال أقربهم مني مكانًا:
- فاق يا جماعة..
فتهللت أسارير السامعين وتمتموا بكلمات الحمد والشكر ثم التفوا من حولي وأجلسوني وأسندوني للجدار ورائي.
- إيه اللي حصل!
هكذا تساءلت بصوت محشرج ثقيل وأنا أتحسس مؤخرة رأسي والتي اكتشفت أن الدماء تسح منها.
- باين عليك متعب أوي يا اخينا.. دا زعيق المأمور كان

واصل لحد هنا.
فقلت وأنا أحاول استجماع الأحداث وترتيبها لأتذكر ما حدث:
- المأمور؟
ثم قال نفر آخر:
- الشاويش عبد البصير هو اللي جابك هنا وانت غرقان ف دمك ومش دريان بالدنيا.
لقد تذكرت ما حدث.. تذكرت وجه المأمور المكفهر وعينيه اللتين كانتا ترميان بشرر كالقصر أثناء إلقائي لقصيدتي، والضربة التي هوت على رأسي فور انتهائي.
كانت ملابسي ممزقة وملطخة بدمائي، ووجهي به كدمات وكذلك سائر جسدي وعلى ظهري بعض علامات للسياط الملتهب. اشتطت غضبًا وصرخت وأنا أحاول النهوض من مجلسي عاجزًا عن ذلك:
- المجرمين الأوغاد.. بيقولوا أعداء الثورة، ومفيش أعداء للثورة غيرهم.
قال أحد الحضور ومن هيئته يبدو أنه أكبرهم سنًا:
- كلامك دا ياما قُلناه.. مش هيفيد بشيء.
- يعني إيه.. خلاص يئستوا!
قلتها بجزع وأنا أنظر إلى العجوز الذي أشاح بناظره بعيدًا وهو يقول ببؤس: أمانة يا ليل تقول للفجر يستنى..
فصرخت فيه مذهولًا:
- يستنى ليه! ما هو بقاله ١٣ سنة، خليه يغور بقى.
دخل الزنزانة في تلك اللحظة الشاويش الكهل عبد

البصير الذي اتجه إليّ مباشرة وهو يقول بحزن: - استحمل يا ابني اللي بيحصل واسكت.

فازداد جنوني وصرخت فيه وفيهم:

- أسكت ازاي! وإنتوا ازاي ساكتين كدا؟

فقال الرجل في عجز واضح:

- عايزنا نعمل إيه يعني!

- إتكلموا.

- مينفعش نتكلم.. منقدرش، إحنا هنا كلنا صم بكم عمي.

- عمي يا عبد البصير!

خجل العجوز من كلماتي ولم يعقب فقلت له محفزًا إياه:

- بإيديكم تشيلوا المأمور.

- هيجي ألف غيره.. دول مبيخلصوش.

- ولا احنا بنخلص.

- يبقى هتموتوا..

ذهلت من رد العجوز على كلامي.. ارتسمت على وجهي ملامح الاندهاش وتقافزت أمام ناظري علامات التعجب والذهول. نظرت تجاه السجناء فإذا بهم يتهربون من النظر إلى عيني.. ربت أحد الملتحين على كتفي وهو يقول:

- قول يا رب.

فاستشطت غضبًا على غضبي وصرخت حتى بح صوتي وانتفخت العروق على جانبي عنقي حتى كادت تنفجر واحتقنت عيني من فرط الانفعال: - وهو فين

الرب!

- موجود.

- ولما هو موجود مش بيتدخل ليه! مش اسمه الحق والعدل والرحيم والجبار وغيره.. فين الحق دا؟ فين العدل يا بلد كافرة! فين الرحمة في قلوب المسؤولين! فين

جبره لقلوبنا اللي اتكسرت واتفتت مية حتة!

وفجأة سمعنا نداءات صارخة تأتي من غرفة التعذيب المجاورة لزنزانتنا.. سمعت الصوت الصارخ الباكي وهو يقول تحت وطأة الألم: "ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.."

وبتلقائية ودون إرادة انخرطت في نوبة بكاء عميقة.. بكيت حتى ابتلت ملابسي، حتى امتزجت الدموع بالدماء التي ما زالت تقطر من جسدي.. بكيت كأن هذا آخر

ما تبقى لي في الدنيا.. لقد أحسست بعجز مذل، فنظرت تجاه النافذة الوحيدة في الزنزانة والتي يتوارى خلفها قرص الشمس وقلت بأسف وخضوع وتذلل لم

أتذوقه في حياتي.. يا رب.

W

(٥)

إنها دنيا غير الدنيا، عالم غير عالمنا، إنها زنزانة قد بناها الشيطان قبل بناء الكون، وتولى زمام أمورها شرار الناس فعمروها بخيارهم!

هنا كل الجسور المحطمة، هنا الجماجم المهشمة ورائحة الموت المعبقة وحطام السكك ورماد البارود

وصرخات الظلام وبقايا الإنسان.. هنا جهنم في تجسيد
مصغر.. هنا حيث يختلط الليل بالنهار، والشر بالخير، والإيمان بالكفر! هنا حيث لا مكان للملائكة، فكلنا شياطين بدرجات متفاوتة.. هنا الأغلال في رقاب
الجميع، هنا زنزانة المساطيل والباحثين عن الحرية والمستضعفين في الأرض المنبوذين فيها!
لم تكن الهزيمة المذلة التي حلت بنا بالمفاجئة، لقد توقعناها جميعًا.. لقد تيقنا بأنها آتية لا محالة. لذلك لم نندهش ولم نتذمر ولم نكترث، والغريب أننا أيضًا لم
نتشمت!
لقد حلت الكارثة على رؤوسنا جميعًا فبمن سنشمت! بالقادة الأجلاء أم بأنفسنا! وعلى من نأسف ولمن نتأسف؟ لله! أم للجنود المساكين الذين سفك القادة
دماءهم بلا رحمة وبدم بارد!
المساجين من حولي يبكون كالنساء على الأرض الضائعة والدم الذي أراقه الأعداء دون شفقة أو إنسانية. لقد تناسوا بأننا قبل أن نضيع الأرض.. ضيعنا الإنسان،
تناسوا بأننا سفكنا الدماء بأنفسنا قبل أن يسفك دماءنا الأعداء إما صراحة كما فعل سادتنا وكبراؤنا وإما تأييدًا كما يهلل الطبالون ويزمر الراقصون على الدماء
وإما بالصمت المذل المخزي الكاسر للنفس والكرامة والعزة.
لن نأسف ولن نتشمت.. فهذا ما نستحقه وهذا هو العدل.
W

(٦)

الإسكندرية - ١٩٧٠

لقد مرت سنوات ثلاث على وقوعي في تلك البئر السحيقة المهلكة.. ولكنني استطعت أن أنتصر عليها. لقد ثابرت وتشبثت بعروة الصبر حتى انتشلتني من تلك البئر

النتنة المظلمة. وها أنا ذا عدت كالطيور حرًا طليقًا يتخبط الهواء بجسدي جيئة ورواحًا، لا أخشى مأمورًا ولا يزعجني حرس.

لقد خانتني ذاكرتي فلم أتذكر أحدًا قط.. لا أعرف أين كنت أعيش قبل تلك الرحلة الغامضة، لا أعرف إن كنت عزبًا أم تزوجت ولقد ساورني بعض الشك في إن

كنت قادرًا على القيام بمهام الزوج بعد تحرري ولذلك قررت أن أبقى عزبًا.. أتجول طوال الوقت وفي أي مكان، أتنقل من بلد لبلد، ومن قرية لقرية ومن نجع

لآخر، لا أعرف أحدًا ولا أحد يعرفني.. يومًا آكل ومئة أصوم.. وإن عطشت فالبحر كريم جواد سخي لا يبخل عليّ بمائه وملحه.

أنا في تلك البقعة منذ ما يقرب الخمسة أيام.. من حولي رمال ذهبية ناعمة وأمامي البحر المالح ومن فوقي السماء وفقط.. هذا كل ما أعرفه عن تلك المنطقة! أنام

متوسدًا يدي ومتلحفًا الرمال. لا آكل ولا أشرب. أتبول وأتغوط في ثيابي بسبب القصور اللعين الذي أصاب أعصابي بعد جلسات الكهرباء المشبعة في المعتقل.

أبكي كثيرًا حتى أضحك، وأضحك كثيرًا حتى أبكي.. وإذا رآني أحد أهرب في الحال.. أريد أن أحيا في سلام إلى

أن يأتيني الموت. نظرت في مرآة بالشارع ذات يوم

فبكيت على حالتي الرثة المرثي لها والمثيرة للشفقة والحزن..

لقد شاب شعري بأكمله!

لقد أحزنتهم كلماتي للشعب وللثوار.. أثارت أشعاري الحماسية غضبهم وزمجر حبيب الملايين وبكى. ولقد وعدت بعد تحرري بعدم كتابة تلك الكتابات الحمقاء

مرة أخرى حرصًا على سعادة جلالته..

ورحت أنظم شعرًا جديدًا ابتكرته..

يا ليل يا عين يا بحر يا فاضي يا عطشان

يا نخل طارح سمك ع البحر بتغيظه!

يا آهه من غربتي محفوظة ف الشطآن

وخلي بالك ياللي عشقت من زوزو!

W

(1) قصيدة "اتجمعوا العشاق" للمبدع فؤاد حداد

(2) القصيدة من كتابات المؤلف: محمد البشير.

الغفير

(د. محمود لطفي)

لا أحد يفلت من العقاب مهما طال الزمن أو امتد العمر

فلا بد من عقاب ويا حبذا لو كان من نفس جنس العمل.

بينما نمر أنا وابني ليلًا من جراج مبيت سيارتي إلى بنايتنا التي تبعد عن الجراج مسافة أقل من خمسين مترًا يكرر ابني على مسامعي سؤال: من هذا الرجل الأسمر

الباسم الجالس على تلك الدكة أمام البناية المجاورة لبنايتنا؟

أدقق النظر رغم علمي وتأكدي من عدم وجود غفير لتلك البناية منذ.... ينتابني شعور بالخوف، أتأكد من أن الأبواب موصدة والشبابيك، أنظر من شرفتي نحو

المكان الذي يشير نحوه ابني دائمًا، أحاول نسيان الأمر برمته، أدخل لأطمئن على ابني لأجده نائمًا كالملائكة، أتعجب من إصراره وتكراره حكاياته خاصة أن تلك

البناية كان لها غفير مات مقتولًا ضحية لثأر من أبيه ومنذ هذا الحين لا تستقدم تلك البناية أي غفراء، أصبح مجرد ذكر الفكرة يصيبهم بالرعب فبعد التحقيقات

والنيابة واستدعاء بعض سكانها أكثر من مرة في أثر تلك الحادث أقسموا جميعًا وتعهدوا بعدم القرب من فئة حراس المباني، وهنا تثاءبت واتخذت القرار بأن

أخلد للنوم وأنسى الأمر برمته رغم قلقي من تكرار ابني للسؤال، ورغم حدوث هذا الحادث قبل ولادته بأعوام، وقبل أن أخسر أمه رحمها الله يوم ولادته، قرأت

الفاتحة على روح زوجتي وحاولت جاهدًا أن أغلق بالوعة الذكريات والوساوس التي جلبها لي ابني بسؤاله الغريب المتكرر، ولكن النوم كان قد فر من عينيّ فرار فأر

صغير من أسرة تحاصره في مطبخ منزلهم، أمسكت هاتفي أقلب فيه على اللاشيء صور، مقاطع فيديو.... إلخ.

ما زال النوم بعيدًا عن عينيّ وأنا الآن أحسد ذلك الصغير الشقي الذي جذبني لتلك الهوة السحيقة بينما غلبه

هو النعاس قبل أن أجيبه عن سؤاله، تبسمت
وتذكرت حينما كنت أفعل بأبي رحمة الله عليه ما يفعله ابني معي ولكن نظرات أبي المهيبة وهيئته وطربوشه وشاربه الكث كانوا يخلقون جوًا ممزوجًا بالحذر
والحيطة؛ فكنت أتعامل معه كخبير متفجرات يقوم بتفكيك قنبلة يحتمل أن ينجح ويحتمل أيضًا أن تنفجر بوجهه وتؤدي بحياته، على العكس من أمي الهادئة
الحنون التي لا تهتم إلا بملء بطوننا والحفاظ على صحتنا، أعطاها الله العافية وأمد في عمرها، تنهدت وخرجت من سيل ذكرياتي بإعادة قراءة الفاتحة على
أرواح المسلمين أجمعين ثم ماذا أفعل كي يأتي النوم؟ ليتني أستطيع أن أطلبه دليفري أو أضغط زر النوم على عينيّ فيستجيب عقلي ويرسل لها إشارات غلق كما
تغلق الأبواب فأنام وتغمض عيناي.
وفجأة لمعت فكرة برأسي، لماذا لا أتحدث عبر الإنترنت مع أحد أصدقائي؟ ربما كان ملل الحديث كافيًا بدفعي نحو النوم وطرد كل ما يجول برأسي، وما لبثت أن
اتصلت بالشبكة العنكبوتية ووجدت ضالتي، مصطفى جاري العزيز أول من تعرفت عليه وكانت زوجتي رحمة الله عليها صديقة زوجته، راودنا حلم الهجرة معًا،
وفق هو وأسرته بينما حالت ظروف وفاة زوجتي ورعايتي لأمي المسنة دون ذلك، استحسنت الفكرة، اطمأننت عليه وعلى زوجته ثم على ولده، لم تعجبني ردود
مصطفى وبادرته بالسؤال: هل ثمة أمر غريب؟ بادئ الأمر حاول أن يخفي عني ولكنني كررت وأصررت على

رأيي فقال لي: الماضي يطاردنا ولعنة دم عبد الوارث تأبى
أن تفارق حياتنا حتى بعد أن هاجرت وتركت مصر.
وهنا أصابني الرعب والهلع وأنا أطلب منه التفاصيل بينما هو يجيب: لقد اختفى ابني، تلاشى وكأنه ابتلع في باطن الأرض.
- كيف هذا؟
- منذ فترة يسألني عن رجل أسمر باسم الوجه يجلس على دكة.
انتفضت من مقعدي كمن أصابته صاعقة من السماء قبل أن أعرف منه بقية حديثه، فما عرفته يكفي، وفتحت باب غرفة ابني مفزوعًا لأجد سريره فارغًا وأثر
تقلبه فيه لا يزال موجودًا، صرخت صرخة تردد صداها في أنحاء الغرفة، بل الشقة بل البلد وربما القارة أو الكوكب أو للمجرة والمجرات الأخرى، صرخة رجل فقد
جزءًا منه، حلمًا كان يعيش من أجله، أملًا يسير على قدمين يجمل قبح الأيام ويلون لوحاتها بألوانه الزاهية. كالمجنون أهيم على وجهي أبحث عنه في البيت تارة،
بين زملاء دراسته تارة، في مقبرة العائلة تارة أخرى، تمر الأيام رتيبة، مملة، أشعر بدنو الأجل، أفرح ثم أستيقظ لتعلن الحياة عن فقرة جديدة من برامج يومها
المفتوح المخصص لأمثالي، ممن ظنوا يومًا ما أنهم نجوا وفروا من جريمة ارتكبوها ولم يعاقبوا عليها حينها، ساورهم الشعور بالراحة والطمأنينة بأنها تلك النقطة
السوداء قد محاها الزمن من ثوبهم الأبيض وأن ثغر الحياة سيبتسم لهم إلى ما لا نهاية، ناسين أو ربما

متناسين أنه لا أحد يفلت من العقاب مهما طال الزمن أو امتد العمر، فلابد من عقاب ويا حبذا لو كان من نفس جنس العمل.

ماتت أمي حزنًا على فراق ابني.. ماتت رافضة أن تراني غاضبة علي... ماتت موجهة لي تهمة الإهمال في تربية الطفل... ماتت لتلحق بي هزيمة جديدة في مباريات الحياة... ماتت الوحيدة التي كنت أنوي أن أقص عليها حكايتي أنا وجاري مصطفى مع عبد الوارث الغفير يوم كانت منطقتنا لا تزال تحت الإنشاء، ولم يكن أحد يسكن ببنايتي غيري وببناية مصطفى غيره، ولم يكن لبنايتي غفير وكان عبد الوارث النوبي هو الغفير القائم على خدمتنا منذ تجهيز شقق الزواج إلى أن تزوجت أنا وزوجتي ومصطفى وزوجته أيضًا، ثم بدأ الجيران يتوافدون ولا يزال عبد الوارث يقوم بخدمة البنايتين على أكمل وجه، وبعد فترة من زواجي سافرت زوجتي لأمها بالإسكندرية، وكانت زوجة مصطفى طبيبة في فترة مسائية، خرجت أنا ومصطفى وشربنا زجاجة خمر كاملة وكنا في حالة سكر بيّن، وعند عودتنا كان الليل قد انتصف وافترقنا، ولسوء حظي تنبهت أن مفتاح شقتي في سيارة مصطفى، نزلت درجات السلم وأنا ألعن المفاتيح والأبواب ومن اخترع مفاتيح للأبواب من الأصل، ووصلت لبناية مصطفي لأسمع صوت استغاثة مكتومة من سيدة في غرفة بجوار المصعد حيث يقبع عبد الوارث وعروسه، تكررت الصرخات وسمعت صوت مصطفى وهو في حالة هياج شديد ويحاول الاعتداء على زوجة عبد الوارث الذي ذهب بدوره بحثًا عن طبيب

ينقذ رجلًا مسنًا ببناية مصطفى، وسط توسلات زوجة
عبد الوارث، رأتني بأم عينيها، توسمت الخير فيّ ولكن مصطفى كان ثورًا هائجًا لا يستطيع أحد كبح جماحه، حاولت ولكن السكين الذي أمسك به منعني ولن
أخفيكم سرًا، أعجبتني زوجة عبد الوارث كنوع جديد من النساء وتناوبت مع مصطفى على اغتصابها، وفجأة عاد عبد الوارث وصعق من مشهدنا مع زوجته، أنا
أغتصبها بينما مصطفى يقف ممسكًا بالسكين، لم يتمالك عبد الوارث نفسه وحاول الدفاع عن شرفه فأودى ذلك بحياته وحياة زوجته التي أحرقت نفسها
وزوجها هروبًا من عار يلاحقهما طول العمر.
انهمرت الدموع من عينيّ وأنا أكمل للطبيب بمستشفى الأمراض النفسية: اسألوا عبد الوارث ماذا أفعل كي يخرج من أحلامي... اسألوه أين ولدي؟ فلا ذنب
لولدي في فعلة أبيه.... اسألوه أن يعيد لي "خالد" ولدي لتقبل عزائي، نال الزمن مني... لم أفلت بفعلتي... ولكن أحتاج أن يغفر عبد الوارث نفسه لي لعلني أرتاح
ما تبقى لي من أيام.. فعذاب الآخرة أشد وأبقى.
نظر الطبيب نحوي بشفقة وهو يقول لشقيقتي:
التقارير تقول أنه يردد نفس الحديث منذ فقدانه ابنه وهو الآن أقدم مريض في المستشفى. وأكمل: شفاه الله وعافاه.
نظرت شقيقتي نحو الطبيب قائلة: الغريب بالأمر أنه لم يتزوج ولم ينجب من الأساس، كل من تعاملوا مع حالته قبلك لم يقابلوني فأنا لتوي عائدة من الخارج
وأنا وهو مقطوعين من شجرة.. ماتت أمي حزنًا على

حاله وأنا أؤكد لك أنه لم يتزوج وأن من فقد كان ابن مصطفى صديقه، ولكن من خطيبته السابقة الذي يأبى عقله فكرة زواجها من صديقه، وللعلم هو لم يكن يومًا جارًا لمصطفى.

وترقرقت دموع هند وهي تقول: عافاك الله يا أخي سامر، لأطمئن على حاله بعد يومين.

صافحت شقيقتي الطبيب مودعة إياه قائلة: د. هند.

أجابها الطبيب: د. عبد الوارث.

هاتفت شقيقتي زوجها لتخبره بعودتها بعد أن اطمأنت عليّ خاصة أن طبيبي الجديد أسمر، باسم الثغر، واسمه عبد الوارث.

W

أمل

(خالد عبد الناصر علي)

ألفٌ، باءٌ، تاءٌ، ثاء.. إنها الأبجدية العربية، حيث كل شيء يبدأ منها وينتهي على الورق الأبيض.

كل الأشياء التي لا يحبها كانت في عيني أمل، كل الأشياء التي لا يحبها تبدأ بحرف الألف (أبيض - أربعة - إبرة - أمريكا - أمل.. لا.. ألم).

للمرة السابعة يحاول سكب ما يدور في رأسه على ورقة بيضاء دون جدوى، فيمزقها ويلقي بها جانبًا ويتناول الورقة التالية بلا يأس..

سكون الليل وضوء القمر ذو الوهج الفضي يطل من شرفته على مقعد بلا ظهر خلف طاولة صغيرة وضع عليها الكثير من الورق الأبيض، وقلم تمسكه يد لا تعرف

من أين تبدأ..

ألفٌ، باءٌ، تاءٌ، ثاء.. إنها الأبجدية العربية، حيث كل شيء يبدأ منها وينتهي على الورق الأبيض.

متلازمة الصفحة البيضاء في أبشع صورها، حيث تفشل جميع محاولات استنطاق فراغ الورق.. عينا أمل تنتظران بينما الورقة البيضاء تنظر إليه في تحدٍ سافِر، إنه

تحدٍ من نوع آخر وعليه أن يربح الجولة.. لكن كيف يبدأ؟

أي كلمة يمكنها نسف جبل الجليد؟

بأي حرف يسدد ضربته الأولى؟

من مكان ما على الورق ظهرت..

ألفٌ، باءٌ، تاءٌ، ثاء.. إنها الأبجدية العربية، حيث كل شيء يبدأ منها وينتهي على الورق الأبيض. كعيني أمل ومجلة الدكتور كمال.

كانت ظهيرة يوم جمعة والجو حار وخانق، وقد تآمرت الظروف على ألا يجد الدكتور كمال أية وسيلة للذهاب لتأدية واجب العزاء في قريته الصغيرة بالصعيد،

سوى قطار من الدرجة الثالثة أو كما يطلق عليه من الفئة الاقتصادية.

لحسن حظه لم يكن هناك ازدحام داخل القطار، كانت العربات شبه فارغة وكل مسافر وجد راحته منفردًا بين مربع من المقاعد.. هي لحظة لا تتكرر كثيرًا كل

مسافر يعلم قيمتها جيدًا.

مقاعد حديدية ذات قاعدة صلبة قاسية وغطاء من القماش الرديء تم تمزيقه سلفًا بلا سبب مفهوم..

لسبب ما يحب الناس تمزيق أغطية مقاعد القطارات

والحافلات العامة.

وبوضعية المواربة استقرت النوافذ بزجاجها المهشم، تعم في الأرجاء رائحة كريهة تنبعث من دورات المياه ذات الأبواب الصدئة التي لم ولن تغلق أبدًا.

هناك مواقف في الحياة تجد نفسك داخلها مجبرًا وعليك أن تتقبلها حتى النهاية مجبرًا، يطلق عليها البعض "التجربة الإجبارية الأولى" التي تتمنى أن تمر سريعًا

ولا تتكرر مرة أخرى. كان وجوده داخل هذا القطار إحداها.

بهدوء الصدمة انتقى أحد المربعات الخالية وجلس على المقعد المجاور للنافذة المهشمة المواربة، وفي محاولة بائسة لتسريع الوقت، أخرج مجلة من حقيبته وراح

يتصفحها.

كانت مجلة علمية تهتم بأحدث الاكتشافات العلمية في الفضاء وكان قد نشر فيها مقالًا عن الفراغ الموجود بين الأجرام السماوية باعتباره أستاذًا جيولوجيًا وعضوًا

بمجلس العلوم والتكنولوجيا الفضائية الأمريكية.

ومر الوقت سريعًا مع القراءة حتى وقف القطار عند إحدى المحطات التي صعد منها رجل خمسيني ذو وجه كالح مغبر متعرق وذقن عشوائية المنبت، يرتدي

جلبابًا متسخًا تبرز منه عظمتا الترقوة مما يدل على نحافة شديدة، ويحمل رقعة من الخشب مرصوص عليها بعض علب السجائر والمناديل الورقية والبسكويت،

وامرأة عملاقة عريضة المنكبين والفكين، سمراء البشرة تنتشر عليها جروح وندبات قديمة، ترتدي عباءة

سوداء بوشاح أسود حول الرأس، وتحمل على كتفها
طفلة لا يتعدى طولها طول ذراع المرأة، كانت تشبهها كثيرًا في عرض فكيها.
جلست المرأة على الأرض بجوار باب العربة ووقف الرجل يعيد ترتيب علب السجائر والمناديل الورقية والبسكويت على رقعة الخشب، بينما وجدت الطفلة الدكتور
كمال الذي يقرأ المجلة شيئًا جديرًا بالمراقبة.
(بسكوت سجاير مناديل..) كان يقولها الرجل بصوت أجش وهو يقطع العربة سيرًا حتى العربة التالية، والأم ما زالت جالسة بجوار الباب شاردة الذهن وعينا
الطفلة لا تتركان الدكتور كمال.
نظر الدكتور كمال خارج أسطر مجلته ليجد قدمين صغيرتين تقفان أمامه، كانت الطفلة قد دنت منه وفضلت مراقبته عن قرب.
- أهلًا يا حلوتي كيف حالك؟
لم تجب الطفلة على الدكتور كمال، كانت عيناها تنظران إلى المجلة بفضول بالغ دون أن تنبس ببنت شفة، كان وجهها متسخًا كما لو أنها لم تغسله منذ ولادتها
وشعرها متشابكًا بصورة أكثر تعقيدًا من قضايا العالم المعاصر، وفجأة استدارت للخلف وركضت حيث تجلس أمها وأخذت تعبث داخل كيس قماشي طويل لا
يظهر منه سوى قدميها النحيلتين، ثم خرجت بكراسة صغيرة وركضت متواثبة إلى الدكتور كمال ومدت إليه الكراسة بابتسامة طفولية بريئة.
- ما هذه؟

تناول الدكتور كمال الكراسة من الطفلة دون أن يتلقى منها إجابة، وفتحها ليجد درسًا تعليميًا كُتب بخط اليد عن حروف الهجاء العربية وتحت كل حرف بعض
الكلمات التي تبدأ به..
مثلًا كحرف الألف (أرنب - أذن - أمل..)
الباء (بطة - بنت - برتقالة..)
وهكذا..
- من كتب لك هذا؟
حركت شفتيها في تؤدة..
- أحدهم.
همهم الدكتور كمال قليلًا وارتسمت على وجهه علامات التعجب ونظر إليها بلطف..
- حسنًا، وماذا تريدين مني إذن؟
- علمني!
على الرغم من أنه كان يتوقع الإجابة فإن وقعها على أذنيه كان مختلفًا، أحيانًا الكلمات يكون لها مذاق مُر وملمس شائك كالصبار، لكنه حاول إخفاء مرارة
كلمتها وأخذ يمسح على شعرها الخشن..
- على الرحب والسعة، كم عمرك يا حلوتي؟
فردت كفها الصغير وأخذت تشير بأصبع يدها اليمنى على أصابع يدها اليسرى وتعود لتبديل إصبع الإشارة مع اليد اليمنى..
- ستة.
- رائع، أنتِ تتقنين العَد إذن.. هممم وبماذا تفضلين أن

أبدأ؟

التقطت منه الكراسة وأخذت تقلب بين الصفحات وتوقفت عند صفحة بيضاء تلت صفحة كُتب فيها درس عن حرف الثاء..

- من هنا..

(بسكوت سجاير مناديل..) كان صوت الرجل يقترب من العربة المجاورة وأخذ الصوت رنينًا مبحوحًا بعض الشيء، حتى ظهر الرجل من خلف باب العربة ونظر

نظرة عابرة على الطفلة، ووجه حديثه للمرأة العملاقة الجالسة بجوار الباب.. (خلي عينك على البنت).. ثم راح يكرر مرة أخرى (بسكوت سجاير مناديل) وأكمل

طريقه..

- جيد، آخر حرف تعلمتِه إذن هو حرف الثاء.. هل يمكننا إجراء اختبار سريع على ما سبق قبل تعلم حرف جديد؟

هزت كتفيها مشيرة إلى أنه لا مانع لديها..

- يبدو أنك ذكية يا.. ما اسمك؟

- أمل.

- يبدو أنكِ ذكية يا أمل، تُرى بأي حرف يبدأ اسم أمل؟

اتسعت عيناها في إعجاب واضح بالنفس وصاحت.. (حرف الألف!)

صاح معها مصفقًا..

- صحيح، يا لكِ من رائعة.. تستحقين جائزة، لحظة واحدة..

أدخل يده في جيبه وأخرج لفافة صغيرة بها بعض الحلوى ومد يده إلى فمها الصغير ليطعمها الحلوى..

وفجأة وجد قبضة فولاذية ضخمة أطبقت على يده قبل أن تدخل قطعة الحلوى فم الطفلة..

- الأمر ليس بهذه السهولة أيها المحتال!

إنها المرأة العملاقة أم الطفلة أمل، تمسك بمعصم الدكتور كمال بقوة وترمقه بنظرة نارية..

- ما الأمر يا سيدتي؟!

- ما الأمر؟ أتسألني ما الأمر! لن تنجو بفعلتك.. يا عباس تعال بسرعة!

هرع الرجل كالح الوجه ذو الرقعة الخشبية على كتفه إلى حيث يجتمع الدكتور كمال وأمل وأمها..

- ماذا حدث!

- انظر، هذا النصاب كان يحاول اختطاف الطفلة، كان سيطعمها حلوى مخدرة ويختطفها لكنني أمسكته قبل أن تأكلها..

فوجئ الدكتور كمال باتهام المرأة كما فوجئ أكثر بردة فعل الرجل الهادئة جدًا، حيث جلس على المقعد المجاور للدكتور كمال وطلب من أمها أن تأخذ الطفلة وتبتعد..

- غشيم، أهي المرة الأولى لك؟

لم يجب الدكتور كمال، فقد اتسعت عيناه في ذهول منذ أن قالت الأم العملاقة كلمتها ولم تُمحى بعد..

- قل الحقيقة، لا تخف يمكننا تسوية الموضوع بشكل ودي دون شوشرة.. لحساب من تعمل أنت؟

- أنا لا أعمل لحساب أحد أنا أستاذ جيولوجي ومشرف قسم التخطيط الخاص بالمراقبات الفضائية من الأرض

بمجلس العلوم والتكنولوجيا الفضائية الأمريكية

ماذا تريد مني؟!

نظر عباس قليلًا إلى عيني الدكتور كمال في حيرة توضح أنه لم يفهم كلمة مما قالها.. ثم عاد يكرر..

- تكلم، هذا لن يفيد.. سأخبرك شيئًا.. أنا لا يهمني لحساب من تعمل لكن يمكننا الوصول إلى سعر يناسبك ويناسبني.. الطفلة عمرها ست سنوات ولا تعاني من

أي أمراض، كان لديها ثقب بالقلب لكنها شفيت منه بعد شهورها السبعة التالية لولادتها.. الآن هي سليمة تمامًا.. صدقني هذه كلمة شرف مني، كان لدي ابن

أخذه طبيب منذ فترة طويلة بسعر معقول على الرغم من أنه كان يريد الكبد والكلى فقط، لكن بعد أن وجد الطفل بصحة جيدة فضّل أن يأخذه إحمالًا، علمت

بعد ذلك أنه باع القلب والرئتين لصديق له وأعتقد أنه ربح مالًا كثيرًا.. الآن دعك من هذا وقل سعرك!

انفعل الدكتور كمال من هول الصدمة وهب واقفًا وراح يصرخ..

- هل جننتم! إنها حلوى! حلوى فقط.. انظروا تلك التي كانت ستأكلها ابنتكم ها هي سآكلها أنا لأثبت لكم أنني..

أمسك عباس بعنق الدكتور كمال في ضيق وأخرج مدية حادة من جيبه ووضعها على رقبته..

- اخرس! ولا كلمة، ما دمت لا تهتم فلتخرس أتفهم؟! قلت لي ماذا تعمل؟

أجاب الدكتور مذعورًا واختار مسمى مبسطًا كي يفهمه ذلك المجنون..

- أستاذ في علوم الفضاء.

- الفضاء! وهل انتهيتم من الأرض كي تذهبوا إلى الفضاء! انظر إليّ.. ما زال لديكم الكثير من العمل على الأرض أولًا قبل الذهاب إلى الفضاء يا أولاد الكلب..

ترك عباس عنق الدكتور كمال ونظر إليه باشمئزاز وبصق جانبًا ثم رفع رقعة الخشب على كتفه وصاح (بسكوت سجاير مناديل..) وراح يكمل طريق سيره بين العربات وكأن شيئًا لم يكن..

عدّل دكتور كمال ياقة قميصه وراح يتحسس عنقه الذي كاد يطير من أجل قطعة حلوى أو كبد طفلة، ووضع وجهه بين كفيه..

- يا للهول! أيعقل هذا! لا أصدق ما سمعت.. بالجوار طفلة تركض مرحًا لاهية بين مقاعد القطار.. وحتمًا سيجد عباس الزبون المطلوب وحتمًا سيجد السعر المناسب.. إنها مسألة وقت فقط وعاجلًا أم آجلًا ستصبح أمل جثة ممزقة عند طبيب فاقد للشرف والنزاهة يستخرج منها الكبد والكلى والقلب.

- علمني!

إنها أمل ثانيةً، عادت لتمد إليه كراستها بوجه مرح ضاحك..

- ابتعدي عني يا أمل رجاءً فلا أقوى على النظر في عينيكِ، لا أستطيع رؤيتك إلا وأنتِ.... رباه!

قالها الدكتور كمال في نفسه وذرفت دمعة من عينيه، مدت أمل كفها الدقيق تجفف دموعه برفق.. فمسح وجهه وقبّلها..

- حسنًا يا صغيرتي، أين انتهينا؟

- عند حرف الألف واسمي أمل..

- أيمكنني مكافأتها الآن يا سيدتي؟ إنها تمرة هذه المرة وجدتها في حقيبتي وليست قطعة حلوى!

قالها موجهًا سؤاله إلى المرأة العملاقة الجالسة عند الباب التي أشاحت بيدها بلا اهتمام أنه لا مانع..

- سأنزل المحطة التالية لن أستطيع إكمال الدرس فليكمله غيري، خذي هذه.. إنها تمرة.. وكلمة تمرة تبدأ بحرف التاء.. إنها جافة لكنها حلوة المذاق مثلك، لا

يوجد معي شيء أكافئك به غيرها لذا أرجو منك المعذرة..

ووقف على قدميه اللتين بالكاد تحملانه وقبّل جبينها اللامع مع أشعة الشمس غير عابئ بالأوساخ المتراكمة عليه.. واتجه صوب الباب حيث تجلس المرأة

العملاقة.. تخطاها وهي ترمقه في ضيق، وأخذ يبتعد على رصيف المحطة بخطوات متثاقلة وينظر خلفه إلى باب القطار حيث تقف أمل على الباب تراقبه وهو يبتعد

وينظر إليها وهي تضع التمرة بين فكيها العريضين، كانت التمرة جافة جدًا وصلبة القشرة، لكن أسنانها الصغيرة كانت تسحقها بقوة وتسحق معها مئات

المقالات في علوم الفضاء والورق الأبيض والأحرف والأقلام، وتمضغ نظرات أمها وصوت أبيها والجهل والجوع ورائحة القطار الكريهة ومقاعده الصلبة، كانت

تسحق العالم كله بين فكيها وتمضغه.

W

في الغرفة

(منى شمس الدين)

"أين خالد؟" كان هذا السؤال أول ما بدر بذهني ساعة رأيت رفيقي في السكن "مصطفى" محاولًا أن أفتح حديثًا معه؛ فأنا لم أره منذ يومين تقريبًا رغم أننا جميعًا نشترك في سكن واحد، بل ربما ظروف واحدة أيضًا يمكن أن تعنونها جميعًا تحت عنوان "الاغتراب"، ذلك الحلم الذي يفرقك أولًا عمن اعتدتهم وألفتهم عمرًا ليجمعك أخيرًا مع أناس ما كنت تحلم أن تلقي عليهم سلامًا حتى، لتجدهم بين ليلة وضحاها شركاءك في سكن واحد بل وغرفة واحدة.. كل هذا فقط من أجل السعي خلف فرصة أحسن في بلد أحسن. أعتقد هذا السرد كان يمثل وجهة نظري فقط.. وعن بقيتنا في السكن فحقيقةً لا أعلم عنهم الكثير، كل ما أستطيع أن أؤكده أنهم جميعًا الأربعة أنهوا دراستهم الجامعية لكن عدا ذلك من شئونهم، كطريقة حياتهم.. طبيعة عملهم أو أي أمور تخصهم.. فلم أنشغل بها كثيرًا، ربما لأني عاهدت نفسي منذ أن حللت بهذا البلد الكريم -القاهرة-ألا أتوه في ضوضائها أو أشرد خلف أضوائها؛ لذلك لم أسمح بأي وقت فراغ يتملكني أو يحيد بي عن أن أحقق ذاتي، وحتى إن فرغت من عملي فورًا أنغمس في الأعمال التطوعية.. يمكن لأحد أن يعتبره نوعًا من الهروب من الواقع أو خوفًا من أن يلتهمني دون أن أدري.. لن أجادل أو حتى أعترض فلربما هو محق لكني وجدت ملاذي ولذتي في هذا الهروب، فما أجمل من أن ترسم بسمة على وجه عابس يحلم أن يراها ولا يملك سوى أن يحلم بها.

جاوبني مصطفى "إنه في الغرفة" أخيرًا بعد طول نظر للمبرد، إذ صادف أن يكون حديثنا في المطبخ.. أكثر مكان يجمعنا في هذا السكن.. أنا أستعد للخروج وأُعد فطوري ومصطفى يبحث عما يأكله، ويبدو أنه يبحث دون تفكير مسبق، عندما أراه في هذه الحالة أشعر أنه يلقف بفمه أول ما تلتقطه عينه شريطة أن يكون فقط صالحًا للأكل أما عن مذاقه أو شكله أو.. أو.. لا يهم.

أرد عليه مستهزئًا مستنكرًا واثقًا من نفسي وهذا حقيقةً نادرًا ما يحدث وسطهم: "أي غرفة؟! تركتها لتوي ولم يكن فيها إنه حتى لم يقضِ ليلته بها".

"أنا أقصد هذه الغرفة" ويشير بإصبعه نحو تلك الغرفة ولا أعلم لها وصفًا ولا حتى مسمى إنها فقط "الغرفة"، أحيانًا أشعر أن من يدخلها كأنه يدخل العالم السحري وأحيانًا أخرى أشعر بانقباض أمامها وكأني أشاهد فيلم رعب.. لم أصادف أن أراهم مجتمعين فيها فدومًا فرادى وتباعًا يدخلونها.. تُرى ماذا يُخفي هذا الباب؟!

"إلى أين أنت ذاهب في هذا الوقت؟" يقاطع مصطفى استرسالي في التخيلات والتكهنات فلم أملك من الرد سوى أن أجيبه بنوع من السخرية: "تشعرني كأننا لسنا التاسعة صباحًا والمفترض أن كل الناس ذاهبة لأعمالها.. عمومًا إنه اليوم المفتوح لأيتام الدار التي أتطوع بها ويجب علينا كمنظمين أن نكون أول الحاضرين".

مصطفى: "ألم تَمَل من كل هذا؟"

أنا: "ماذا تقصد؟"

مصطفى: "طريقة حياتك أشعر أنك في عالم غير عالمنا". واستكمل: "أتعلم هذا العالم المثالي الذي كنا نسمع عنه في أفلام الكارتون؟ أنا حقًا أتصور أنك مبعوث
أفلام الكارتون للمثاليات".
وأخذ يضحك وأنا أتابعه بالضحكات أيضًا... ربما معه حق.. ربما لا فأنا فعلًا أشعر بينهم أني غريب.. على أي حالٍ ضحكت.
خرج خالد من الغرفة أو لنقل عاد إلينا خالد من الغرفة من العالم الآخر شخصًا آخر، وجه مخطوف اللون وجسد منحول، شعر مبعثر على وجهه سواء أكان
من ذقنه أو من رأسه وكأنه عائد من رحلة إدمان وهذا أكثر ما يخيفني من هذه الغرفة... ترى لماذا يخرجون على هذا النحو؟
"لماذا كل هذا الاندهاش؟!" يقاطعني مصطفى مرة أخرى ثم: "أشعر بالفضول في عينيك... أتود الدخول؟"
"لا.. لا طبعًا لا أود".. أرد قاطعًا ثم لا أعلم لما اهتممت هذه المرة بأمرهم وامتلكت جرأة أن أسأله: "أخبروني أأنتم مدمنون؟ اصدقني القول لن أخبر أحدًا فقط
صارحني".
"عن أي إدمان تتحدث أجننت؟! كنت أعلم مسبقًا أنك غريب الأطوار ولن نجني من ورائك سوى المتاعب".
على هذه الكلمات تركني ولم يتكبد عناء أن ينفي أو حتى يثبت شكوكي تجاههم، ثم ما لبث أن خرج حتى عاد من جديد: "أتعلم؟ يجب أن تعاقب على مثل هذا
القول وأنسب العقاب لك هو أن تدخل هذه الغرفة".

- "لا أرجوك لا أريد إذًا آسف ولن أكرر قولي".

- "ستدخلها.. حُسم الأمر.. يجب أن تتخلى عن عالمك الذي تعيش فيه وتعيش معنا على أرض الواقع، ستهبط بمركبتك الفضائية الآن على كوكب الأرض

وبالتحديد في هذه الغرفة".

تجمع عليّ الرفقاء بعد أن ناداهم جميعًا وأخبرهم بإيجاز عما حدث وعن قراره الذي استقبلوه وهم يضحكون بحماس وإثارة لم أرها طوال فترة مكوثي معهم،

ثم أخذوا يحملوني حملًا تجاه الغرفة...

"اتركوني" أصرخ وأصيح وهم يردون هذا بضحكاتهم حتى ألقوا بي أمامها، وقبل أن يفتحوا الباب: "أنت رجل قرارك حر.. لن يجبرك أحد على اختيار ما لا تريده

لذا سيظل بابها مفتوحًا في حين وددت الخروج". لم ينتظروا ردي فقط فتحوا الباب ودفعوني داخلها ثم شدوا الباب من ورائي.

ظللت معلّقًا بالباب: "بما أني حر فاتركوني". يردون: " يارجل.. علمناك فينا رجلًا فدعك من هذه الطفولية".

- "سأخرج حالما تغادرون".

يضحكون باستهزاء: "افعلها أنت حر".

- "لماذا تضحكون؟ إذًا هو الإدمان طالما واثقون أني لن أخرج؟".

لم يردوا بكلمة أو حتى بضحكاتهم الساخرة بل بصمت أدركت حينه أني أصبحت بمفردي حقًا.

استجمعت بعض القوة لأفتح عيني، لم تختلف الحالتان كثيرًا نفس الظلام.. الرؤية معتمة إلا من ضوء خافت آتٍ

من جوانبها..

"لا بد أن أرى هذه الغرفة فلا يعقل أن أقضي مدتي وأنا في وجه الباب".. "نعم إنها فقط فترة قصيرة وبعدها سأخرج.. لا داعي للخوف".

أدرت وجهي على مهل بل وأقل.. والآن قد حانت اللحظة.. أنا في مواجهتها.. لم أستطع أن أمنع نفسي من السخرية لا من أحد بل من نفسي: "تبًا أكل هذا الرعب

لهذه الغرفة؟ أأحمق أنا حقًا؟!"

حقًا لا شيء غير عادي بها.. غير أني أشعر أني دخلت غرفة إلكترونيات الكوكب.. ما كل هذه الأجهزة؟!

أضواء من كل الأركان... أجهزة بمختلف الأحجام والأنواع.. هذا تلفاز وهذه سماعات وهذا لاب توب وهذا مشغل أقراص وهذه شاشة بحجم حائط الغرفة وهذا..

إنه "بلاي ستاشين" وأجهزة أخرى لا أعرف لها اسمًا... ألهذا يطلقون مصطلح نافذتك الإلكترونية على العالم؟

بدأت الأصوات تتداخل وكأنها حديثة الدخول في المشهد أو كأن حواسي انتقائية ترجمت ما انتبهت له أولًا ثم أدركت ما تبقى من منبهات، ولربما اتَّبَعتْ الضوء

أولًا لما له من سرعة تغالب سرعة الصوت.. المهم أني الآن فقط أدركت أصواتًا لم أستطع تمييزها، فمن ناحية أسمع صوتًا موسيقيًا يأخذك إلى حيث تُطرب الأذن

وهناك من الناحية المقابلة أصوات مرهقة مزعجة لا تفهم لها معنى، إنها حقًا مهرجانات الأصوات "دوم تك"... ضوضاؤهم انتقلت إلى رأسي ففررت منهم فرًا

ليتلقفني صوت آخر لا يقل لعنة عن الأول.. إنها امرأة لا

بل وحش على شكل امرأة.. ولكن لماذا تصيح هكذا؟ لم أميز من كلماتها سوى "خونة"، "عملاء، إنهم
أعداؤنا"... ومن هذه ومن هؤلاء لا أعلم.
أخفضت الصوت.. أأخرج الآن؟ لا بل انتظر ما دمت دخلت تحظى بفرصتك كاملة.. جلست على الكرسي الوحيد بهذه الغرفة ألتقط أنفاسي وأستريح قليلًا لأجد
نفسي أمام شاشة اللاب توب مباشرة، مفتوحة أمامي على شاشات صغيرة كثيرة مليئة بصور وحكايات تعلوها، وقصص لأناس منهم من أعرفهم ومن أسمع
عنهم وآخرون لا أعلم عنهم شيئًا.. ما إن بدأت أتمعن بالنظر حتى داهمني سيل من الإشعارات يطل من كل الشاشات لا أعلم لها أول ولا آخر... انتفضت من
مكاني، لوهلة شعرت أن هذا المكان حقًا سيفترسني ولن أخرج منه سالمًا ولكن لا بد من طريقة للقيادة فلن أتركها تهزمني، لقد تعودت أن أخوض تجاربي كاملة
لذلك نفس عميق.. هدوء.. أغمضت عيني لثوانٍ.. يجب أن أرتب أفكاري.. لحظات... أنا من سيقود هنا.
بدايةً سأُخفض صوت من لا يعجبني وأُعلي ما يعجبني.. تمامًا هكذا فالقيادة تبدأ من عقل صافٍ وبال مستريح، والآن عودة إلى تلك الشاشة... هذه المرة سأرتب
فوضى الإشعارات هذه ونتفحصها واحدة تلو الأخرى.
لا شيء طارئ سوى بشر معجبة ولا أعلم بأي شيء هم معجبون، وتعليقات مادحة لم أفهمها أيضًا ولكني شعرت بنشوة ما.. أخذ التنظيم مني وقتًا ولكني
تمكنت أخيرًا من الخوض فيها بل والتنقل بين شاشاتها، والأدهش من ذلك أصبحت أكثر قدرة على تمييز

الأصوات الصادرة.

أنا الآن أتابع بتلهف شديد قصة غامضة ثم قصة أخرى عن فتاة تحولت حياتها وتبدلت ثم حكاية مثيرة لأتابعها يجب أن أنقر على الرابط.. أتابع وأتابع ثم مللت...

ذهبت لشاشة أخرى مليئة بالصور لا تتحدث إنما فقط صور هنا وهناك، بعضها لبنات بأوضاع ووقفات غريبة ولكنها جذبتني، وصور لطعام شهي حرك معدتي

لدرجة أن أصدرت أصواتًا جعلتني أتمنى لو كان هذا الطعام أمامي لألتهمه.. إنها لذة ولكنها لذة غريبة تنتهي بحسرة غريبة أيضًا لأنك أدركت حقيقة أنك لا

تملكه، وأن ما كنت تمر به لم يتعد الخيال. نهايةً تركتها لأرى صورًا أخرى لناس لا أعرفهم ربما سمعت عنهم مرة أو اثنتين.. يبدو أنهم في رحلة.. يبدو أنهم

مستمتعون بأوقاتهم.. يبدو أنهم سعداء.

"لو أُتيح لي الذهاب لمثل هذه الأماكن مع مثل هؤلاء الناس حتمًا سأكون سعيدًا". بينما أنا سارح في هذا الخيال يقاطعني صوت أعلم من طبيعته أنه مختلف.. إنه

صوت لرسالة خاصة "من يعرفني ليرسل لي رسالة؟" إنها فتاة مرسلة إليّ بتحية وليست أي فتاة فصورتها تعلن عن جمال يثير تساؤلًا واحدًا دون غيره: "لماذا أنا

بالتحديد اختارتني؟!"

كنت في حيرة ولكني انتصبت أمام الرسالة ولا أعلم كيف أرد على تحيتها.. أأرد كالعادة كما أرد على أي من الناس؟ ولكنها ليست كأي من الناس.. لا بد أن أرد

بطريقة تثبت لها حسن بل وصحة اختيارها.. يجب أن أرد على قدر جمالها.. مباحثات انتهت جميعًا بردٍ تمامًا

كالمرسل إليّ بالضبط من دون زيادة أو نقصان.

انتظرت ردها ولكن تأخر، ربما لم يعجبها ردي وشعرت منه أني متأخر أو ربما مشكلة تقنية كما أسمعهم يقولون.. قلق وحيرة انتهيا بمجرد أن ردت بأنها معجبة بي وبطريقة تفكيري بل وترى فيّ شيئًا مميزًا.

حتمًا إنها على حق.. حتى ولو لم تر مني أي شيء سواء مميزًا أو غير مميز، ولكنها بالتأكيد لديها وجهة نظر.. بادلتها بسرعة وأنا أيضًا أرى فيكِ ما هو مميز.. نعم لا أعلمه الآن ولكن حتمًا سأراه مع الوقت.. ربما تكون هي حبيبتي المستقبلية وربما زوجتي فيما بعد.. ربما وربما..

تبادلنا الحديث والضحكات وعن أي شيء نضحك أو حتى نتكلم حقيقةً لا أعلم، ولكني كنت سعيدًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى.. يضايقني تأخرها في الرد، أَمَلُّ من انتظارها فأخذت مرة أقف لأمارس بعض تمرينات الاستطالة من باب فك التصلب الذي أصابني من طول الجلوس، ومرة أذهب لأعلى من صوت الموسيقى

ومرة أخرى أتجول في الغرفة كمسؤول في جولته التفقدية.

في إحدى تلك المرات لمحت نيرانًا مشتعلة تتصدر التلفاز فأدرت الصوت، إنهم أناس يقتلون بعضهم البعض، فيم يقتلون أو يُقتلون؟ أيحدث هذا على أرضنا أم على

أرض مجاورة؟ لا أعلم ولكن صوت تلك المرأة كان في الخلفية تردد "إنهم الخونة.. الأعداء.. العملاء". عادت

الكاميرا عليها ويحاوطها مجموعة يقال لهم خبراء لا
أعلم عن ماذا يتحدثون فصراخهم أجبرني على خفض الصوت مرة أخرى، أيًا كان ما يحدث بالتأكيد سيجدون حلًا أليسوا هم الخبراء؟!
عدت لشاشتي مسرعًا أملًا في أن تنقذني من هذا الذي كاد أن يعكر صفوي لأرد على زوجتي المستقبلية: "أين كنتِ يا حبيبتي؟ "
ترد: "افتقدتني؟" رددت بكل الاشتياق: "كثيرًا".
ومن هنا بدأ الكلام من جديد، كلام فكلام فمشاعر لا أعلم منذ متى تولدت، انتهت بوعود وأحلام بحياة سنملؤها بكل الحب والحنان.. لكم من الوقت بالتحديد
استمرينا لا أعلم أيضًا ولكني بعد فترة شعرت بالملل بدأ يتسرب إلى قلبي، أو شعرت بأن الكلام أصبح بلا طعم حتى تلك الوعود باتت مستهلكة، ومع ذلك لم
أستطع القيام، لم أقو عليه وكأن شيئًا ما ربطني بهذه الشاشة.
انتقلنا بالحديث عن أحزانها وأحزاني، تبادلنا وجوهًا حزينة واثق أنها لا تمت لوجهها بصلة، كما أنها أيضًا لا تمت لتعابير وجهي بصلة، ثم تلوناه بحديث آخر عن
أصدقائنا وطرفاتهم وتبادلنا وجوهًا ضاحكة أيضًا لا علاقة لها بنا.
شعور غريب بالإلكترونية ينتقل إليك، إلى أطرافك.. حركاتك.. كلماتك بل وحتى انفعالاتك.. فيصبح كل شيء عاديًا، كل شيء يفقد إحساسه، حتى الموسيقى التي
كنت تتذوقها وتنتقيها من قبل أصبحت هي الأخرى من دون طعم.

ظللت على هذا الوضع لا يفصلني عنه إلا صوت من هنا أو هناك.. كله متوقع ولا شيء غير مألوف.. ظللت إلى أن سمعت: "الله أكبر".

"رباه لم أُصلّ الظهر.. فاتني دون أن أدري.. ولكن كيف؟ لكم من الساعة وصلنا؟!"

ثم بكل الصدمة والتوجع "لا أصدق أنه ليس العصر، إنها العشاء!" لم أعرف ماذا أقول ولم يصدر مني سوى "كيف؟" أخذت أرددها دون وعي فخرجت مسرعًا

لوجهة واحدة لأتوضأ، حاول أن يوقفني أصدقائي، لم أستمع بل لم أسمع كلماتهم.. توضأت ثم وقفت لأصلي، لم أتمالك دموعي، إنه يومي الأول الذي أفوت

فيه صلاتي بل أفوت فيه يومي كله.. أين أنا.. وأين كنت؟

بعدما انتهيت وجدتهم جميعًا حولي في فضول وتتبع لي ولنظراتي محاولين أن يفهموا أثر هذه التجربة عليّ.. كنت معبأ بكم من المشاعر لا يوصف، مشاعر على

هيئة قنبلة أوشكت على الانفجار، ومع كل هذا لم أنفجر، لم أتفوه بكلمة فأنا أنظر لوجوه لن تعي ما بداخلي، وكلامي سيكون موجهًا لعقول مُخدّرة.. لقد

غادرت الشقة كلها ليس عن نقص من كلماتٍ أو عجز عن الرد ولكن كل الكلام كان يدور برأسي بقوة، وللأسف لم أكن في تلك اللحظة أملك من القوة ما يؤهلني

للبوح به، ولكني عزمت على أن يظل برأسي لأذكر به نفسي كلما نسيت.

"اليوم فقط أدركت أني أنا الحقيقي، أنا من أعيش وأنا

من أرى الابتسامة وألمس الحزن.. أنا من أشارك في السعادة وأنا جزء من الحياة، أما أنتم فلستم إلا صورًا

داخل عالم افتراضي لا وجود لكم بل لا أثر لوجودكم.. وأنا إذا كانت الحياة مستمرة دوني ودونكم أفضل أن أكون جزءًا من حركتها، لن أشاهدها مثلكم من وراء

شاشة وأتعجب كيف حدث هذا وذاك بل سأعلم بنفسي كيف تحدث الأشياء، ويومًا ما ستتداولون قصتي خلف شاشاتكم وتُعجبون وتتعجبون أيضًا، ولربما

تنسون أني كنت وسطكم، إني ذاهب بعيد عنكم فسلام عليكم.. سلام على قوم اختاروا ألا يملكوا من أمرهم إلا أن يشاهدوا وأن يكون جُل إثارتهم تتلخص في

جملة "شاهد قبل الحذف".

W

يَومٌ آخرُ لِلرَّجل الطَّيّب

(عمرو محمَّد مجدي البيومي)

نفس الشمس والقيظ وكأنَّ السماء لا تزال تعاقب من في البلاد هي الأخرى، لم تتغير سحنة البلاد المقيتة ومن فيها! نفس وجوه السَّابلة بملامحهم الذابلة،

الضوضاء والصخب والسباب يخترقون الأسماع عنوة، قسمات تشي بالفقر والضنك والتعب والكلل، أُناس يرفلون في الحرير ويتمرغون بالتبر وأُناس يرفلون في

الخيش ويتمرغون في التراب، وبين هذا وذاك أُناس وقفوا في المُنتصف، حشود من البشر كالنمل يتحركون في لهوجة وعجلة في رحلة عمل روتينية رتيبة تمامًا

كالساقية والجاموس، كل شيء في وضعه، كل شيء

في موضعه ومحله، أين نتائج الثورة التي عصفت بالعفن كما قالوا؟ لا ثورة جادت ببركتها ولا يحزنون.

خرج زقلط يوم أمس من السجن بعد فترة عقوبة التهمت من عمرهِ سبع سنوات أو ما يزيد خلف أسواره السامِقة التي حجبت عنه نسيم الحرية، خرج لا يحتكم

على أيّ شيء في الدنيا بما في ذلك الستر الَّذي يقولون عنه! مُفلس ضائع ذليل هو لكنَّهُ وجد في أحضان زوجته وابنته أزهار عِوضًا ولو بالقليل عن قسوة الأيَّام

والدنيا التي تعطيه ظهرها.

لم يكن يفصله عن بيت العسَّال إلاَّ بضع دقائق، لن تمر سويعة حتى يعاجله بطعنة نافذة للقلب ليقابل العسَّال وجه ربه الكريم، ويصبح مقتله خبرًا جديرًا

بالقراءة في صفحة الحوادث، وينقده العجل خمسة آلاف جنيه.

جاءه حمودة العجل مساء يوم أمس في شقته في زيارة مفاجئة بُوغت منها شخصيًا وانقبضت معالِم وجهه على إثرها، وتساءل بينه وبين نفسه كيف وصلت

للعجل أنباء خروجه من السجن صباح هذا اليوم؟

لكن فيما يبدو أنَّ العجل تولدت لديه -وقتذاك-قدرة خارقة على قراءة أفكار زقلط وما يجول بعقله، لذا فبعد التحيات والسلام قال له: - كفَّارة يا ابن الحرام! لا تجعل الدهشة تعصف بك، أنا أعرف الكبيرة قبل الصغيرة، هل نسيت من أنا؟ أنا حمودة العجل يا زقلط.

وكعادة العجل عندما يتعلق الأمر بمصلحة أو مهمة خاصة دخل في سبب زيارته المفاجئة مباشرة، لكن

بعدما دس سيجارة محشوة بين شفتيه وناول أخرى لزقلط خطفها في لهفة، فكم تاق لها منذ دخوله للسجن، وقال العجل موجهًا كلامه لزقلط: - هل ترغب في خمسة آلاف جنيه؟

برقت عينا زقلط وهتف في حماس:

- ومن ابن الزنى الَّذي يرفض هذا المبلغ في تلك الأيَّام السُود!

- اقتل العسَّال إذن!

بُوغت زقلط قبل أن يقول في بلاهة:

- العسَّال؟

- تاجر "الخردة" بالسبتية.

قال زقلط مرتبكًا:

- لكن يا معلم أنا م..

قاطعه العجل وهو ينفث دخان السيجارة المحشوة:

- نعم أم لا؟ العشرات -وأنت تعرف-يحلمون بإشارة واحدة مني لتنفيذ المهمة لقاء نصف هذا المبلغ. قصدتك لعلمي بخروجك من السجن يا مولاي كما خلقتني.

قال زقلط بتوتر:

- حلمك يا معلم عليَّ! كنت أريد..

قال العجل بنفاد صبر:

- نعم أم لا؟

أجابه زقلط مدفوعًا بعضة الفقر وعذاب الضنك:

- خدامك يا معلم.

وسكت مليًا قبل أن يستطرد:

- ألفا جنيه مُقدم للمصلحة و..

قاطعه العجل في برود:

- ولا قرش واحد قبل التنفيذ.

قال زقلط في استجداء:

- يا معلم لقد خرجت من السجن يا مولاي كما خلقتني كما قلت ولا أحتكم على جنيه واحد في جيبي.

- بعد التنفيذ.

قال زقلط في ضراعة:

- أقسم لك أنني سأقوم بالتنفيذ بعد المقدم مباشرة و..

هز العجل منكبيه استهانة وأصدر شخرة قبل أن يقول ساخرًا:

- لا أثق أبدًا بقَسَم النساء وقَسَم المجرمين!

وقتذاك لم يجد زقلط بُدًا من الاستسلام فقال وقد غلبه اليأس:

- كما تشاء يا معلم. الأمر أمرك.

وكان أوَّل ما فعله زقلط في الصباح الباكر الذهاب للسبتية والجلوس على مقهى مقابل لوكالة العسَّال؛ لمراقبته وتفحصه في إمعان لتسجيل أيّة ملاحظة ولو تافهة في عقله قد تنفعه وقتما يقضي مهمته، هكذا تقتضي أصول المهنة التي تعلمها من ربيبه حمودة العجل.

بيد أنَّ تصورات وأفكار زقلط التي رسمها في عقله عن العسَّال قد تقوَّضت وقتما رآه بعينيه وليس عن طريق تلك الصورة الضوئية التي أعطاها له حمودة العجل، كان العسَّال طويل القامة كعمود إنارة، ممتلئ القوام

عريض المنكبين، يميز وجهه شارب كث عريض مقَوَّس كمخرطة الملوخية، لذا فقد كان انطباع زقلط الأوَّل
عنه وقتما دققَّ النظر في صورته الضوئية أنَّهُ رجل يتصف بالقسوة والجبروت والإجرام لا يقل بأية حال من الأحوال عن حمودة العجل نفسه، لكن اتَّضح له من
خلال مراقبته أنَّ الرجل ربما في جسم ثور لكنَّهُ مسالم كالعصفور وطيب كإسماعيل ياسين! فالعسَّال يعامل صبيان وكالته كإخوته الصِغار وزبائنه في مودة
ولطف واحترام، ومن نافلة القول أنَّهُ لم يدخل وكالته سائل إلاَّ والرجل يدخل يده في جيب "السيالة" ويعطيه مبلغًا ماليًا بوجه باشٍ وابتسامة صافية، داخل
نفسه تساءل عن السبب الشاذ وراء تفكير أحدهم في التخلص من جسم الثور وعقل العصفور هذا؟ داخل نفسه آمن بأنَّ النفس الطيبة ليس لها مكان في تلك
الدنيا، وأنَّ الطيبين يرحلون والأوغاد يبقون وأنَّ الموت لا يقتفي أثرهم أبدًا.
طاف كلّ ما حدث في ذهن زقلط وانتهى عقب وصوله لمنزل العسَّال، تحفزت كلّ عضلة من عضلاته للقيام بمهمته الإجرامية، كلُّ شيء كان مخططًا ومرسومًا
بدقة من حمودة العجل، سيتوارى خلف أجولة وزكائب محشوة بالخردة مرصوصة بعناية في مدخل منزل العسَّال ثم لا يفعل أي شيء إلاَّ الانتظار حتى وقت
قدوم العسَّال، سيباغته وهو يصعد درجات السُلَّم بطعنة مباشرة في العنق أو القلب ويسرق حافظة نقوده للإيحاء بأنَّ الجريمة قد وقعت بدافع السرقة ليس إلاَّ.

انسل لداخل البيت في خفة دون أن يلاحظه أحد بما فيهم تلك القطة ذات اللون فاقع الاصفرار، والتي لم تلحظه أيضًا لخوضها معركة مع قط آخر واتته الجرأة والشجاعة القحة لدخول منطقة نفوذها.

توارى خلف الأجولة وأخرج مطواة كان يخفيها في جوربه الأيمن، ومن خلال فُرجة بين زكيبتين أخذ يحدق في باب المنزل مترقبًا لحظة دخول العسَّال لتنفيذ مهمته.

مرت دقائق كانت أشبه بالدهر عليه، كان مُفَعمًا بأحاسيس ومشاعر شتى وإن كانت جُلَّها تصُب في نهر القلق والخوف والارتباك وروافده، لعن العجل في سره ونعته بابن الزواني لعدم إعطائه ولو مئة جنيهٍ كانت كفيلة بشراء قرش من الحشيش وبيرة وحبة "ترمادول" لإخماد ثورة قلقه وتبريد أعصابه وإخراج العملية بالصورة المُثلى.

لكن حدث أن دهمه بغتة ثِقل مُوجع أليم في أُم رأسه. غريب هذا الثِقل كونه دهمه فجأة دون سابق إنذار، خليق به اعتباره ككَبسة رجال الشرطة على "غرزة" فتحية من حين لآخر.

وكان أوَّل ما خامرهُ وقتما ذهب في عالم غير العالم -مع الوضع في الاعتبار الآلام المبرحة التي صعقته- إحساسًا بالسباحة في عالم من الظُلمة الحالكة، كرائد فضاء هو يسبح في عالمٍ سرمدي مرصعًا بالنجوم وطاقات عدة من النور، أمَّا هو فكتل وجدران من الظلمة ولا شيء غيرهما.

لكن الألم تضاعف أكثر فأكثر بغتة كما حلَّ به بغتة،

وشيئًا فشيئًا انقشعت الظُلمة الحالكة وفتح عينيه بصعوبة وهو يتأوه ألمًا، وكان أوَّل ما تراءى له -مع طاقة من النور تأتي من مصباح ذي إضاءة خافتة-وجهًا مألوفًا في ذاكرته، وجهًا لشخص كان سيرسله في رحلة للعالم الآخر اليوم، وجد أمامه العسَّال!

وقبلما يتفوَّه بحرف قال له العسَّال في مودة وبصوت رفيع نسبيًا لا يتناسب بتاتًا مع جسده الهائل: - سلامات.

تجمَّد زقلط وكأنَّ كلمة سلامات بمثابة صفعة من كف هائل الحجم لأمين شرطة على قفاه! كان مُمَددًا على الأرض لا حول له ولا قوَّة ولم يزل يتأوه من الألم،

فألقى العسَّال ببصره على زقلط وقال له وهو يُشير لقالب خرساني: - لولا لطف الله لكان القالب الذي هوى من الأعلى قد سحق جمجمتك.

القالب الخرساني؟ هذا يفسر إذن حالة فقدان الوعي و..

لم يترك العسَّال زقلط يربط الأحداث ببعضها البعض إذ قال له:

- من أنت؟ ولم جئت ها هنا؟

وقع في الفخ إذن. تُرى ماذا يقول له؟ جئت لقتلك يا جسد الثور! لكن زقلط قال في سرعة: - أسألك الإحسان؟

لثوانٍ شمل المكان صمت وشمل العسَّال زقلط بنظراته وهو يحك ذقنه بسبابته وكأنَّهُ لا يصدقه فاستطرد زقلط في صدق: - جائع ومفلس وذليل ورب النعمة.

وكان يلهث من فرط الانفعال قبلما يستطرد:

- طلبت الإحسان من الكريم ابن الكريم.

أومأ العسَّال برأسه مُتفهمًا ثمَّ عاون زقلط على النهوض ليدخل يده بعد ذلك في جيب "السيالة"، وأعطاه مبلغًا ماليًا في راحة يده ليتلمس بعدها خطواته صاعدًا السُلَّم في هدوء.

ووقف زقلط للحظات مشدوهًا ووجهه مُتقلصًا من التعجب، يوزع بصره بين العسَّال وهو يصعد درجات السُلَّم وبين راحة يده والخمسين جنيهًا المُكوَّرة فيها!

ضربته ونازعته أفكار ومشاعر عدة في ذات الوقت، أبصر على بُعد خُطوات منه مطواته المُلقاة على الأرض بُعيد الحادث، لا تزال الفرصة سانحة أمامه كي يعاجل العسَّال بضربة ترسله للقبر الليلة وترسل له خمسة آلاف من أوراق البنكنوت التي كاد أن ينسى شكلها مع فقره وطول مدة حبسه! لكن.. لكن لا! العسَّال رجل طيب وابن حلال ولم يرد طلبه مثل حمودة العجل، صحيح العسَّال رجل طيب والطيبون دومًا يرحلون مُبكرًا ويتركون الحياة ملعبًا للأوغاد لكن ليس اليوم، حقت الحياة على الرجل الطيب ليوم آخر.

ولم يلبث زقلط لثوانٍ حتى خرج من باب البيت وهو يمسك رأسه، ولم يزل يتأوه وقبل أن يعرج للشارع الرئيسي شمل بيت العسَّال بناظريه وهو يحكم قبضة يده على الخمسين جنيهًا، قبل أن يركب حافلة مزدحمة متجهة نحو منطقته لتبتلعه أكوام اللحم البشري داخلها.

W

عائلة كورلاف

(محمود محمد السيد)

كم أود أن تتوقف هذه الأصوات في رأسي.. لم يكن هذا شأني منذ البداية، إنه الفضول.. تلك الغريزة الحمقاء التي قادتني إلى هنا.. أصوات في كل مكان، أشتهي القليل من الصمت رأسي يكاد ينفجر... وأكاد أفقد صوابي..

جلست في ذلك المطعم أتناول بعض القهوة.. هناك جلس ذلك الرجل في عقده الثالث وبجواره صغير ذو عينين واسعتين تملؤهما زرقة البحر، شعره ذهبي، بدا ممتعضًا بعض الشيء وكأنه يعتب علي ذاك الرجل - الذي بدا كأنه والده-في شيء ما ربما لم يجلب له لعبة أو بعض الحلوى التي يحبها.. لم أفهم قط كيف يفكر أولئك الحمقى الصغار...

قاطع تفكيري ذلك النادل النحيل ذو البشرة الشاحبة.. ينهمك في إطعام الزبائن وينسى نفسه. أتى ليسألني إذا ما كنت أحتاج شيئًا آخر.. لم أجبه وحولت بصري من ناحيته تجاه الفتى ووالده.. لأجد الصبي قد تحول من الامتعاض إلى الرضا فوالده قد استطاع أن يرضيه ويحيله من الحزن إلى السرور في لمح البصر.

وضعت يدي بجيبي لأترك ثمن القهوة وأهم بالرحيل، وجدت هذه الورقة التي كانت سببًا لأستعيد خيطًا من ذاكرتي... زادت نبضات قلبي وانساب العرق على جبيني كالسيل... فقط لمَ لم أبقِ تلك الورقة داخل طيات جيبي دون أن أمسها!

احتوت الورقة على صورته... نفس الملامح -التي تأكدت منها مئات المرات جيئة وذهابًا بنظراتي بين الورقة وبينه-واشتملت على بعض بياناته.. اسمه، وسكنه،

وحتي تحركاته وأماكن تواجده يوميًا هو وصغيره.. ازداد توتر نبضاتي بعد قراءتي لآخر سطر في تلك الورقة.. "اقتله في أسرع وقت".

نعم.. أنا قاتل مأجور، تلك الورقة ذكرتني بحياتي -بعض منها علي الأقل-لا أعلم لصالح من أو منذ متى.. حتى إني لا أعرف شيئًا آخر عن نفسي من أكون وماذا أتى بي إلى هذا المكان..

مشتت الذهن لم أملك سوى أن أنظر إلى ذلك الرجل متأملًا تصرفاته وتعامله مع ذلك الطفل، لا هذا ولا ذاك يدل على أنهما يستحقان القتل.. امتد حسن خلقه في التعامل مع ذلك النادل الذي أسقط بعض الأطباق من يديه فعاونه على التقاط ما سقط من طعام.. وشذرات الأطباق المحطمة... كيف لأحد أن يريد قتله؟!

W

تبعتهم لساعة أو بعض منها.. وصلا إلى منزل على أطراف المدينة، منزل ليس كبيرًا لكن أحاطته جنة من النباتات الخضراء، وسط تلك الحديقة أرجوحة تدلت من أعلى شجرة عجوز أصدرت تلك الأرجوحة صريرًا كلما هب بعض النسيم، صريرًا يكسر صمت المكان وهدوءه.

كانت الشمس قد أوشكت على الرحيل، تبعتهم مرورًا بتلك الحديقة متسللًا وقد دخلوا إلى منزلهم الصغير، وقفت بجوار نافذة صغيرة أطلت على غرفة المعيشة التي توسطتها طاولة عليها طبقٌ كريستالي به بعض الثمار.. تناول الوالد أحدها وقام بتقطيعها بسكين وقدمها للصغير الذي تناولها بهدوء..

شعرت بوقع أقدام في مدخل الحديقة فتوجهت إلى

بعض الأشجار واختبأت بينها لأتابع من بعيد من يدخل إليها.. ثلاثة رجال مفتولي العضلات أحدهم يمشي

بعرج خفيف.. تحدثوا بلغة غريبة لكن شعرت أني ألفتها.. توجهوا إلى باب المنزل يطرقونه، بالخطأ دهست أحد الأغصان الملقاة علي الأرض فأصدر صوتًا لفت انتباه

أحدهم تجاهي فنظر متفحصًا، لكن لحسن حظي لم يميز وجودي وسط تلك الأشجار.. لاحظت وجود وشم على ذراعه كان عبارة عن وجه أسدٍ يزأر.. طرقوا ذلك

الباب حتى كادوا أن يحطموه بل حطموه فعلًا.. سمعت صوت شيء زجاجي يتحطم بدا لي كطبق الفاكهة الذي رأيته وتتابعت الضوضاء لتشمل كافة أرجاء

المنزل.. سمعت صراخ الصغير وصياح الوالد "أبي من هؤلاء؟!"، "اتركوه وشأنه لا علاقة له بالأمر"، صوت طلقات نارية أربع طلقات ميزتها أذني.. صوت ارتطام

قوي بالأرض، صياح الفتى الصغير، صوت الرجال يتحدثون.. ظلوا يتحدثون بلغتهم تلك لكني استطعت أن أعرف معنى ما قالوا.. "اتركوا الصغير لا فائدة من

قتله".. "لنغادر الآن دوي الطلقات سيجلب الشرطة إلى هنا".. "هيا.. هيا"... لحظة لحظة لحظة.. كيف استطعت أن أفهم كلماتهم! هذا غيرُ ممكن.

توجهت بنصف عقلٍ إلى داخل المنزل، الباب محطم، الأثاث لم يبق فيه قطعة واحدة سليمة، قطرات دماء تبعتها ببصري لأجد في نهايتها الوالد ملقى وسط بركة

من دمائه، بركة لم يخش الطفل الصغير أن يسبح خلالها ليحتضن والده بقوة "أبي عد إليّ، لن أشتكي سوء طعامك بعد الآن.. سأبقى مطيعًا.. أرجوك عد إليّ".

سمع الصغير خطواتي فبدأ ينظر إليّ، رأيت في لمعان عينيه الدامعتين حذائي الأسود، سترتي الفضية ولحيتي التي أهملت تشذيبها منذ زمن أجهله تمامًا، ظن
الطفل أني أتيت لأكمل مهمة أولئك الرجال وألحقه بأبيه الذي تركه وحيدًا لتوه.
أمسكت بيمناه وجذبته إليّ بعد مقاومة منه.. كيف له أن يرى هذا الكم من الألم وهو لا يزال بتلك السن المبكرة.. أخذته إلى خارج المنزل وأجلسته على تلك
الأرجوحة ليستعيد بعضًا من هدوئه.. سألته عن والده فقد سرت بداخلي رغبة ملحة لأعرف شيئًا عن هذا الرجل.. متلعثمًا قال: "أبي مخترع ويستطيع أن يفعل
أمورًا عظيمة".
"حقًا".
"أجل.. لقد أخبرني قبل أيام أنه توصل لشيء هام يسعى الأشرار خلفه".
"وأين هذا الشيء وما طبيعته؟!"
"لا أعلم.. فقط أخبَرني أنه دمره لأنه خطر".
W
في غرفة صغيرة في أحد الأبنية في وسط المدينة جلست أنا والصغير الذي ظل ساكنًا دون حركة أو كلام.. وأنا لم ألق بالًا لصمته فقد أخذت أنظر في أرجاء الغرفة،
التي تصدع سقفها وتشققت الجدران لتفصح عن ساكنيها من فئران وحشرات قد لا تراها يومًا إلا في مكان كهذا.. كانت هناك حقيبة سوداء في ركن من أركان

الغرفة وطاولة عليها بعض الأوراق التي تناولتها لأجدها كتلك الورقة في جيبي، والتي كتب بها أن أعود إلى تلك الغرفة بعد أن أنتهي من المهمة..

مرت عشرات الدقائق وأنا أتفحص الأوراق، منها ما كتب عليه "مهمة منتهية" ومنها ما ترك دون توضيح.. تناولت القلم بدافع الفضول، انسابت الحروف من

يسراي وكاد قلبي أن يتوقف فقد كان خطي مطابقًا تمامًا للخط المكتوب به تلك الكلمات.. هل يعني ذلك أنني! لا لا لا أنا لا أذكر حتى أني أمسكت بسلاح في حياتي

كيف لي أن أقتلهم.. في اللحظة نفسها ملَّ الصغير سكونه فانطلق في الغرفة عبثًا، لم أشعر بحركته، سمعت صوت ارتطام جسم معدني بالأرض، نظرت لأجد

الصغير أخرج ما بتلك الحقيبة السوداء.. كانت تحتوي على أسلحة تكفي لشن حربٍ على مدينة بأكملها، لفت انتباهي بندقية القنص تلك.. من طراز شتير إتش

إس خمسين صناعة النمسا للعام الرابع بعد الألفين.... تبًا! كيف لي أن أعرف كل هذا! ما هذا.. سأفقد صوابي.

تركت الصغير بعد تحذير شديد مني بعدم تحركه من مكانه أو اقترابه مرة أخرى للحقيبة، ذهبت لأستحم بعد هذا اليوم الغريب الذي لم أدرك له أي معنى..

تدفق البخار من مياه ذلك الصنبور، تركت المياه تنساب على جسدي، أغمضت عيني محاولًا تذكر أي شيء ولكن لا أثر لذلك الشيء في رأسي.. اقتربت من المرآة

ولاحظت شيئًا غريبًا بدا كجرح على ذراعي.. مسحت البخار المتكاثف علي سطحها لأجد ما لم أتوقع.. من بين

كل وحوش البرية ومن بين كل فصائل الحيوانات لم
أجد إلا أسدًا يزأر كي أضعه وشمًا على ذراعي.. لمَ لم أضع أرنبًا أو حتى فيلًا أو ثعلبًا؟ لماذا أسد.. هل أنا واحدٌ منهم؟! هل تأخرت في مهمتي فأتموها هم!

W

في تلك الأثناء كان أولئك الرجال قد عادوا إلى رئيسهم.. رجل نال الشيب من رأسه جلس خلف مكتبه الضخم ممسكًا بقهوته، وقف الرجال أمامه بشيء من
الفخر لاكتمال المهمة الموكلة إليهم: "لقد انتهينا منه يا سيدي".

"هل أحضرتم الجهاز؟!"

"لم يكن هناك أي أثر له في المنزل".

"بحثنا في كل مكان يا أبي".

"أخبرتك يا غبي ألا تدعوني أبي".

"أنا آسف يا سيدي".

بدا عليهم الخوف من رد فعل رئيسهم الذي بدأت عيناه في الاحمرار: "أغبياااااء.. قلت لكم أن تكملوا المهمة التي فشل فيها (ديميتري) ذلك الأحمق الذي لا أدري
أين ذهب، كان يجب أن ينتهي من هذه المهمة منذ أكثر من أسبوع.. بغبائه قادني لما فعلت بعائلته... أنا أتعامل مع أغبياء بكل بساطة.."

ألقى بقهوته تجاههم قبل أن يقاطع ثورته أحد الرجال وقد علت تلك الابتسامة وجهه: "ليس جميع رجالك حمقى يا سيدي.. لقد كان (ديميتري) في حديقة منزل
(ألكسندر) تركناه لنعلم ماذا ينوي أن يفعل.."

تابع الرجل الآخر: "أرسلنا خلفه أحدنا ليعلم أين ذهب بالجهاز.."

باندهاش تام نظر إليهم العجوز "أحضروه لي... وبسرعة".

همَّ الرجال مغادرين ليلحقوا بزميلهم ليصيح العجوز بصوت عالٍ: "حيًا يا حمقى.. حيًا".

W

كنت في ذلك المنزل الصغير الدافئ، تعجبت من وجودي فيه.. متى أتيت إلى هنا؟! لقد كنت برفقة طفل ووالدته في تلك الغرفة.. الآن أنا في هذا المنزل، ماذا حدث

للطفل الآخر، أين ذهب؟! مشيت متفقدًا أرجاء ذلك المنزل لعلي أجد ضالتي هنا.. وجدت تلك السيدة رائعة الجمال، شعرت أن وجهها أدخل السرور والدفء إلى

قلبي.. جلست تحكي قصة للصغير، جلس تحت قدميها مستمعًا ومشدودًا إلى أحداث قصتها، كان شديد الشبه بالصغير الذي تركته أنا أو هو تركني.... من حيث

لا أدري أتى أولئك الرجال محطمين باب المنزل.. كانوا نفس الرجال الذين قتلوا والد الصبي ولكن زادوا في أسلحتهم كأنهم مقبلين علي حرب مع جيش من ألف

جندي... ابتعدت لأحتمي من طلقاتهم، لم أملك لتلك السيدة وصغيرها حماية منهم، كان باستطاعتي أن أنجو بنفسي فقط.. انتهى الأمر سريعًا لم يدم ما رأيت

إلا لحظات... لحظات ساد بعدها الهدوء... لحظات وكان المنزل خاليًا من دفئه، خاليًا من أي روح فيه.. سوى ذلك الرجل ذي النظرة الزائغة الذي وقف أمامي في

المرآة المحطمة... لماذا لم يروني، بدوا كأنهم يتجاهلونني... وقفت بجوار جسد تلك السيدة التي حاولت بآخر ما تملك من قوة أن تحمي روح صغيرها لكن دون

جدوى... صعدت سلم ذلك المنزل لأدخل غرفة امتلأت بألعاب ورسوماتٍ ألقاها أولئك الرجال متناثرة على الأرض وقد مزقوا بعضها، التقطت واحدة منها رسمها

بيده الصغيرة.. رسم نفسه وقد توسط أمه ورجلًا ما.. تابعت تحركي في المنزل، دخلت غرفة مجاورة لغرفة الصبي، كانت غرفة بها سرير كبير وعلى أحد حوائط

الغرفة صورة كبيرة بدت كنسخة لتلك الرسمة التي رسمها الصغير، هو في الوسط وأمه بجواره.... وكنت أنا هناك، أجل، ملامحي نفسها.. اقتربت من الصورة

لأتفقدها لعل نظري خانني فتأكدت مما رأيت.. اقتربت وكلما اقتربت اتسعت تلك الغمامة التي حجبت عني الرؤية، شعرت أن هناك من يهز جسدي: "إنهم هنا..

إنهم هنا.."

كان صوت الصغير يحدثني، هل جن جنوني أم أنني مت وحان وقت الحساب؟ بدأت بفتح عيني لأعود لعالم الواقع وقد وجدت الصغير قد أصر على إيقاظي...

قمتُ متخبطًا أنظر من النافذة التي أشار الصبي إلى خارجها، كان أولئك الرجال يغادرون سيارة سوداء كقطعة من الليل، وقفوا يتحدثون مع رجل بدا كأنه كان

في انتظارهم، توجهوا إلى باب المبنى، بالتأكيد يقصدوننا، دون تفكير توجهت إلى الحقيبة السوداء، تناولت بندقية ألفت يدي قبضتها.. حملت الصبي

وركضت
خارجًا من باب الغرفة، نظرت إلى الأدوار السفلية للمبنى، كانوا يصعدون بسرعة كبيرة، رآني أحدهم فأطلق رصاصة باتجاهي لكنه أخطأني.. صعدت تجاه سطح
المنزل لعلي أجد مفرًا من هذا المأزق.. وصلت إلى سطح المنزل في لمح البصر لكن لم أجد أي مفر، كان المبنى يبتعد عن أقرب مثيل له بعشرات الأمتار، أمسكت
بالبندقية وصوبت تجاه الباب، شعرت بالطفل قد أمسك بقدمي مرتعدًا.. دخل أولئك الرجال إلى سطح المنزل واستعدوا لإطلاق النار.. ماذا أفعل الآن.. وأين المفر
منهم؟!
W
إلى قبو معتم أخذوني أنا والصغير، قيدوني إلى كرسي وقيدوا الصغير إلى آخر بجواري.. كيف له أن يؤذيهم.. فيقيدوه.. اقترب عجوز أشيب بخطوات متباطئة،
شعرت أنه خائف بعض الشيء.. كيف يخافني وأنا مقيد هكذا؟!
"ديمتري.. ديمتري.. ديمتري.... أتعبتني في البحث عنك وكنت سببًا في تأخر تسليم الجهاز إلى الزبون"..
ديمتري، لقد كان ينظر إليّ وهو يتحدث، لا بد أن هذا
اسمي..
"عليك أن تتعاون معي أين ذهبت بالجهاز؟ لم يجده الرجال بمنزل ألكساندر لا بد أنك تملكه".
"أي جهاز أيها العجوز الخرف؟ فك قيودي واتركني أنا

والصغير فلا شأن لنا بجنونك هذا".

"جنون؟ أنا سأريك جنون هذا العجوز الخرف كما تقول سوف أ... انتظر لحظة ألكساندر لم يجرب الجهاز عليك.. أليس كذلك؟! لا تخبرني هذا.. تبًا لقد جرب

الجهاز عليك وأفقدك ذاكرتك.."

ذاكرتي؟ هل أنا حقًا فقدتُ ذاكرتي بسبب جهاز ما اخترعه والد الصبي؟ لكن الصبي أخبرني أن والده دمر الجهاز لأنه خطر كيف لي أن أستعيد ذاكرتي مجددًا؟

نظرت للصغير فقد كان بيد والده خلاصي وحل مشكلتي.. كان يجلس هناك مرتعدًا لا حول له ولا قوة، تكاد عظامه تتحطم من التخبط ببعضها البعض خوفًا...

عليَّ أن أخرج من هنا وبعدها أجد حلًا لمشكلتي الأخرى.. حاولت أن أفك وثاق يدي، استجمعت قواي لكن هناك من عاجلني من الخلف بضربة موجعة على رأسي

أفقدتني وعيي..

W

أفقت لأجد فأرًا صغيرًا يمشي على كتفي، كم وددت لو أنه يقرأ ما بداخلي فيأكل خيوط ذلك الحبل الذي قيد حركتي فأتحرر.. سمعت أنفاس الصغير بجواري..

"ما اسمك يا صغير؟!"

بعين باكية: "أيريك".

"أوَتعلم هذا.. كان لي ابن في نفس سنك".

"أين هو الآن؟!"

"سافر هو ووالدته ولكنني سألحق بهما بعد أن أنقذك يا

صغيري لا تقلق".
ابتسم لي وقال: "أنت أيضًا تشبه أبي في تصرفاته، هو دائمًا يحنو عليّ ويهتم لأمري".
أعلن صوت صرير ذلك الباب عن دخول الإخوة الثلاثة (جيك ودانيال ونكيتا)... "جيك.. كيف حال ركبتك؟! آمل أنها شفيت كي يتسنى لي أن أكسرها مجددًا".
"أود أن أراك تحاول هذا، أ... ماذا هل تتذكر؟!"
"أخبرتكم أنه يستخف بنا ويتصنع النسيان".
"إذًا الجهاز بحوزته هو.."
تركتهم منشغلين بحماقتهم تلك.. شعرت بيدي تنساب من القيود وجسدي ينطلق خفيفًا، أمسكت رأس نكيتا وأدرتها بقوة فانفصلت عن جسده، علمت هذا
من صوت تحطم فقراته.. أخواه كانا مأخوذين تمامًا، ما سمح لي أن آخذ سلاح نكيتا محكمًا قبضتي عليه، نظرت للصغير وأخبرته أن يغلق عينيه عشر ثوانٍ كانت
كافية لإنهاء الأمر... حللتُ وثاقه وأمسكت بيده وانطلقنا خارج ذلك المكان تاركين جثث الإخوة الثلاثة ملقاة علي الأرض.. ليذهبوا بسلام إلى الجحيم.
فتحت خزانة في أحد جوانب ذلك المكان وُضع بها أدوات التنظيف وسلال القمامة.. أمسكت بكلتا يديّ الصغير: "لا تقلق سأعود من أجلك.. تبقى لي مهمة واحدة
بعد".
اكتفى الصغير بهز رأسه.. واكتفيت بهذه الهزة كإشارة لانطلاقي إلى (كولاروف) العجوز.. أمسكت بقوة بذلك السلاح الذي أخذته من الحمقى الثلاثة... توجهت إلى

الغرفة التي طالما كان كولاروف يجلس بها خلف مكتبه، دفعت الباب بقدمي، انتفض من مكانه فزعًا: "كيف هربت من القيود.. أين أولئك الأغبياء؟ سأقتلهم".

"لا تلق بالًا لهذا الأمر.. تكفلت بأمرهم من أجلك".

لا أعلم هل خاف من جملتي تلك أم خاف من ابتسامتي، ذلك الخوف جعله يسقط محاولًا الهرب من غرفته.. اقتربت منه وأمسكت برأسه فتألم.. بصوت خافت: "هل استعدت ذاكرتك؟!"

"ربما، وربما لا". كان عليّ أن أتركه في حيرة من أمره فإذا علم أني في هذا الوقت بنصف ذاكرة قد يستغل ذلك أو يضللني.. تلك الضربة على رأسي أعادت لي بعضًا

من ذاكرتي، لكن سأتابع اللعبة لكي أصل لنتيجة ترضيني.. "أنت قتلت زوجتي وابني.."

"هل أنت مجنون يا ديمتري كيف لي أن أفعل هذا؟"

"رجالك فعلوا.."

"لا، لم يمسهما أحد من رجالي، ربما ألكساندر قد أرسل من يستعيد جهازه منك بعد سرقتك له.. أنا لم أسمع منك منذ كلفتك بالمهمة".

"لكن ألكساندر بدا شخصًا عاديًا حتى المعلومات في تلك الورقة لم تذكر أن له ميولًا للشر".

"تلك الورقة كانت رفقة ورقة أخرى بها تاريخه الإجرامي بالكامل..."

ماذا؟ تاريخٌ إجرامي.. قتل زوجتي وابني.. هل هذا حقيقي أم أنه أدرك أني منتقص الذاكرة فتلاعب بي؟! هل لي أصلًا زوجة وابن؟! لا أملك في دماغي غير ذلك

الحلم، هل هو حقيقة أم أنني الآن وقعت في أسر الأوهام؟ ذهبت إلى تلك الأرض ووقفت بقدمي داخل الفخ -بمحض إرادتي-وكبريائي يمنعني من الاستغاثة،

ولكن عقلي سيُجن لأطلبها (أما من أحد يعرف ما حدث لي؟ أغيثوني).. ولكن لا إجابة.

"زوجتك كانت امرأة طيبة انفطر قلبي لرحيلها، وابنك كان حفيدي، كيف لي أن أقتله إنه أصغر فرد في عائلة كولاروف".

"توقف عن الكذب، سأقتلك إذا لم تخبرني بالحقيقة".

لم يتوقف لكنه تصنع عدم الإنصات إليّ.. "لا بد أنك مهتم بابن ألكساندر لأنه يشبه ابنك كثيرًا.. كلاهما في نفس العمر، أليس كذلك؟!"

أمسكت بمسدسي بكلتا يديّ، أحكمت القبضة عليه، صوبت تجاه رأسه: "كولاروف أنت كاذب".

أخذت نفسًا عميقًا تبعه صوت صياح العجوز طلبًا للغفران: "ارحمني يا بني، أنا والدك".. اخترقت الطلقة قلبه ومزقت خلاياه.

W

كم وددت لو أن العجوز كان يكذب.. وقد تحولت تلك الأمنية إلى حقيقة بداخلي فقتلته.. توجهت إلى الخزانة التي تركت بها الصبي.. ونظرت إليه، رأيت في عينيه

عين أبيه من ذلك اليوم في المطعم، تلك النظرة الحانية كانت نفسها.. لا أعلم، فكرت للحظة أن كولاروف كان محقًا وأن والد الصغير قد قتل أسرتي.. زوجتي

وابني.. "يجب أن أقتله لأنتقم لموتهما".

أمسكت بمسدسي وتعرقت يداي، أحكمت قبضتي

عليه وأخذت نفسًا عميقًا. "لكن.... لا، هو ليس له أي دخل بهذا الأمر إن كان والده قتلهما.. لكنك لست حتى على يقين بأن هذا حقيقي.."

هذا الحديث داخل رأسي كاد يقتلني.. لكنني اهتديت لأن الفتى في الحالتين ليس له دخلٌ بما حدث.. اقترب مني وأمسك بيدي.. أحكمت قبضتي علي يده: "هيا لنذهب..."

"إلى أين؟"

"لا أعرف يا صغيري.. لا أعرف".

هل كل ما حدث بسبب الجهاز الذي صنعه أبي؟"

"ربما يا صغيري.. لكن لا تشغل بالك".

"أنا أعرف أين أخفى أبي الجهاز".

"ماذا قلت؟!"

W

في طريقنا إلى منزل ألكساندر لم ينطق الصغير بكلمة واحدة، عاتبته بنظراتي فصمت خجلًا من قوله بأنه لا يعرف عن الجهاز شيئًا.. وصلنا إلى المنزل -ما تبقى منه بمعنى أدق-توجه الفتى إلى خلف المنزل.. مررنا بابًا ونزلنا سلمًا قادنا إلى غرفة تحت الأرض، وكان أمامنا خزانة معدنية، اقترب الفتى وأدخل كلمة السر لفتحها (جي تيم أيريك). قالها الفتى وهو يكتبها علي لوحة الخزانة.. أنا أحب أيريك، كان والده يقولها في كل مرة كان يفتح الخزانة السرية تلك.. متمسكًا بآخر ما تبقى له من أبيه قالها... فتحت الخزانة وابتعد الصبي بخطوتين للخلف ليتيح لي الفرصة لأتفحص الجهاز الذي توسط

الخزانة وحيدًا.. أمسكته بيد مرتعشة... هل
أستخدمه لأستعيد ذاكرتي مجددًا؟! ولكن ربما تألمت كثيرًا لفقدان زوجتي، لا حاجة لي بهذا الألم... وربما ليس لي زوجة وكل ما لي هو كنز في مكان ما يجعلني
أعيشُ ملكًا ما تبقى من عمري... هل أحطمه وأريح رأسي من هذا الصراع الذي أجهدها؟ تبًا لقلب يفكر وعقل لا يسيطر.
طلبت من الفتى أن ينتظرني في الخارج، لم تمر لحظات لأخرج إليه.. "هيا يا صغير لم يبق لنا ما نفعله هنا".
تبعني الصغير دون أن ينطق بكلمة واحدة.. ركبنا السيارة السوداء التي أخذتها من أمام منزل الحمقى.. أثناء قيادتي شعر الصغير بشيء تحت قدميه، أمسكه
بكلتا يديه وأشار به من النافذة مصوبًا على المارة في الشارع.. أوقفت السيارة ونظرت إليه.. لم أستطع أن أمحو تلك الابتسامة من على وجهي.. ربت على كتفه
وأخذت ذلك المسدس من بين يديه.. "ليس الآن.. فأمامك الكثير لتتعلمه.."
تابعنا السير إلى ما هو آتٍ.. مستقبل غامض بنفس غموض الماضي الذي لا نعرف عنه الكثير....
W
"أبي.. أبي..."
"ماذا هناك يا أيريك؟"
"لقد قتلته... يبدو رائعًا أليس كذلك؟!"
"أجل يا صغيري لكنك لم تجهز عليه كما يجب.. هاتِ هذا المسدس".

صوت إطلاق النار دوى في الفضاء سبقه صراخ الرجل... "هكذا تفعلها يا صغيري".

عجيب أمر الصغار يكبرون بسرعة غير عادية.. أليس كذلك؟! هذه قصتي أنا (ديميتري كولاروف)... وقد أعود من جديد.... فقط ربما من أجلك أنت!

W

نافذة مائلة

(محمد حسن عبد الله علي)

بدت لي هيئته من خلف نافذتي كسيدنا سليمان، اتكاءته على العصا وظل العمامة الذي حجب ملامح وجهه وجلسته الوقورة كملك يشرف على ألوف من الجن

الضجرة.

قبيل ساعة كنت آيبًا من وقفة احتجاجية لضحايا حرب الكويت، تقافزت متخطيًا برك المياه الراكدة وعندما حازيت العجوز، رفعت صوتي بالتحية فرد عليّ

بحشرجة غامضة وأشاح بوجهه بعيدًا عني، كنت معتادًا على تقلباته الدائمة إلا أنني تمنيته اليوم معتدل المزاج؛ فإحباط ما بعد الوقفة يدفعني لتجاذب أطراف

الحديث معه. أكملت بقية الطريق هرولة وأنا أحتمي بصحيفة أحملها من هجير الشمس اللاذع.

تحت الدش أغلقت عيني وتركت برودة الماء تدغدغني، وشعرت بها تحتضنني من الخلف، تحسست عنقي وانزلقت راحتاها لتتمشيا على عشب صدري ونهداها

العاريان ينضغطان على ظهري، فتحت عيني فانسحب كل شيء إلا من برودة الماء.

أعددت كوبًا من القهوة وحملته إلى مكاني المفضل خلف نافذتي التي تكشف شارعنا بأكمله؛ فمنزلي ذو الطابق اليتيم عند آخر ناصية إذا ما ولجت الشارع من

الشرق، وعند أوله إذا ما أتيت من الغرب. أخذت رشفة وأنا أضع الصحيفة على فخذيّ، ثم تناولت المرقاب ووضعته أمام عينيّ، كان الشارع خاليًا إلا من سيدنا

سليمان المتلفح بثياب العجوز.

عندما ابتعت هذا المنزل لم أضف إليه إلا هذه النافذة، طلبت من البناء اختلاق نافذة معتمة على الجدار المقابل للطريق على أن تكون مائلة! نظر إليّ متعجبًا إلا أنه

رضخ لمشيئتي، بينما زينت الحوائط الأخرى بصور شاطئ المسيلة وجزيرة فيلكا الخلابة وبيت السدو التراثي وأبراج الكويت الثلاثة، هذه الغرفة هي الوحيدة التي

أشغلها... هنا أجد نفسي أقرب ما أكون إلى زوجتي التي تركتها هنالك تحت أنقاض المدينة الجامعية. من هنا أراقب الطريق، العالم من خلف نافذتي يبدو مختلفًا

كليةً، من هنا يتعرى الجميع أمامي، قد أبدو مختلًا وأنا أقضي ساعات طوالًا أتلصص على جيراني، لكن ماذا ستفعل لو كنت تعاني من الوحدة مثلي؟!

قلبت الصحيفة فلم أجد خبرًا ولو صغيرًا عن وقفاتنا المتكررة، نرفع شعاراتنا وتبح أصواتنا وتغلي أدمغتنا كالمراجل تحت لهيب الشمس، ولا نجد صدى، المركبات

تمرق من خلفنا مخلفة بعض النظرات الفضولية فقط، هي لعبة وقت كما قال العجوز: ينتظرونكم أن تكلوا وتملوا.

العجوز هو الوحيد الذي حاز على اهتمامي من كل أهل الحي، سكنت قبله بفترة وجيزة، ظهر ذات ليل شاتٍ، كان راجلًا ويتلفح عباءة حجازية باهتة ويتوكأ على

عصا أبنوسية، وتتبعه عربة نقل تُقل زوجه العجوز وابنه وبناته الثلاث وعددًا من الأحفاد الصغار، في هدوء

سكنوا منزلًا متهالكًا بين بنايتين فخمتين، وأخبرني فيما بعد أن صاحب البيت تعاطف مع حاله فمنحه السكنى إلى حين.

عدلت جلستي وأنا أتابع جاري الشاب الذي ظهر أمام منزله، مرتديًا بنطال جينز قصيرًا حتى منتصف الساق وفانلة ذات حمالات حمراء مبرزة عضلات لا بأس بها وخلف أذنه سيجار، راوح بين قدميه، فرك يديه، ونظر بحقد إلى العجوز، دعك أنفه الأفطس وأطلق سبابًا بذيئًا قرأته على شفتيه ثم اختفى. وضعت المرقاب جانبًا وأنا أطلق ضحكة جذلة... العجوز لا يدري شيئًا لكنه حجر عثرة أمام نزوات الشاب وجارتنا الفاتنة. عندما وضعت طفلها الثاني ذهبت مهنئًا زوجها ذا الأنف الدقيق ولم أندهش عندما حملت الطفل وشاهدت أنفه الأفطس.

رفع العجوز رأسه نحو نافذتي، تراجعت بظهري على المقعد... نظراته هذه دومًا تربكني، بالرغم من أن الزجاج معتم ويستحيل أن يراني فإن نظراته تخترق العتمة وتخترقني وأشعر أنه يعلم أنني خلف النافذة أرقبه. عاد إلى جلسته الأولى، كان كما رأيته أول مرة... عباءة حجازية بالية والعصا وعمامة ضخمة تنتحب على ماضٍ زاهر.

صرت خبيرًا بتقلبات العجوز النفسية... يستلطفني أحيانًا ويدعوني لمجالسته، وحينًا يطردني ككلب أجرب. ذات صفو ومن بين ضحكاته أخبرته أنني أعلم أنهم يمرون بضائقة مالية؛ فابنه على باب الله، وبناته لا

يعملن وأحفاده موزعون على المدارس، أنهيت مقدمتي مبرزًا حزمة نقود... تبدلت ملامحه واحتقنت عيناه
بالدم، هز عصاه في وجهي ثم أشار إلى منزلي وزأر كأسد داسه الزمن: "اذهب".
انسحبت خجلًا ولم يحادثني لأسبوع وتعلمت دس النقود في يد ابنه.
ذات يوم سألني: "هل تريد تعويضًا لمقتل زوجتك؟"
تلعثمت نافضًا الاتهام عني: "زوجتي لا تعوض بمال، هنالك فقدت مدخراتي وفقدت حياتي بموت حبيبتي، أنا أساند الضحايا أمثالي، أريد اعترافًا منهم أنهم
تركونا في العراء تتناوشنا الذئاب، أريد اعتذارًا رسميًا عن تقصيرهم بمواطنيهم بالمهجر".
قهقه العجوز: "اعتذار ورسمي!"
بان ضيقي بملامحي: "لم السخرية؟ يبدو أنني سأندم على مسامرتك".
هممت بالمغادرة عندما جذبني من يدي ثم ربت على فخذي مهدئًا: "لا تكن غضوبًا... إنني لا أسخر منك بل من حالنا جميعًا، وضعنا كنافذتك مائل، امنحني
أذنيك وستنسى ترهات الاعتذار هذه".
شبك يديه على عصاه ووضع ذقنه عليهما ودون أن ينظر إليّ تحدث:
"يا بني... خسائرك كانت بأرض غريبة ومن أناس أغراب قذفوا قنابلهم يمنة ويسرة دون تمييز، ماذا لو كان مقتلعوك من أرضك وقاتلوك هم بني جلدتك؟ في
زمان ما لم أكن العجوز الذي تراه، كنت هنالك... بأرض

الفردوس، زرعها أخضر لا يصفر وماؤها عذب صافٍ، وعشيرة طيبة مسالمة، كنت حينذاك كبيرًا للبلدة،

لم أكن خيال المآتة الذي تراه الآن، أفقر رجالنا كان غنيًا بحسابات هذا الزمان، الآن لا ضيف يزورني وذاك من لطف الله فلو جاء لن أجد ما أجود به عليه... اليوم

أنا متعطل كشاب أخرق من مدينتكم، خرطومكم التي لا أجد بها راحة، مدينة تعيش لنفسها ولا تستقبل غريبًا حتى تتلاعب بأخلاقه وماضيه، عندما ألقي

السلام على هذه المأفونة -وأشار إلى منزل جارتنا ذي الطوابق الثلاثة والتي كانت من كبار كارهي أسرة العجوز لأنهم ببيتهم الطيني يقللون من "برستيج" الحي-لا

ترد وتشتم أحفادي كلما وجدتهم يلعبون في ظل منزلها.

آبيبه... كنا في الجنة عندما داهمنا الشيطان، نتصيد أخبار الحرب الدائرة في حذر ولكننا لم نحسب أن لهيبها سيمسنا... ذات صائفة والكل قائل أو يعمل في

الحقول باغتونا -تمخط في كم جلبابه-باغتونا كضباع الجبل، نهشونا كجيفة، وعندما وصلوا إلى داري لم أجد أنا الشيخ العجوز إلا عصاي لمواجهتهم بها،

تقاذفوني ككرة، صفعوا زوجتي وربطوها كنعجة، وجروا ابنتي -تساقطت دموعه بينما احتقن وجهي-تناوب على اغتصابها خمسة منهم وأنا الأب مرمي كخرقة

بالية مشجوج الرأس أنتحب كالنساء، ابني الأكبر ظهر كبطل من رمل فأردوه بالرصاص دون أن يطرف لهم جفن، وقتها حمدت الله أن ابني الآخر بالحقل..."

نشج وهو يحاول كبت أحزانه...

"... تركونا وليتهم لم يفعلوا، وجدت فمي مختلطًا بلعابي وملح دموعي ودمي، هل كان دم أسناني المخلوعة أم دماء ابنتي المسفوكة؟! وهربنا تاركين كل شيء

خلفنا، وتشردت عشيرتي، جلهم "باركسوني" و"فرشنا"(3) بتشاد، وقلة في "الجنينة " و"الفاشر"... طوال فترة هروبنا ظلت ابنتي المذبوحة مكتئبة وترميني بنظرات

لائمة كأنني أخطأت ولم أمت كأخيها الأكبر! نزلنا عند قريب لنا "بالأبيض" وبعد يومين من إقامتنا وجدنا ابنتي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد ابتلاعها الصبغة، وحتى

وهي تتحشرج حدجتني بنظراتها اللائمة.

أيها الغضوب هل ستنتظر اعتذارًا؟!"

وجدت دموعي تذرف بغزارة وتختلط بدموعه وأنا أعانقه.

تفقدت هاتفي وأنا أشدو بشعر طريف حفظته عن العجوز:

دا وادي ولد الدندول الله يبارك فيه...

كساني لي توب وجبه وسروال...

وعمة توتال وملف شنشال...

أنا ضنيب القط، قبيل ما بعرف المشي حسا بقيت قدال(4)

أعدت الهاتف إلى الشحن وعدت إلى مقعدي أمام النافذة، وكنت الشاهد الوحيد... لم يحتج الأمر إلى دابة الأرض كما حدث مع سليمان، تكفلت الجاذبية

بإسقاط العجوز على وجهه في بركة آسنة أمامه،

اختلط بياض عمامته بسواد الطين، ألصقت وجهي بزجاج النافذة متسمرًا من هول الموقف عندما توقفت دراجة

نارية عليها شابان لم أرهما من قبل، أسرع أحدهما وانحنى على العجوز... فتش جيوبه وعندما لم يعثر على شيء اقتلع العصا من يده ثم ركله في بطنه في حنق

وقفز خلف السائق... وفرا.

W

(3) معسكرا نزوح للنازحين السودانيين بدولة تشاد.

(4) شعر حلمنتيشي: وادي هو الشخص الكريم الذي كسا أحدهم لباسًا فصار من "ضنيب القط" كناية عن الضعف إلى شخص يجيد المشي ويقلد في مشيته.

بقايا روح

(أفنان عمر)

اِزدرد ريقه وهو يقرأ تلك الكلمة في ورقة مرت عليها سنوات، ورقة تكاد أن تتلف من أول مرة قرأ فحواها فانكمشت في يده كأنه يخنقها لتكف عن ترديد صداها

الذي يخترق أذنيه يوميًا، وكأن تلك الكلمة قد حُفرت في قلبه كندبة إثر رصاصة غائرة اخترقت صدره.

لم ينس ذلك اليوم قط، بل لم ينس أيامهما معًا، لم ينس ذلك البيت الذي بنى فيه أحلامه يومًا بعد يوم، تلك المزهرية عاجية الصنع كانت تناسب الركن الفارغ

بجانب الأريكة، ستحب تلك المفاجأة. نعم، ستحزن قليلًا لأن ثمنها يضاهي ربع المرتب الشهري، ولكن لا يهم. المهم أن أرى فرحة عينيها، أحب تيْنك العينين وهما

ترقصان من الفرح. تذكر وجهها وهي تضغط على يديه كأنها طفلة تريد أن تقفز من السعادة. كان حريٌّ به أن يشرح لها ملابسات الوقائع التي طالما لامته عيناها عليها، ولكنه كان قد امتلأ وفاض به.

شرد وهو يتأمل نفسه في المرآة ثم تساءل:

هل أنت السبب فعلًا فيما حدث مثلما كانت تدعي؟! ما الذي غيرها مع الأيام؟ أصبحت لا تضحك أبدًا، لا تُطيق أن يجلسا معًا في غرفة واحدة لمشاهدة التلفاز.

اتهمته كثيرًا أنه السبب.

نعم، دخول شقيقها السجن لقتله زوجته الخائنة قلب أحوالها، ولكن لم يتوقع يومًا أن يقلب أحوالهما معًا، كانت أحيانًا تنظر إليه نظرات مريبة، بل صارحته

مرة أنها ليست خائنة.. بل نعتته مرة أنه مثل كل الرجال يشكون بزوجاتهم.. أهو الخوف من الشك فتنال مصير زوجة أخيها؟ أم الحنق على صنف الرجال في

طريقة الثأر من الخيانة؟ كان يصفها بالجنون بل يسخر من تفكيرها قائلًا: - سوف تقتلك أفكارك تلك.

فترد هي بتحدٍ وعصبية:

- ربما أقتلك وأقتلني، تُرى ماذا سأفعل لو قمت بخيانتي؟

ينظُر إليها وقد تملك مِنهُ الغضب البادي في ملامحه:

- كفاكِ عبثًا وجنونًا حقًا ستقتلك أفكارك.. بل ربما قتلت فرحة هذا البيت بعبثك وقلة مسؤوليتك.

وأشار إلى تلك الطفلة التي تتلصص من خلف الباب كلما تشاجرا تنتفض في فزع: - انظري سوف تقتلينا

جميعًا، قارب جنونك أن يقتل ملائكية تلك الطفلة، إنك لا تدركين ما تفعلين.

يسرع إلى الطفلة يحملها في ابتسامة:

- سأحكي لكِ قصة جميلة لتنامي في هدوء.

تنظر إليه الطفلة مراقبة وهو يسوي فراشها:

- ما بها أمي؟!

ينظر إليها في حيرة:

- إنها مريضة، غدًا ستتعافى. تعالي سوف أقص عليكِ قصة رائعة.

تنظر إليه الطفلة في ريبة، تفكر في ألم، تتذكر وهي تحت فراشها كيف كانت جنبات البيت تمتلئ ضحكًا وصخبًا، كانت تجري هنا وهناك في فرحة عارمة، وتختبئ

وراء الستائر وتطلب منه أن يبحث عنها فتأتي إليها الأم محاولة جذبها: - اتركيه الآن لقد أتى من العمل للتو، سيرتاح قليلًا.

فتفلت منها مسرعة إليه تتشبث برقبته:

- لا، هو سيلعب معي.

وتنظر إليه مداعبة ذقنه:

- أليس كذلك؟

فيحتضنها ناظرًا إلى زوجته مستعطفًا ومستأذنًا:

- نعم مليكتي، سنلعب.

تومئ برأسها موافقة في استسلام ورضا وسعادة:

- ما حيلتي معكما؟ اِلعبا..

تترجل مسرعة خلف الستارة، فتضحك زوجته ويحثها على مشاركتهما، تستسلم مرة أخرى، يبحثا معًا حتى تقتنع فعليًا أنهما تعبا فتخرج من خلف الستارة

صائحة:

- هأنذي.. لقد هزمتكما.

فيتبادل الجميع النظرات في ضحك وصخب عالٍ، وهكذا يوميًا.. ما الذي حدث لهما؟ كان يلعبان معي والآن يتشاجران! بدأ الخوف يتسلل يوميًا أكثر فيحل محل

الأمان والراحة. تأرقت مهجتها، أصبحت أحلامها كطفلة تنافي واقعها، لم تلم والدها مثلما فعلت الأم، بل كانت تتشبث به بل أحيانًا تطلب منه ألا يغادر الغرفة

إلا بعد أن تنام. أحيانًا كانت تجده صباحًا ما زال على المقعد مثلما تركته ليلًا حين نامت.

فرد الورقة وتأوه. تُرى، أما زالت تعني ما كتبته بها؟ كم أشتاق لضمها من جديد. لم أستمع إلى صوت نفسي ولو لفترة قصيرة، كان العناد يسيطر على أوصالي. لا

أدري هل لأنها تحولت من كم هائل من مشاعر الرقة والعذوبة واللطافة، إلى القسوة والريبة والعناد؟

فزاد عنادي بالمقابل، لم أتخيل يومًا أن تُرهق تفكيري وتؤرق حياتي. كنت أضعف من أن أتحمل كل ذاك، طبيعتي تهوى الحياة الهادئة. لم أهو قط الصخب، حتى

عندما كان صوت زهرتنا الصغيرة يعلو بالبيت لعبًا ولهوًا كنت أنزلق تحت وسادتي، أو أغلق أذنيّ بقطع من القطن حتى أشعر بشيء من الهدوء، حتى حينما أتت

مرة لتوقظني من تحت الوسادة، جاهدت حتى ترفع يدي من فوقها لتزيح الوسادة وتهمس في أذني: - قم،

لقد تفتحت الزهور تنتظر قدوم الملك..

قمت مفزوعًا من همهمات أنفاسها؛ فنظرت إليّ وهي تضحك وقفزت على قدمي: - إنني أفعل مثلما تفعل معي حين توقظني.

فيتحول فزعه وضيقه رويدًا رويدًا إلى نظرة حانية، وابتسامة رقيقة مداعبًا بنصف عين مفتوحة: - ها أنا قد تيقظت، أين الأزهار المتفتحة؟!

يلتفت يمنة ويسرة. تلتفت معه وتومئ برأسها ويديها:

- أين هي؟!

يمسك بكتفيها مفتعلًا أنه غاضب:

- هل تسخرين مني؟! هل تضحكين عليّ؟! سوف ترين مني أسوأ عقاب.

فيدغدغها بود زائد وترتفع صيحاتها، فيحملها ويضحكان كثيرًا، وتنتهي ضحكاتهما بحضن دافئ.

تفكر كيف أصبحت حياتها تلك رمادًا؟ بعد أن كانت نارًا تتوهج نورًا، وتضفي الدفء على حياتها، كيف أصبح ذلك الرجل الذي كان يمتلئ حيوية وحبًا وضحكًا

معها يتجنب وحيدًا، يغلق عليه غرفته، إما نومًا أو مشاهدة للتلفاز متأرقًا في صمت قابع. أتسلل إلى غرفته لا يلاحظني إلا وأنا بجانبه، أتأبط ذراعه، يضمني إليه

ونشاهد التلفاز معًا، يقلب القنوات حتى يقف عند محطتي المفضلة، نشاهد معًا في ضحك ولغو مازح، لا أدري إلا وأنا أصحو في فراشي.

أذكر أول يوم دراسي كانت مفارقتي الأولى للمنزل إلى مكان أكون فيه وحيدة بدونهما، اتفقا ألا أذهب إلى دور

حضانة حتى لا تبقى والدتي وحيدة في المنزل. أقلني
هو، كنت أتشبث بيده مطالبة إياه ألا يتركني هناك وحدي، جلس ثانيًا ركبتيه موازيًا لي محدثًا بحنان: - كما اتفقنا بالأمس ستعجبك المدرسة، ستجدين زميلة تلعبين معها، ستحبين ذلك.
نظرت إليه في قلق وحيرة رغم ثقتي الدائمة في حديثه:
- ربما لن أجد أي أحد يحبني.
يقول لي في ابتسامة:
- إذًا اذهبي وبعد عودتك اليوم سوف تحكين لي عن صديقاتك الكثيرات، ومعلمتك التي تبتسم دائمًا، ولهوك ومرحك مع الآخرين، وسيمر اليوم جميلًا. هيا حتى
لا تتأخري حبيبتي.
تركت يده بصعوبة وبينما أبتعد، لمحت في عينيه دموعًا، وكلما خطوت بضع خطوات ألتفت ورائي لأشير إليه مودعةً فأجده يردها إليّ قُبلة. لم أشعر بتلك الوحدة
في ذلك اليوم طوال حياتي إلا بعد مُضي فترة ليست بالقصيرة.
طوى الورقة ووضعها في مكانها المعتاد، داخل صندوق صغير بجانب دُمية برتقالية اللون. تفحص الدمية، ابتسم بسخرية. انفلتت دمعة من مقلته قائلًا في
نفسه: مرت ست سنوات وأشهر قليلة، ها هي "دُمية النهاية".. بنفس الصندوق دخلت بها الباب، وخرجت بها أيضًا.
كان يوما مشؤومًا، كانت تنتظرني كعادتها. طالت قامتها بعض الشيء، أميرةً أصبحت في الصف الثالث

الابتدائي، ملاكًا يتنفس رحيقًا في المنزل. كعهدي بها أفتح
الباب فتجري محتضنة إياي، تلاحظ الصندوق، تنظر في خبث وترقب. أنظر إليها محيرًا إياها بعض الشيء، أعطيها إياه بعد برهة لأستشعر سعادتها التي تملأني
حياة، تصيح فرحة:
- إنه لوني المحبب! أحبك.
ثم تمطرني بقبلات كثيرة.
أحتضنها. وفجأة نلتفت إلى صوت غاضب عصبي:
- لقد كبرت على اقتناء هذه الدُمى، لم تعد صغيرة.
تحاول الصغيرة أن تقنعها في ود وفرحة، تجري نحوها بسعادة:
- أمي، انظري إنه لوني المفضل أليس كذلك؟
تنظر إليها في غضب، تجذب الدمية من يديها ترميها أرضًا بينما الفتاة تنظر إليها في حزن وألم قائلة: - لا أريدك أن تفسديها مثلما تُفسدين كل شيء.
تنظر إليها الأم في دهشة وذهول ويحاول الأب تهدئة الفتاة، بينما ترمقه الأم بنظرة فيها من الغضب والحنق ما يكفي لتحطيمه: - أترى؟! إنها تُردد كلماتك، لقد تعلمت منك، أصبحت مثلك تكرهني، تتهمني أني أفسد حياتها وحياتك، لكن أنت من أفسدتها بدلالك الدائم، وحنقك على
المنزل. أصبحت حتى لا تطيق الجلوس هنا، قل لي من هي التي تلهيك عن بيتك وعني أغلب الوقت؟!
يقاطعها وهو يأخذ الدمية ويضعها في الصندوق، ثم

يقف مواجهًا لها بينما يتصنع الهدوء من أجل الطفلة: - ليس هذا وقتًا مناسبًا لتفسدي مزاجي أكثر، لقد أفسدتِه بما يكفي. أرجوكِ كفى لقد تعبت بالفعل من كثرة خيالاتك المريضة، ليس هذا وقتًا لتلك الكلمات. لقد اعتدتها منكِ ولكن ليس هذا وقته.

- ليست خيالات.. كل يوم تثبت لي أنك خائن، إني أمقتك يومًا بعد يوم، سأثبت لكَ قريبًا أني محقة.

وتشير إلى الطفلة صائحة:

- هل تريد تدميرها مثلما دمرتني؟ هل تريد أن تصنع منها فتاة ضعيفة مدللة؟ سأجعلها قوية لا تحتاج إلى أحد. أتعرف شيئًا؟! لقد سئمتك وسئمت حياتك وأتمنى أن تفارق الحياة ولا أراك أبدًا.

ينظر إليها في حالة من التعاسة والكآبة والبرود أيضًا:

- هل وصل بكِ الحال إلى ذلك؟ تتمنين موتي؟!

قالت وهي تجذب الطفلة إليها:

- نعم!

لا يرد، فقط يغادر البيت هائمًا. ظلت كلماتها تتردد معه حتى هدأ في ركن ما، جلس ليجد الصندوق في يده، يفتحه، ينظر للدمية، تنساب الدموع دون أن يدري، لا يملك السيطرة على انسيابها. لو كان في مكان خالٍ لعلا صوته نشيجًا وبكاءً. كان هذا آخر عهده بالبيت الذي تحول إلى كابوس يؤرق هناءه، ويقضي على ما تبقى من سعادة.

انفردت هي بالفتاة التي لم يكن يراها إلا عند خروجها من المدرسة، ينتظرها فيلتقيان دقائق وتركب الحافلة

إلى المنزل، خشية أن تعرف هي أنه ينتظرها. ربما ذهبت إلى هناك وحذرتهم مني. لم يرغب أن يصل الأمر لذلك الحد. تجنب ثوراتها بقدر الإمكان، كما كان يتجنبها من قبل، تجنب ألا تطال مشاكلهما مدرستها.

لم تفلح كل المحاولات من أخته لتدارك الأمر، كلاهما رفض العودة. ربما هي تجنبت أن تعيش في صراع طوال عمرها خوفًا من التفكير في خيانته لها يومًا ما، فآثرت أن تتخلص منه ومن هذه الحياة إلى الأبد. أما هو فتراكمات الفترة التي كان يتحملها من أجل الطفلة، لا الحفاظ على كيان الأسرة، جعلت نفسه تأبى القرب مرة أخرى. أصبح القرب منها كنيران تشتعل، الفتاة شعرت أن الرماد كان تحته شرارة لفحتها الريح فأججت كل النيران داخلها، فتحول البيت هشيمًا مشتعلًا لم يعد يسيطر عليه أحد.

وكعادتي ذلك اليوم انتظرتها أمام المدرسة. كنت أفتقدها جدًا، عندما رأتني هبت إليّ مسرعة. وجدتها بين ذراعيّ تملأني قبلات: - أبي أخيرًا.. كل يوم أبحث عنك لا أجدك، إني أفتقدك بشدة.

- وأنا أيضًا حبيبتي، كيف أنتِ؟

-بخير فقط أفتقدك وأفتقد وجودك في البيت، أبي متى ستعود؟

قالتها ناظرة إلى عينيه في استعطاف.

تهرب من عينيها قائلًا:

- هكذا أفضل لي ولأمك وأيضًا لكِ، أتدرين؟ الآن لن تجدي شجارًا كل يوم، سوف أراكِ وترينني ونخرج كثيرًا معًا، وستكون علاقتي بوالدتك طيبة، ولكن فقط لن

نجلس في بيت واحد.

قالت وهي تبكي بحرقة وتهز رأسها نافية:

- لا، أنا أريدك في البيت. كل يوم أنام وأنا أتذكرك تحكي لي قصة قبل النوم وأبكي، فأجلس وأكتب إليك، لقد كتبت إليك خطابات كثيرة ورسمت لك صورًا كثيرة.

فقط تعال معي وسأريك إياها!

يضم وجهها بيديه:

-حبيبتي سوف أراها عندما نخرج معًا في أقرب وقت، سأرتب مع والدتك ذلك، سنخرج معًا ونلعب ونأكل وتأتين إلى بيتي الجديد، سأرتب لكِ غرفة رائعة و...

تقاطع في بكاء محرق:

-أنت لا تحبني...

- لا إنكِ سبب عيشي على هذه الأرض حتى الآن.

قالت وهي تهز رأسها نافية في ألم وبكاء حزين:

- لا، أنت كما تقول هي، أناني لا تحب سوى نفسك.

قالت هذا وجرت نحو الحافلة، وأنا كصنم زُرع مكانه لا أدري ماذا أفعل؟ كيف أثبت لها في هذه اللحظة كم أحبها!

هممت أن أرحل ولكن وجدتها قادمة نحوي تجري بسرعة كبيرة، تأهبت أن أحتضنها. وصلت إليّ. وقفت. أمسكت إحدى يديّ. فتحتها ووضعت بها تلك الورقة، لتعود مسرعة كما حضرت. تعجبت. توقعت أن بالورقة ندمًا على جملتها الأخيرة لي، فردت الورقة لأقرأ ما كتبت لأجد بها العبارة التي مزقتني طوال تلك السنوات. أردت أن أصرخ بأعلى صوتي تأوهًا..

- إلا أنتِ....

قبعت في المنزل لفترة وأنا أتذكر تلك الكلمة التي على أثرها غادرت الدنيا نفسيًا، وأردت الخروج منها روحيًا وجسديًا وكل شيء، ماذا تبقى لي بعدها؟ ما

الإحساس الذي لازمني؟ لا أدري! لا شيء مؤلم كرحيل شخص لم يعلم لأي درجة تحبه، وذهابه إلى قلب لا يُقارن حبه بحبك أبدًا.

خلال شهر من تلك الحادثة غادرت مصر للعمل، بل هربت من مواجهات كثيرة. ولكن قبل مغادرتي مصر، أردت أن أريحها بعض الشيء من وساوسها حتى

تعامل الفتاة بود، فكتبت إليها رسالة قصيرة وأوصيت شقيقتي أن تصل إليها بعد رحيلي كانت فحواها: "كيف حالك عزيزتي: أردت أن أتحمل بقية حياتنا معًا كأسرة تُصاب أحيانًا بداء الخلاف، ولكن ربما أنا أضعف من أن أتحمل اتهاماتك التي لم تكن يومًا صائبة، وليشهد الله على قلبي

أنا أغفر لك كل الألم الذي لحق بقلبي، أسامحك على الوحدة والانتظار والخيبة، بقدر ما أوجعتني "أطلبُ الله أن يسعدكِ" من أجل ملاكنا الصغير".

ظلت شقيقتي هي الصلة بيننا خلال تلك الفترة. كانت تستعطفني كثيرًا لآتي إلى مصر ولو مرة واحدة، كانت تضغط أحيانًا إنها تعبة ومريضة، وربما تغادر الحياة

دون أن نرى بعضنا بعضًا للمرة الأخيرة. كنت أعدها أنني آتٍ في أقرب فرصة، إلى أن ملت من سؤالي مرات. ولكن تلك المرة من عامين أخبرتني بشيء أجفلني: "زوجتك السابقة مريضة جدًا، وهي الآن في المستشفى".

ما بها الحياة لا تترك شخصًا هانئًا فترة؟! دق قلبي، تذكرت حيويتها ونشاطها وضحكتها، تذكرت أيامنا الأولى، غالبت دموعي التي سالت رغمًا عني. يا الله كنا

يومًا كيانًا واحدًا!

ظللت أتابع أخبار مرضها، بل طلبت من أختي أن تعرض عليها أن نعود كزوجين لأرعاها وأرعى الفتاة حتى لا تتحمل وحدها ألم مرض أمها وهي ما زالت في تلك

السن الصغيرة، ولكنها كانت فكرة قصيرة وانتهت برفضها قطعيًا، كانت عنيدة جدًا، وربما أيضًا اعتادت حياتها بدوني مثلما اعتدت أنا.

كانت أيضًا ترسل لي صور الفتاة عبر الإيميل. كل شهر صورة جديدة لها، لاحظت في صورها الأخيرة شحوبها وذبول هيئتها، في آخر ثلاثة أشهر لم ترسل لي صورًا

جديدة، كانت أختي تستحي أن تلتقط لها صورًا احترامًا لحالة والدتها الصحية. ذات مرة لم أحتمل، كدت أنزل مصر وأضمها وليحدث ما يحدث، قصت أختي

عليّ موقفًا أرقني، كدت أجن. كانت تبيت معها في المنزل لأن الأم أصابتها غيبوبة، وكانت كثيرًا ما تصيبها مؤخرًا وتتعافى، هذه المرة طالت ولم تتحمل الفتاة،

قالت أختي:

"ظنت أنني غفوت، رأيتها تأخذ الهاتف وتخرج فتعجبت، خرجت خلفها، بعد برهة وجدتها تتحدث شبه باكية: - هل تتوقع يا دكتور أن والدتي ستتعافى من تلك الغيبوبة؟ لقد طالت هذه المرة؟

صمتت برهة تتلقى ردًا وتعاود التحدث:

- شكرًا لك، أرجو ألا أكون أزعجتك. السلام عليكم.

وتخرج باكية لتجدني أمامها فترتمي في صدري باكية بحرقة:

- أريدها فقط يومًا واحدًا واعية، لأسألها هل تسامحني؟ لأخبرها كم أحبها ولا أريد سواها في حياتي، أريدها أن تتعافى من أجلي. لمن ستتركني؟ لن أكون قوية بعدها.

أربت على ظهرها وأنا أحاول التماسك:

- ستتعافى بإذن الله وتراكِ عروسًا جميلة. فقط تعالي لترتاحي بعض الشيء.

أخذتها لغرفة أخرى، جلست بجانبها حتى غفت، منذ ذلك اليوم وأنا ألازمها، ولكن لم أستطع أن ألتقط صورًا أخرى لها".

أنا لم أطالبها من يومها بصور، جمعت تلك الصور في ألبوم إلكتروني، وألبوم آخر ورقي، إن شاء القدر والتقينا سأهبها إياه، إن لم يشأ سترثه عني. كنت دائم الشك في اِلتقائنا مرة أخرى، أو ربما كنت أخشى من ردة فعلها حينها.

وفاجأني القدر برحيل الأم بعد تلك المحادثة مع الطبيب بعشرين يومًا، لم أستطع أن أحضر الجنازة، كنت أود بشدة أن أحضر لمؤازرة طفلتي الحبيبة، ولكن كنت قد انزلقت وكُسرت قدمي في تلك الفترة. مما جعل حضوري مستحيلًا. يا للأيام التي تعاندنا دائمًا! لم أستطع أن أكون جانبك في أيامك الصعبة في الحياة، أيام مراهقتك وتغيير اتجاهاتك كفتاة بلغت. كنت أريد

مشاركتك كل شيء، لعبك، لهوك، أول دقة لقلبك. والآن جنازة أقرب الناس إلى فؤادك ولكن.. نُخطط دائمًا

ويشاء القدر بأشياء! طلبت من شقيقتي مراعاتها، وطلبت منها أيضًا تجهيز شقتي الجديدة حتى عودتي.

مضى شهران الآن على رحيلها، واجبي أن أرعى صغيرتي من جديد، ولكن هل ستتقبلني؟ كيف ستستقبلني في حياتها؟ حتمًا تلك الكلمة التي كتبتها في الورقة

عالقة في قلبها، ومرارة الأيام زادتها، أجلت عودتي كثيرًا لكن مسألة رجوعي كانت حتمية فعدت.

اليوم وجب اللقاء الذي تسمرت لحظته منذ آخر لقطة كانت لنا عند حافلة المدرسة، وتلك الكلمة التي ما زالت عالقة في ذهني وفؤادي، وأعتقد أنها تسري في

دمي. أنتظر قدومها هي وشقيقتي. يا الله لقد بدأت دقات قلبي تزداد، أخشى ذلك اللقاء بشدة، ومن شدة خوفي طلبت من شقيقتي أن تحضر لقاءنا الأول.

دق جرس الباب، أغلقت الخزانة التي بها الصندوق جيدًا، حتى لا تصل إليها أبدًا، قلبي يكاد يتوقف من الخفقان، أخطو إلى الباب خطوات متثائبة، أصلح من

هندامي، أفتح الباب لأجد أختي وحدها:

- كيف حالك؟

العبوس يملأ وجهي:

- تفضلي.

أراقبها وهي تدخل، أنتظر كلمة منها، وألتفت لأغلق الباب لأجدها أمامي، يكسوها السواد، حتى شعرها الفاحم أصبح أكثر سوادًا! أقف متسمرًا، وبدت أنها

تنتظر أن أفسح لها مجالًا لتدخل، أفسحت لها دون كلام، دخلت البيت فقالت أختي: - لقد جلبت أكلًا لنا جميعًا، سأذهب إلى المطبخ لأضعه في أطباق.

اتجهت أخته إلى المطبخ وفوجئت بالفتاة خلفها:

- سأساعدك.

تناولوا الطعام في صمت وغادرت الأخت، وبقت الفتاة في غرفتها، بينما هو في الردهة يراقب الغرفة حتى غفا مكانه. انتبه على صوت ما، آتٍ من غرفتها. جرى

وطرق الباب واقتحم الغرفة، وجدها جاثية على ركبتيها، وتلملم زجاجًا منكسرًا على الأرض، جثا بجانبها وطلب منها الابتعاد كي لا تنجرح، جلست على السرير

وبينما هو يلملم الزجاج، انفجرت هي باكية:

- كانت هذه آخر هداياها لي. كرة سحرية تصدر موسيقى.

قطب جبينه وهو ينظر إلى الزجاج المتناثر، وضع ما لملمه جانبًا وجلس جوارها: - رحمها الله، الذكرى متواجدة فينا لا في الهدايا.

بدت هشة جدًا. مشاعرها لم تعد تحتمل عناءً أكثر. كانت الدموع تنساب بلا توقف، وضعت يدي على كتفها لأضمها إليّ، وجدتها تنغمس داخل صدري،

وجسدها ينتفض من البكاء:

- لا عليكِ، ستظلين تتذكرينها دائمًا.

كان مترددًا في كلماته:

- أتعرفين شيئًا؟ لم تفارقيني طوال تلك الفترة لحظة واحدة، كنت أراقبك من بعيد بل لقد صنعت لكِ شيئًا

جميلًا.
أسرع إلى غرفته وأتى بالألبوم ثم وضعه بين يديها:
- كانت تصلني صورك شهريًا فصنعت لكِ هذا.
ألقت نظرة سريعة عليه ونظرت إلى والدها في تعجب.
- كانت عمتك تبعثهم إليّ.
تفحصته أكثر بينما هو يواصل:
- هل ترين؟ لقد كنتِ معي دائمًا لم تفارقيني لحظة.
أحاطت رقبته بذراعها وقبلته، فضمها أكثر وأكثر فهمست في أذنه:
- أحبك.
فك ذراعها ناظرًا إلى وجهها:
- حقًا؟
هزت رأسها بقوة:
- جدًا.
- ولكني توقعت عكس ذلك.
- لم ولن يحدث أبدًا.
ضحك عاليًا وضمها أكثر وأكثر وظل جوارها إلى أن راحت في سبات عميق، وهو يتفكر "جبان.. طوال تلك السنوات كنت تخشى من ورقة لمواجهة تلك الصغيرة؟! يا
لتلك الحياة عاندتني كثيرًا.. ولكن لن تفعليها مجددًا".
غفا جوارها وصحا، جلب الفطور، وهو يعد كوب القهوة أسرع إلى غرفته، فتح الخزانة، وأخرج الورقة من الصندوق، ذهب لقهوته، جلب كبريتًا وفرد الورقة

ليراها للمرة الأخيرة. كان خطها رائعًا منذ الصغر رغم قسوة الكلمة "أكرهك" أشعل عود ثقاب وأحرقها وهو يضحك. أسرع إلى غرفتها ومال على أُذنها هامسًا: - انهضي لقد تفتحت الزهور منتظرة قدوم الملكة.

تفتح عينيها في بطء؛ لتجد على الوسادة زهرة جميلة وردية اللون. تبتسم، وترفع قامتها تقبله، تمسك الوردة: - توقعت أن ترفق بها ورقة مكتوب عليها شيئًا ما.

- لا أومن بما يُقال على الورق. هيا انهضي وإلا قمت بدغدغتك.

تضحك عاليًا بينما هو يمثل الاقتراب منها، فتقفز مسرعة، يمسكها من يديها ويحتضنها: - أحبك يا مليكتي.

وتدغدغه هي وتجري، يلاحقها ويمتلئ البيت بالضحك والهمهمات والصخب، وتعود أيامهما.

W

منتصف طريق

(بشرى الأصفر)

طرقت الباب فرد عليّ أحدهم من الداخل: من الطارق؟

قلت: نور.

فتح زكريا الباب.

- ماذا تريدين؟

- شيء فقط، كنت أود أن أسأل إن كانت عائشة هنا، فهي لم تأتِ للمدرسة.

- نحن نبحث عنها منذ مدة، حتى إننا اتصلنا بالشرطة..

قلت وقد بدأ الخوف يساورني: ألا تعرف مكانها يا زكريا؟

صرخ في وجهي قائلًا: وهل سنتصل بالشرطة في نظرك إذا كنا نعلم بمكانها؟

بقيت صامتة ولم أحرك ساكنًا، حدق بي برهة كعادته ثم تركني وذهب، فقلت في نفسي وأنا أكاد أختنق: آه يا صديقتي، أين أنت؟ ترى هل أنت بخير؟ أرجو من

الله أن لا يكون قد أصابك مكروه ما..

عدت إلى المنزل غيرت ملابسي بسرعة وخرجت مرة ثانية أبحث عن عائشة، بحثت عنها في كل الأماكن التي اعتدنا ارتيادها: في المنتزهات، والأسواق، بل وفي كل

الأماكن التي أعرفها، لكن هيهات، بدون جدوى، آه ثم آه، قلبي الضعيف يؤلمني، تبًا كيف نسيت الذهاب إلى المكتبة! لا شك أني سأجدها هناك، هرعت مسرعة

وأنا كلي أمل أني سأجد عائشة هناك، فهي معتادة على المكوث في المكتبة مطولًا غارقة في الكتب والروايات والقصص وكتب المدن والعواصم خاصة، فهي تحلم أن

تطوف العالم بأسره وتزور كل المدن والشوارع والأزقة، كانت تقول لي سنذهب معًا يا نور، سنصنع ذكريات معا نتركها لأحفادنا، كنت أبتسم وأقول لها: - سنفعلها، سنفعلها يا عائشة بإذن الله.

وصلت المكتبة، بحثت عنها في كل طابق، سألت كل من كان داخلها، لكن للأسف لا أحد رآها أو صادفها في طريقه.. بدأ القلق يعتريني، والتعب ينال مني، ما

العمل الآن؟ فكرت في الرجوع إلى منزلهم ربما تكون قد عادت، وفي طريقي إلى هناك التقيت بزكريا، صاحب

القامة الطويلة، والعينين السوداوين، صحيح أنه
شخص هادئ يتحكم في أعصابه في أصعب المواقف إلا أني شعرت بخوفه على أخته، كان قد سبقني إلى كل صديقاتنا أنا وعائشة وسألهن، فهو يعرفهن
جميعهن، وأنا لا أشك في ذلك لأنه قريب من عائشة، وكانت تخبرني عائشة بأنها تحكي لزكريا كل شيء.... بادرته بالسؤال: زكريا هل...
فقاطعني: إنها في الكورنيش، لقد اتصل السائق الذي أوصلها إلى هناك بعدما لاحظ أنها...
وسكت.
شعرت أن كارثة ما حلت بصديقتي: لاحظ أنها ماذا يا زكريا أكمل، أرجوك، أكمل.
أمسكت به من قميصه وهززته بقوة: زكريا ماذا هناك؟ ما بها عائشة؟
وكعادته لم يجب على سؤالي، واكتفى بالنظر إليّ.. ثم تركني وذهب، لحقته: زكريا خذني معك.
لم يرد، ركضت خلفه، أوقف تاكسي وركب دون أن يلتفت إليّ. بقيت واقفة في وسط الطريق برهة من الزمن، أستوعب ماذا يحدث، جرت الأحداث بسرعة الواحد
تلو الآخر، سكوت عائشة في أغلب الأوقات، شرودها في الدرس وأثناء رجوعنا في الطريق إلى المنزل، ثم غيابها ليومين واختفاؤها والآن ذهابها إلى الكورنيش
وحدها... إلهي كيف لم أنتبه إلى كل هذا منذ البداية! عائشة صديقتي التي أعرفها فتاة هادئة، طيبة وخجولة، بريئة ذكية، بشوشة مرحة، الكل يحبها ويحب

مرحها ودعاباتها.. أتفكر في الانتحار مثلًا؟ لا، لا، مهلًا يا نور، هي لن تفعل هذا فهي قوية ومؤمنة، تحب الحياة، لن تقبل على حماقة كهذه.

عدت إلى منزلنا بسرعة وأخذت بعض النقود من أمي، أخبرتها أني سأبحث عن عائشة وركبت في تاكسي، صدقوني كانت تلك أول مرة أركب فيها تاكسي وحدي،

ليست مسألة عدم وجود محرم، ربما من قبل، لكن الآن الكل يركب تاكسي، أصبحت موضة خاصة هؤلاء الجديين في العمل والمنضبطين، فبدل أن يستغرق

ساعتين في الازدحام وصراخ المسافرين في الحافلة العمومية فإنه يستقل سيارة أجرة مريحة وبطريقة حضارية جدًا، أما أنا فلا أحتاجها لأن المدرسة قريبة جدًا

وأحب طريق المدرسة كثيرًا لأنها ساعة الخلوة مع صديقتي عائشة نضحك ونفضي أسرارنا إلى بعضنا البعض، وأحيانًا نأكل المثلجات، آه.. كيف نسيت عائشة؟

كنت أرتجف من الخوف ودقات قلبي تتسارع، وصلت إلى المكان الذي دلني عليه زكريا، كانت الأمواج قوية جدًا، والناس متجمعة وسيارات شرطة وشرطيون

يتهامسون ويسارعون هنا وهناك، تجمدت في مكاني وأنا أشاهد كل تلك الحركات والهمسات والقلق والحيرة، أمسكني زكريا على حين غفلة مني: ماذا تفعلين

هنا؟

كان حانقًا وخائفًا لكنه متجلد حتى وهو منهار يغضب مني ويؤنبني، صرخت في وجهه: أنا الأخرى أبحث عن صديقتي..

أجابني متلعثمًا: صديقتك ليست هنا، الفتاة التي بلغ عنها سائق التاكسي ليست عائشة.

تنفست أخيرًا: حقًا؟ حقًا يا زكريا؟

لكن بدا عليه الاضطراب وساورني الشك فيما يقول، سمعت الشرطي يصرخ: أمسكها، أمسكها قبل أن...

ثم تلاه صوت ارتطام جسم على سطح البحر، جريت إلى مصدر الصوت كالمجنونة لكن قواي قد خارت وزكريا يجري ورائي ويصرخ بكل قوته وعبثًا يحاول

إمساكي.... سمعت صراخًا وعدة أصوات وشوشرة وأبواق السيارات في الجهة الأخرى من الطريق.... بعد فترة وجيزة رأيت رجلين من الحماية يحملان جسدًا يبدو

متعبًا وهزيلًا، حدقت جيدًا، كانت فتاة قصيرة القامة ترتدي قميصًا أزرق وسروالًا بنيًا وغطاءً أسود على رأسها، إنها هي، نعم إنها عائشة، صعقت من الصدمة،

نزلت على ركبتيّ وأنا أرتجف وأبكي، حاولت النطق لكن الكلمات تعثرت على شفتيّ، لم أعد أميز شيئًا، سمعت صرخة مدوية: أ...خ....ت....ي... إنه صوت زكريا.

فجأة فتحت عائشة عينيها ومدت يدها نحوي، إنها لا تزال حية، إنها تناديني، سارعت نحوها وأنا أزحف على ركبتيّ كل المسافة التي تفصلني عنها، رأيت الرجلين

يتنحيان جانبًا، أظن عائشة همست شيئًا لهما، لأنهما استدارا نحوي.

- نعم يا روحي، مممما بك؟ ماذا حدث لكِ يا عائشة؟ كان عليك أن تخبريني لأرافقك.

- ترافقينني إلى الموت!

- أستغفر الله يا عائشة، ما هذا الكلام؟

- عديني أن تعتني بأمي فهي تحبك كثيرًا، واهتمي بدراستك، أعرف أنك تريدين أن تصبحي صحفية، فلا تتخلي عن حلمك. اكتبي عني يومًا ما يا نور، اكتبي عني

شيئًا جميلًا تخلدين به صداقتنا وعن حياتي التي انتزعوها مني.

التفتت إلى زكريا وقالت: أخي حبيبي اعتنِ بأمي واطلب منها أن تسامحني.

آخر ما قالته لي: أتمنى أن يجمعنا الله في جنته.

- وهل تظنين أنك ستذهبين إلى الجنة بعد الذي فعلته؟ عائشة.. عائشة.. عائشة.

W

استيقظت وجدت نفسي مستلقية على فراشي بمنزلنا، وأمي جنبي ممسكة بيدي، شهقت أمي من الفرح لرؤيتي أفتح عينيّ: - نور ابنتي روحي، كيف تشعرين الآن؟

يظهر أن أمي قلقة جدًا، وظهر عليها الرعب، كانت تبكي وممسكة يدي بقوة تضغط عليها: - نور، هل أنت جائعة؟ أكيد أنت جائعة سأحضر لك شيئًا تأكلينه، أنت لم تأكلي شيئًا منذ يومين.

همت أمي بالخروج فاستوقفتها بحركة من رأسي بأنني لا أريد شيئًا، فعادت وجلست جنبي تنظر إليّ بأسى، متعبة، شاحبة، أكيد حضرت جنازة عائشة، وراعها

حال خالتي حياة، يا إلهي، كيف سيكون حالها؟ وكيف تلقت خبر موت ابنتها الوحيدة؟ وأي موت! انتحار! لمَ

فعلت هذا بأمك يا عائشة؟ لمَ فعلت هذا بنا؟ كنت
أحبها، وما زلت أحبها أكثر من أي وقت مضى، هي رفيقتي ونصفي الثاني الذي أفتقده، هي قررت أن تتركني وترحل، أنانية.. أنانية..... هي لم تكن صديقتي
فحسب كانت أختًا لي، كنا نفضي أسرارنا إلى بعضنا البعض ونقف جنب بعضنا البعض ونترافق مع بعضنا البعض إلى كل مكان. كيف سأواصل الحياة بدونها؟
كل هذا كان يدور في رأسي وأمي تحدق بي، فزاد قلق أمي.
- نور، اصرخي، لكن لا تصمتي هكذا لأنك ستؤذين نفسك يا ابنتي.
ما زلت أنظر في أمي لا أصرخ ولا أنطق بحرف.... مرت الأيام الواحد تلو الآخر، يومان ثلاثة أسبوع شهر، شهر كامل مر، ولا شيء تغير على الإطلاق، الأيام
متشابهة، كلها رمادية بلون الغيوم، شاحبة، هزيلة كشبح، هرمة كعجوز على عتبة الموت، أسئلة كثيرة تدور في رأسي، لمَ انتحرت عائشة؟ لا شيء ينقصها،
تملك عائلة تحبها وتخاف عليها وتهتم بها جيدًا، أخوها يرعاها كأنها لا تزال طفلة في الرابعة من عمرها، خالتي حياة أم حنون طيبة مثقفة لا توجد أطيب منها،
تعتبر عائشة عينها اليمنى وزكريا عينها اليسرى، نار في داخلي تحرق أحشائي، أحتاج من يساعدني، أحتاج إليك يا الله لترزقني صبر أيوب وحكمة يعقوب.. ماذا
سأفعل؟
الأيام تسرع، ومع دخول الخريف وبداية الموسم

الدراسي، كل شيء كان يتغير، الأشجار تنثر أوراقها، الوجوه مفعمة بالحيوية بعد أن تخلصت من حر الصيف،

وتستعد لاستقبال موسم جديد، وكنت أرى النشاط يدب في أجسادهم، والحماس يملأ وجوههم.... إلا أنا، ما زلت أنا، أفكر فيما حدث ولماذا حدث، وكأنه لم

يمر يوم، ما زلت أقف في نفس المكان الذي حدث فيه كل شيء غير حياتي بأكملها، ما عدت أهوى الدراسة، ولا متمسكة بحلمي، أردت فقط أن أفر من كل شيء

بأي شيء كان.. بأي أمل سأتمسك؟ أو بالأحرى أي أمل يمسك بي حتى لا أقع؟ خاب أملي وصارت كل أمنياتي لا معنى لها..

أخبرتني أمي أن عائشة لم تدفن في ذات اليوم الذي انتحرت فيه، بل بعد أربعة أيام وذلك لإجراءات طبية روتينية.... آه كم اشتقت لك يا صديقتي، كيف سأتحمل

كل هذا القهر وحدي؟ كنا نتجول دائمًا في المنتزهات، ومحلات التسوق، وأحيانًا تطلبين مني أن نتجول في الممرات لكي تفرغين غضبك في الهواء الطلق، هل

تتذكرين؟ كنت تغضبين من البنات المتكبرات هههههه.. وتكرهين الكذب، هههههه.. كنت شقية، تثورين على أي كذبة نكشف صاحبها، وأنا كنت أكتم نفسي بقوة

حتى لا أطلق ضحكة عالية، فكنت تقولين لي: إنها تستحق أن نفضحها، فنضحك معًا... كنت وعدتني أن تسمي ابنتك باسمي..

اليوم يوم الجمعة، استيقظت كعادتي لصلاة الفجر، توجهت للحمام لأغتسل، صليت، وبعدها قرأت سورة الكهف، كانت الساعة تقارب السادسة، صعدت إلى

السطح، داعبت وجهي نسمات الهواء وتسرب إلى أنفي عبق زهور الياسمين وزقزقة العصافير، جلست أتأمل في حالي، ماذا سأفعل؟ لا يجب أن أستسلم هكذا،

عائشة ما عادت موجودة وعليّ أن أعتاد على هذا، سأبدأ بداية جديدة وحدي، سأناضل من أجل أحلامي ومستقبلي.. قررت أن أنسى، أغلق قصة انتحار عائشة

والسبب الذي دفعها لذلك. عدت إلى غرفتي، وجدت جدتي لا تزال تصلي، جدتي الحنون جدًا، والتي تهتم بي كثيرًا وتدللني، أحبها كثيرًا، فهي الشمعة التي

تضيء حياتي، أرجو الله أن يطيل عمرها، أرتاح بجانبها أكثر من أي أحد. قبلت رأسها وتوجهت إلى فراشي، اندثرت تحت الغطاء كطفل صغير ونمت بعمق.

استيقظت على صوت أخي الأكبر محمد، يوقظني للإفطار، خرجت ألحق به إلى المطبخ. وجدت أمي حضرت الطاولة، والكل كان حاضرًا.. جدتي في المقدمة، والدي

بجنبها، أخواي محمد وعلي، وأمي، التحقت بالمقعد الخاص بي والذي هو على يمين جدتي الحنون طبعًا.

- صباح الخير للجميع.

جدتي: صباح النور صغيرتي.

أمي: أرجو أن تكوني نمت جيدًا ابنتي؟

محمد: نامت، نامت يا أمي، أيقظتها بعسر.

أما أبي فنظر إليّ نظرة ود وحب، لم أرد على تعليقاتهم، واكتفيت بابتسامة، تناولت حبات تمر وخبز محمص وزيت زيتون، وشاي، لما انتهيت غيرت ملابسي

وتأهبت للحاق بصلاة الجمعة، مررت بأمي أطلب بركاتها وكذا بجدتي التي وجدتها على الشرفة جالسة بهدوء.

في المسجد صليت بعض الركعات دعوت فيها لصديقتي، ارتحت كثيرًا وأنا قريبة من الله، خاصة بعد أن سمعت خطبة الإمام التي تحدث فيها عن الصبر، بثت فيّ

كلماته القوة والثبات.. عدت إلى المنزل، قمنا أنا وأمي بتحضير الكسكسي، وهو من الأطباق التي أحبها كثيرًا خاصة مع اللبن، آه كل أموري البسيطة تذكرني

بعائشة لكنني هذه المرة أبتسم بأسى وأحاول أن أنسى، بعد ذلك غسلت الأطباق واستأذنت من أمي للخروج والتجول قليلًا في الحديقة، ثم بعد ذلك الذهاب عند

خالتي حياة لأنني لم أزرها منذ مدة.

طرقت الباب، فإذا به زكريا يفتحه، حدقت فيه، في جسده المنهك، في عينيه اللتين ملأهما الحزن، وفي تقاسيم وجهه التي تظهر أنه لا ينام جيدًا في الليل، أما لحيته فقد صارت كثيفة.

- أهلًا بك.

- شكرًا، كيف حالك زكريا؟

لم يرد على سؤالي، لأنه يعرف جيدًا أنني أعرف الجواب عن سؤال كهذا.

- تفضلي بالدخول.

وجدت خالتي جالسة في البهو، قبلت يدها وسألتها وأنا أبتسم لها:

- كيف أنت الآن خالتي؟

تنفست خالتي بعمق وأطلق صدرها تنهيدة عميقة وقالت:

- حالي يا ابنتي كما ترين بعينك، بقيت وحيدة بعد أن تركتني عائشة.

- لكن خالتي، أنا هنا بجانبك وزكريا أيضًا، نسيتِ؟

طالعت وجهي بعينين معاتبتين:

- ظننتك لم تعودي تذكريننا.

- لا أبدًا خالتي كيف سأنساكم وأنتم عائلة الغالية عائشة؟ كنت فقط بحاجة إلى بعض الوقت.

تكلم زكريا من ورائي، وأنا التي ظننته في غرفته، لكن الظاهر أنه كان يستمع لحديثنا: - نور، البيت بيتك في أي وقت، لم يتغير شيء، مرحبًا بك في أي وقت، ثم إن أمي بحاجة إليك كثيرًا.

وأنت يا زكريا؟ ألست بحاجة إليّ؟ آه... آه.. على قلبك المتحجر، أيها المغرور، لا ليس مغرورًا بل هو طيب السريرة وحنون، شخصيته قوية، جدي، صارم في

قراراته، ملتزم في دينه، من لا يعرفه يظنه مغرورًا مثلما أناديه أنا حين يغضبني، لكنه طيب، طيب جدًا، مسؤول ومتفهم لكنه عصبي...

- أكيد سآتي، ولن أتخلى عنكم.

خاصة أنت..

بقيت إلى المساء أحدث خالتي، طيلة جلوسنا حدثتني عن عائشة، لما كانت صغيرة، عن شغبها وبراءتها.. إلخ، وقفت لأغادر، سلمت على خالتي، وطلبت منها أن

تكون قوية، كما أصريت عليها أن تتصل بي كلما احتاجتني وفي أي وقت، مررت بغرفة زكريا، توقفت برهة أمام الباب، كان مفتوحًا قليلًا بحيث يظهر سريره، وبعض حاجاته الملقاة فوق السرير بعشوائية، اقتربت بحذر، وفي لحظة خاطفة تجمدت في مكاني إذ بيد تحط على كتفي وشلت قدماي وبدأت ركبتاي ترتعشان، والحمى تصعد وجهي.

- نور ماذا تفعلين هنا؟

تلعثمت لم أعرف ماذا أرد على زكريا، شعر بخجلي وتوتري، فابتسم بخبث وأضاف: - آه أظنك نسيت اتجاه المطبخ فأنت لم تزورينا منذ مدة هههههه.

- زكريا!

- حسنًا..حسنًا، أنا أمزح، أنت ذاهبة؟

- نعم، جئت أودعك.

- هل أوصلك؟

- لا، لا داعي، شكرًا لك، أراك.

- مع السلامة، اعتني بنفسك.

غادرت بيت خالتي، وأنا أعيد موقفي مع زكريا وأضحك، يا الهي كم كان مخجلًا.

جاء يوم الإثنين، جهزت نفسي للذهاب إلى المدرسة، ألقيت نظرة على كتبي الملقاة فوق مكتبي منذ زمن، تحسستها بيدي، فإذا الغبار قد أرخى سدوله عليها، أخذت قطعة قماش وبدأت أمسح فوقها، وغيرت بعضًا منها التي لا أحتاجها هذا العام، فجأة انتبهت لوجود شيء أحمر بين الكتب طالعته فإذا به مذكرة

عائشة، لطالما رأيتها تكتب عليها، لكنها لم تكن تريني ما تكتبه إطلاقًا، فاحترمت رغبتها ولم أكن أغضب منها ما دمت أعرف كل أسرارها، بدأت أقلب الأوراق

الواحدة تلو الأخرى، كلها تحكي عن طفولتها، ثم مراهقتها، ثم صداقتنا، وأساتذتنا وزميلاتنا في المدرسة، عن المواقف المحزنة وكذا السعيدة.. إلخ، لفتت انتباهي

صفحة كتبت فيها رسالة، اتسعت عيناي من الصدمة وأنا أقرأ ما كتبت عائشة، تقول الرسالة: إليك يا نور..

صديقتي وأختي وحافظة أسراري، أمضيت معك أيامًا لا تنسى، كانت صداقتك تمدني دائمًا بالقوة والأمل.. لكن قوة صداقتنا لم تصمد أمام ما حدث لي، أعلم

أنك الآن وأنت تقرئين رسالتي غاضبة وعاتبة عليّ، وفي رأسك ألف سؤال.

أنا أستحق الموت يا نور، لم يعد لي مكان بينكم، فكرت كثيرًا وجدت أن الموت هو الحل، لقد مررت بأيام مفجعة، بقيت أيامًا أصحو من النوم مفزوعة، عشت

كابوسًا يا نور، أسوأ ما يمكن أن يحدث للفتاة...
سامحيني صديقتي، أرجوك أبقي الرسالة سرًا بيننا، لا أريد لأمي أن تتعذب بعد موتي. تذكريني في دعائك.

صديقتك..

صعقت وأنا أقرأ الرسالة، جلست على طرف السرير وأنا أضغط على فمي بيد حتى لا أفجر من صدري صرخة واليد الأخرى تقبض على المذكرة، ماذا سأفعل يا

الله؟ عائشة اغتصبت! من فعل هذا؟ ومتى؟ ولماذا لم تخبرني حينها؟ الانتحار لم يكن الحل، فكرت في أن أخبر

زكريا، لكني لا أستطيع أن أكون سببًا في فشله
أيضًا، خصوصًا أني لا أعرف من هذا الوغد الحقير، فهي لم تخبرني التفاصيل، ولم تعطني مواصفاته. كما أنها حذرتني.. ترى هل أغلق القصة هنا وأدفنها كما
دفنت صديقتي؟ أم أني سأبحث عن الجاني وأنتقم لصديقتي؟
مرت أيام تليها أيام وأنا أعيش إعصارًا بداخلي، كنت أفيق ليلًا من هلع الكوابيس التي تراودني، مرة أرى عائشة تكاد تسقط على حرف عالٍ تناديني لأنقذها، ومرة
أراها تجري وتجري بكل قوتها وهي تلتفت للوراء فتتعثر وتسقط على الأرض فتطلق صرخة، فأفيق وأنا أرتجف من الخوف، ترتعش كل مفاصلي. ذات نهار وأنا
أعيش في خضم الحيرة والرعب كنت أسير في طريقي إلى الإعدادية، وكان يوم أربعاء، لن أنسى ذلك اليوم، كان البرد قارصًا، وكانت تمطر بغزارة، أوقفني شاب
متوسط القامة، عيناه جاحظتان، شعره أسود كثيف، كان يرتدي قميصًا أزرق وحذاءً شتويًا: - نور، لحظة، أريد أن أكلمك.
التفت، حدقت فيه جيدًا، أنا لا أعرف هذا الرجل، من أين يعرف اسمي؟
- أنت صديقة عائشة، أنا أعرفك جيدًا، أنا آسف على ما حدث مع عائشة.
- وأنت من أين تعرف عائشة؟ وكيف عرفت ما حدث معها؟
- أنا جارها، أنا من فعل بها ذلك.

قال هذا وأخفض رأسه.

تفاجأت بكلماته ولم أتفوه بحرف، بدأت أحدق فيه وقد تجمدت كل عضلاتي، وكأنه طعنني ألف مرة، ومن هو، إنه صديق زكريا، كما أنه ضابط شرطة، بدأت

أصرخ وأشتمه وأضربه إلى كل مكان وصلت إليه يدي.

- اهدئي نور، أرجوك، دعيني أوضح لك، كنت معجبًا بعائشة، وأحببتها من قلبي، أردت أن أقترب منها مرات عدة، لكنها كانت تصدني، كما هددتني بأن تخبر

أخاها، وذات يوم ترقبت خروج والدتها، وتسللت إلى غرفتها، وعندما فتحت الباب أغلقت فمها وطلبت منها أن لا تخاف، تسمعني بهدوء، لكنها ركلتني،

وحاولت الهروب لكن دون جدوى، فراودتها عن نفسها لكنها أبت أن تطيعني، فقمت باغتصابها، وحين انتحرت أنا من أشرف على قضيتها وزورت نتائج التحاليل.

- ألا تخجل مما تقوله؟ ألا تملك ضميرًا يا متوحش؟

وقمت بالبصق على وجهه، ولعنته ولعنت أهله، ومع ذلك لم أطفئ النار التي اشتعلت بداخلي.

- بلى، ضميري يؤنبني بشدة، وكل يوم أرى عائشة في منامي، أنا أتعذب لهذا قررت أن أعترف لك.

صفعته بكل ما أوتيت من قوة، بدأت أصرخ، وأصرخ، أخذ جسدي كله ينتفض وأنا أتخيل عائشة بين يدي هذا القذر، ولم أشعر إلا بجسدي يتهاوى على الأرض

وبعدها فقدت الوعي، ولم أفق إلا وأنا في المشفى وزكريا بجانبي..

- أين أنا؟

- نور، كيف تشعرين الآن؟

- ثقل على صدري يا زكريا، أنا مثقلة... هذا فوق ما أتحمله..

فنزلت الدموع من عيني دون أن أقدر على السيطرة عليها، اضطرب زكريا حين رآني أبكي فقال: - ماذا هناك نور بالله عليك؟ احكي لي.

- لاشيء، أنا بخير.

- أبدًا لست بخير، هل حدث شيء في المدرسة؟ هل أزعجك أحدهم؟

- بالمناسبة، كيف عرفت أني هنا؟

- كاميلا اتصلت بالمنزل تبحث عني، قالت لأمي أنك تبللت بالمطر، ولم تكوني تحملين مطرية، فأغمي عليك في الشارع وأحضروك إلى هنا، وأنا لحقت بك، نور

خفت عليك كثيرًا، لمَ لا تهتمين بنفسك؟

- نعم هذا ما حدث، سأنتبه المرة القادمة وأحمل معي المطرية.

أعتقد أن لا أحد رآنا، ولا حتى كاميلا أخت آنسة الرياضيات، صديقتنا أنا وعائشة، ولطالما كانت تزورنا بالبيت، نتحدث ونراجع معًا لكن إلى متى سأخفي الحقيقة

عنه. لم أنتبه إلى شرودي إلا وزكريا يناديني:

- نور، نور.. نوووووور

- نعم زكريا؟

- فيما شردت؟

- لاشيء.

أظنه شعر باضطرابي وأني أخفي أمرًا.

- أستحلفك بأختي عائشة أن تخبريني، هل تحرش بك أحد ما في المدرسة؟ أخبريني من يكون وسأكسر جمجمته.

- ليته مجرد تحرش يا زكريا ليته كان تحرشًا فقط ولا ذاك.

انتفض زكريا من مكانه بعد ما قلته دون أن أعي.

- تكلمي الآن وإلا سأخرج وأذهب للمدرسة.. أقسم إني سأقلبها رأسًا على عقب.

كان عيناه تتقدان نارًا من شدة الغضب، لا شك أن هذا المتهور سيقدم على حماقة، دمعت عيناي بغزارة، خفت من الذي سأقوله، كيف سيقع الأمر عليه،

ضممته إليّ بشدة وأخبرته بكل شيء دفعة واحدة، أحسست بأنفاسه تتسارع وصدره ينتفض على صدري كطير جريح. أستحلفك بالله يا زكريا لا تفعل شيئًا تندم

عليه، لقد فقدت عائشة ولا أريد أن أفقدك أنت أيضًا... لم يكن زكريا يسمعني قط، كأنه أصبح أطرش من الغضب.. خرج من الغرفة مسرعًا دون أن يقول لي

كلمة، أكيد سيذهب إلى ذلك السافل..

لأني لم أعرف كيف أتصرف أو إلى من سأتوجه، كانت الشرطة هي الحل المناسب لهذه الكارثة، خرجت مسرعة، وتوجهت إلى مركز الشرطة، طلبت منهم أن

يعثروا على الوغد قبل أن يعثر عليه زكريا، أقنعت الشرطة بالذهاب معهم كوني أعرف زكريا وأكيد هذا يفيدهم في البحث، مرت الدقائق كأنها دهر، ونحن نبحث

في مكان عمله ثم في بيتهم، وأخيرًا عثرنا عليه.. يا

إلهي ها هو زكريا، كان قلبي يقع أرضًا حين رأيته يهاجمه بشراسة، ويوقعه أرضًا، لكن الظاهر أن الآخر لا يرد
على ضربات زكريا، يحاول فقط أن يحمي وجهه بيديه..
- أسرعوا أرجوكم،
اعتقل ذلك السافل، ورجعت أنا وزكريا، لأنه كان غاضبًا ومحبطًا، توجهنا إلى أحد المقاعد وجلسنا عليها وقد اعتدت الذهاب إلى هناك أنا وعائشة واتفقنا أن يبقى
الأمر سرًا بيننا، أخيرًا هدأ زكريا بعد أن تحدثنا وعدنا للبيت.
وجدت أمي قلقة لتأخري، فأخبرتها أني ذهبت وزكريا لشراء بعض الحاجات لخالتي حياة، فصدقتني وهدأت، توجهت لغرفتي توضأت وصليت ودعوت لعائشة
بالرحمة والمغفرة، وأخيرًا كأن جبلًا انزاح على ظهري وغفوت.
في صباح اليوم التالي تفاجأت بخالتي تزورنا مع زكريا في البيت، قبلت يد خالتي وسلمت على زكريا وجلست معهم.
- لقد أنرت البيت بخطواتك يا خالة.
- تسلمي يا ابنتي، وأنا أريدك أنت أيضًا أن تنيري بيتي بخطواتك.
- أكيد خالتي، فأنا وعدتك أن أزورك كلما سنحت لي الفرصة.
كان زكريا صامتًا، تبادلا هو وخالتي النظرات، لم أفهم شيئًا..

- نور لم يكن هذا قصدي، وجودك في بيتي دومًا سيشعرني وكأن عائشة لا تزال معنا.

- لم أفهم قصدك خالتي؟

- جئت اليوم لأطلب يدك لابني زكريا.

أظن أن أمي كانت على علم بهذه الزيارة هي وجدتي لأنهما تبسمتا، أما أنا فقد شعرت بدوار وتعثرت الكلمات في فمي، وأطرقت أرضًا، فهرعت إلى غرفتي دون أن

أقول كلمة والدموع تخنقني، سمعت جدتي تقول لهما:

- هي لن تجد شابًا أفضل من زكريا ولا حماة تحبها كما تحبينها يا حياة يا ابنتي.

ردت أمي: هذا صحيح يا أختي، من أين سأجد عائلة أأتمنها على ابنتي نور.

عدت إلى غرفتي استخرت ربي وطلبت أن يرشدني لما هو خير لي، كما دعوت كثيرًا من أجل صديقتي، في هذه الأثناء طرقت خالتي الباب، كنت حينها لا أزال

ساجدة، فتحت الباب بهدوء وجلست على حافة سريري، قبلت جبيني.

- تقبل الله منك يا ابنتي، نفس حركات عائشة.

- اللهم آمين، بارك الله فيك خالتي وأطال الله عمرك.

- آمين يا ابنتي، اسمعيني نور، إن لم تريدي الزواج بزكريا لن أصر عليك

- لا يا خالة، أنا فقط مصدومة من طلبك، أنا موافقة أكيد، فأنت خالتي وأمي وزكريا شاب محترم و..

- وأنت تحبينه مثلما هو يحبك؟

شهقت من الصدمة وأخفيت وجهي الذي شعرت أنه

يحترق. كانت عائشة الوحيدة التي تعلم بحبي لزكريا الذي تعذبت منه طويلًا، لا أدري منذ متى بدأت أحب

زكريا، لكن ما أذكره أني أحببته منذ عهد طويل، أظن قبل أن أولد حتى، ولأن زكريا متحفظ وكتوم أيضًا، يخفي مشاعره، لم أعرف أنه يحبني أيضًا إلا بعد أن

أسرت لي ذلك عائشة، قبل أن تنتحر بأيام، لم أصدق يومها، طرت فرحًا، وأخيرًا سينتهي عذابي، وطبعًا اليوم صدمت لأن زكريا لم يلمح بخطبته لي ولم أشعر

بذلك مطلقًا... كيف يستطيع هذا الرجل أن يخفي مشاعره لهذه الدرجة!

- نور، لا داعي لتخفي عني أو تخجلي مني، عائشة أخبرتني كل شيء، لدي طلب وحيد يا نور.

- طلباتك أوامر خالتي

- أريدك أن تناديني أمي كما كانت تفعل عائشة.

- من عينيّ يا خالتي حاضر، هه أمي حاضر أمي.

مرت أيام جميلة، وكنا نخصص من وقتنا للدعاء لعائشة، ونمضي أوقاتًا رائعة أنا وزكريا وأحيانًا نصطحب معنا خالتي، فظننت أني بلغت السعادة القصوى،

وأنني أخيرًا فارقت كل الآلام التي عانيت منها منذ تركتني عائشة في منتصف الطريق، لكن هيهات فالألم الحقيقي قادم..

ذات يوم كنت في الطريق إلى البيت، ناداني زميلي في القسم، وطلب أن أعيره دفتري.. مشينا قليلًا مع بعض ونحن نتبادل أطراف الحديث عن الدراسة والامتحانات

التي اقترب موعدها، ضحكنا قليلًا، وحين هم بالمغادرة

تمنى لي التوفيق في الامتحانات ولكي يمازحني ضربني بالدفتر على كتفي قائلًا: أنت ذكية وستنجحين بامتياز لا خوف عليك مطلقًا.. من سوء حظي زكريا كان ينتظرني ليصطحبني فرآني وأنا أكلمه، ما إن التقت عيني بعينه غادر غاضبًا، لحقت به وحاولت أن أشرح له لكنه لم يرد أن يسمعني، وفسخ الخطبة على الفور، في البداية لم أصدق الأمر إلا بعد أن أكدت لي خالتي التي غضبت منه طبعًا لكنها لا تستطيع فعل شيء، بعد شهر سمعت أنه تزوج بأخرى وسافرا مع خالتي إلى مدينة السمارة، كيف استطاع أن يفعل هذا بي؟ تحطمت آمالي وكرهته وكرهت غيرته التي أعمته تلك وحطمت حياتي، دخلت المستشفى ما إن سمعت من أمي الخبر، مرت أيام وأنا لا أشعر بأني أتنفس وأني على قيد الحياة، زكريا كان الهواء الذي أتنفسه، معه نسيت حزني على عائشة، ووجوده بجانبي غطى غيابها رغم أني لم أنسها ولو لحظة، لكنه خذلني، تركني مثلما تركتني هي، كلهم خذلوني، لم يبق لي أحد.. مرت الأيام وتجاوزت مرضي وحزني أيضًا، عدت للدراسة ونسيت كل شيء، حتى إني نسيت أن لي قلبًا بداخلي ينبض، الضربة التي لا تقتل ستزيدك قوة، هذا ما علمته لي الحياة، مرت أيام وأخذت أصنع مستقبلي، لكن القدر له مسار آخر غير الذي نصنعه نحن، ذات يوم دخلت المنزل، وجدت أمي تتكلم على الهاتف تحدث أحدهم وتعزيه، فلم أكترث لذلك، انتظرت حتى أنهت المكالمة، سألتها وأنا غير مهتمة كثيرًا: - حدث شيء

أمي؟ كنت تعزين أحدهم؟

- إنا لله وإنا إليه راجعون، خبر محزن يا ابنتي

- من مات؟

- فاطمة.

سألت باستغراب: فاطمة من؟

- زوجة زكريا. توفيت وهي تضع مولودها.

كتمت شهقة طلعت مع أنفاسي، سبحان الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمها الله ورزقهم الصبر.

في نفس اليوم ذهبت أمي وأخي للتعزية في مدينة السمارة، بينما أنا اكتفيت بالمحادثة الهاتفية، لن أخفي أنني اضطربت، لم أعرف هل أحزن عليها أم أفرح لأن

زكريا أصبح وحيدًا، سجلت رقمه وقلبي يخفق بقوة، قمت بتعزيته ووقفت بجانبه لم أتركه قط رغم أن جرحه لا يزال ينزف بداخلي، لكني حاولت أن أكون

متجلدة.. مرت شهور، كبرت فيها ابنته، رجع إلى مدينته، وحضر إلى بيتنا هو وخالتي وأمل، أمل ابنته، وكانت بالنسبة له الأمل الذي يحياه، لاقيتهم وكأن شيئًا

لم يحدث، حاولت أن أكون طبيعية، لكني لم أستطع أن أمنع نفسي من تقبيل ابنته، وحملها بين ذراعي وضمها إليّ، فهي جزء من زكريا الذي لا يزال حبه ينبض

بقلبي..

طلب يدي زكريا من جديد، أتذكر أنني صدمت من طلبه ولم أترك خالتي تكمل شيئًا. نهضت من مكاني إلى الخارج لأنني لا أريد أن أكون ضعيفة أمامه ولا أريد

دموعي أن تنزل على شخص لا يشعر، لحقني.

زكريا: كنت أعلم أنني سأجدك هنا، طالما كنت تحبين هذه الحديقة.

- لأن هذه الحديقة هي الوحيدة التي تفهمني وأشعر أنها تشعر بي وتتحملني بكل ما فيّ.. الآن ماذا تريد يا أخي؟

- أخي! نور أعرف أنني جرحتك كثيرًا وأنت ثاني شخص أحن عليّ بعد أمي.. أرجوك سامحيني.

- إذا كان عليّ المسامحة فقد سامحتك، والآن إذا سمحت انس موضوعي نهائيًا.

- لم أعرفك يومًا قاسية هكذا.

- المرأة حين يخونها الرجل قد تخونه أيضًا، وحين يتركها قد تنساه، لكن حين يؤذيها كما فعلت معي في هذه الحالة لن تخونه ولن تنساه بل ستتغير، وأنت أكثر شخص آلمني، أنت جرحتني عندما تركتني وقتلتني عندما تزوجت، تركتني بسبب شيء تافه وكأنك كنت تبحث عن فرصة لتتركني، أنتم أنانيون، لا أنت ولا أختك فكرتما فيّ، تفكرون في أنفسكم وفقط ولا تهتمون لمشاعر الناس.

- حقًا! وأنا الذي كنت أحبك بصمت، حافظت عليك ولم أشأ أن أغضب الله فيك، كم كنت أتألم عندما أعاملك بقسوة لكن كنت أفعل كل هذا فقط لكي لا أؤذيك.

- آذيتني وانتهى الأمر.

أردت أن أؤلمه مثلما آلمني، وأن يتعذب مثلما تعذبت أنا.. لكن هيهات لهذا القلب أن يرى محبوبه يتعذب ولا يحرك ساكنًا! ذات يوم، اتصلت خالتي بأمي تخبرها

أن أمل مريضة وهي في المستشفى، آه على تلك الملاك المسكينة كيف لها أن تتحمل الألم، ذهبت مع أمي بسرعة إلى المشفى، وحينما دخلنا راعني منظرها المسكينة

وهي نائمة على السرير، وجهها الصغير شاحب، وأبوها بجانبها مرهق، متعب، يضم يديها إلى فمه يشمهما ويقبلهما كل حين، لم أر زكريا خائفًا هكذا، أرهقه

الفقد، أعرف ذلك، في البداية أخته، ثم أم ابنته، ثم أنا والآن أمله.. عادت أمي للمنزل، وأنا تحججت بأن لي صديقة في المشفى سأزورها، لكن بصراحة قلبي لم

يتحمل منظر زكريا وهو في تلك الحالة، أردت أن أقف بجانبه، أن يشعر أنه لم يفقد ولن يفقد شيئًا، بقيت طيلة النهار معه، طمأننا الطبيب على صحة أمل، ثم

طلبت منه الخروج قليلًا لنتمشى في حديقة وقد وافق على مضض.. جلسنا تحت إحدى الأشجار فبادرت أنا بفتح الحديث: - هل تعرف أني لم أنسك لحظة واحدة؟

- وهل تعلمين أن السنين التي ابتعدت فيها عنك زادتني تقربًا منك وتعلقًا؟

- لماذا رحلت في ذاك اليوم إذن؟ لمَ؟

- لأني أفضل أن أكون بعيدًا عنك على أن أراك كلمت أحدهم، الغيرة أعمتني يا نور، لو أمكنني أن أحجبك عن العالم كله...

- لكنك ضيعت عمرًا كان يمكن أن نكون فيه معًا.

- لكن يمكننا أن نكون معًا كل العمر، فقط وافقي أن تتزوجيني.

- هل ما زلت متمسكًا بي حقًا؟

- نور ما هذا السؤال! ألم تدركي بعد مدى حبي لكِ!

- بلى، فقط ليطمئن قلبي.

ضحكنا معًا، فهو يعرف أني لا أستطيع مقاومته.

أمضيت وقتًا رائعًا برفقته، لما عدت إلى البيت أخبرت أمي أني موافقة على عرض زكريا، سعدت كثيرًا.... أخيرًا تزوجت به، كنت أسعد إنسانة معه، وأخيرًا صرت

جزءًا من حياة زكريا وصار جزءًا من حياتي، نتقاسم كل شيء، وكنت كل يوم أزداد حبًا وتعلقًا به..

مرت سنتان لم أستطع فيهما الإنجاب، ذهبت مع زكريا إلى الطبيب، أخبرنا بعد فحوصات عدة، أخبرنا الطبيب أنني أعاني من مشاكل في الرحم، حزنت كثيرًا

لهذا الخبر، لكن في طريق العودة أنساني حبيبي حزني، قائلًا: لدينا أمل، فهي كل أملنا.. حينها عرفت أن الله دبر كل هذا، أليس هو القائل: "عسى أن تكرهوا

شيئًا وهو خير لكم" صدق الله العظيم.

ماتت عائشة وحزنت لفراقها حتى اقتربت من الموت، لكن حب زكريا أحياني من جديد..

يموت الإنسان ولا يموت حقه، وعدل السماء يتحقق عاجلًا أم آجلًا.

W

التحول للأسوأ

(حسام شاهر)

اعتدلتُ في جلستي والتفتُّ إلى تامر، كان يرمقني بنظرات قصيرة متوترة مراقبًا كل حركةٍ من حركاتي، ومحاولًا -في نفس الوقت-ألَّا تلتقي عيناه بعينيّ.

رسمتُ على وجهي ابتسامةً صفراء وربتُّ على كتفه، وقلتُ بأدب: "علام التوتر يا صديقي؟".

تقززتُ من نفسي إذ عاملتُ جِوال التفاهة هذا باحترام! لا بأس؛ بعد دقائق قليلة سيحظى بالمعاملة التي يستحقها.

قلتُ: "تبدو عليك معالم من يريد أن يطرح سؤالًا، ربما تريد أن تقول: لماذا جئتَ بي إلى هذه الحديقة شبه المهجورة؟".

- أجل. وفي الواقع، لقد سألتُ هذا السؤال بالنص قبل دقيقة لكنك لم ترد!

تجاهلتُ جملته الاعتراضية التي لا تقل تفاهةً عنه، وقلتُ:

"لقد جئتُ بك إلى هذه الحديقة لنتناول الغداء معًا في بيئة هادئة، وكذلك لأحكي لك قصة تحولي التي كنتَ أنتَ سببًا من أسبابها الرئيسية!"

شبك تامر أصابعه وقد بدا عليه بعض التردد، هرش رأسَه مُفكرًا، ثم إنه قطب بجدية والتفت نحوي بكامل جسده كمن حسم رأيًا وعزم على قولِ أمرٍ هام.

- هلا تسمح لي بسؤال؟

استثار فضولي بحركاته وتعابير وجهه التي توحي بأنه سيفضي لي بأسرار لا تقل خطورةً عنِ شيفرة السلاح النووي الأمريكي، فقلتُ باهتمام: "طبعًا، تفضل!"

- أحم... هل ستحكي قصة تحولك هذه قبل أن نتغدى أم بعد أن نتغدى؟

لم يجدر بي أن أتوقع من هذا اللاشيء أن ينطق بأمرٍ ذي أهمية!

- سأحكيها قبل أن نتغدى.
قال بتأفف: "فلنأمل إذن أن تكون قصة تحولك هذه قصيرة!"
صَمتَ للحظة وأخذ يتنفس بهدوء، بينما كنتُ أجاهد لإخفاء غيظي، كنتُ أتظاهر بحَك أنفي المكسور، لكنني في الواقع كنتُ أخفي تعابير وجهي التي يصعب أن تراها إلا على وجه سفاح مُقبِل على انتزاع أحشاء ضحيته!
وهممتُ بقول شيءٍ، إلا أن "تامر" سبقني بسؤالِه:
"هل قرأتَ "السر"؟"
ومن هنا يمكن أن أبدأ سردَ قصةِ تحولي!
W
أولًا أقول: تامر هو زميلي في العمل، لم أعرف قط ما هي وظيفته بالتحديد، لكنه يفعل شيئًا ما -قد يكون هذا "الشيء ما" تنظيف المراحيض أو حتى حماية المدير من الكائنات الفضائية-وأيًا كانت وظيفته، فهي -على ما يبدو-تفرض عليه أن يسأل كلَ موظف بالشركة -كلَ يومٍ وبنفس الطريقة-نفسَ السؤال: "هل قرأتَ "السر"؟"
وكان يداوم على ذلك بإخلاص وحرارة يوحيان بأنه يتلقى حوالات مالية من المؤلفة!
حين سألني تامر سؤاله الأزلي لأول مرة، ابتسمتُ بلباقة وتعاملتُ معه بأدب -لم أكن أعلم أن هذا النوع من البشر يجب التعامل معه بالشبشب-وقلتُ: "للأسف لم أفعل. ما هو "السر"؟!"

قال تامر بحماس:

""السر" كتابٌ رائع من تأليف "روندا بايرن"، وهو يتحدث عن قانون الجذب وكيفية استخدامه لتحقيق الحب والبهجة في الحياة!"، ثم غمز بعينه: "بيع منه ما يزيد عن ٢١ مليون نسخة، وتُرجِمَ إلى ٤٤ لغة!"

تساءلتُ في نفسي: "كيف بقى سرًا بعدما قرأه ملايين البشر؟! لو كنتُ سرًا وقرأني كل هؤلاء الناس لانتحرتُ كي أخلص نفسي من العار!". ابتسمتُ مجددًا،

ووَعَدتُه بقراءة الكتاب في أقرب وقت ممكن. وطبعًا لم أقرأه، ذلك لأنني -دعوني أكون صريحًا-شخص جاهل يكره القراءة!

إنني حين أفتح كتابًا وأطالع الصفحات المكتظة بالفقرات، والفقرات المكتظة بالأسطر، والأسطر التي تتكدس فيها الكلمات بعضها فوق بعض؛ ينتابني شعورٌ بالغثيان وتعتريني تشنجات شِبه صَرْعيَّة!

حتى إنني إذ أراجع هذه القصة وأعيد النظر فيما كتبته؛ أشعر برعبٍ شديد وهلع!

أنا... شخصٌ... جاهل... وأكره القراءة!

إلا أن "تامر" أبى أن يصدق هذه الحقيقة. وفي كل صباح كان يقف أمام مكتبي بالشركة، ويبتسم في وجهي بسماجة منقطعة النظير، ويسألني: "هل قرأتَ "السر"؟"

ولقد حافظتُ لفترة على المعاملةِ المهذبة والابتسامةِ اللبقة والردِ المقتضَب: "ليس بعد"، إلا أن كل إناء ينضح بما فيه في لحظةٍ معينة، ولقد حدث ذلك معي ذات

صباح.

كنتُ حينها عصبيًا متعكرَ المزاج، إذ كنت أحاول تنسيق حسابات معقدة بعقلٍ مبلبلٍ لا يفكر إلا في الذهاب إلى الحمام! وبينما كنتُ أفكر في الحمام باشتياق

المُحِب، ظهر "تامر" من اللامكان، ووَقَفَ أمام مكتبي راسمًا على وجهه ابتسامةً لزجة ضاعفتْ رغبتي في التبول! وسألني بحماس: "هل قرأتَ "السر"؟". ضغطتْ

مثانتي على عقلي فانفرط عقد التحكم في الغضب، ولم أنتبه إلى نفسي إلا وأنا واقفٌ أصيح: "يا أخي تبًا لك ولثقل دمك! فلتمارس سماجتك مع شخصٍ آخر! لم أقرأ الكتاب، ولا أريد أن أقرأه!".

ولأنه شخص لزج بليد فهو لم يتأثر، بل اكتفى بالابتسام، وقال: "الأفكار تصبح وقائع، هذه حقيقة يؤكدها "السر"! وأنا أفكر الآن في أنك ستقرأ الكتاب".

عضضتُ على شَفَتي السفلى، وقررتُ أن ألكمه على وجهه، لكنني عوضًا عن هذا انطلقتُ أجري إلى الحمام!

سأتوقف هنا عن ذكر التفاصيل، ولن أطلعكم على ما حدث في الحمام -حفاظًا على صحتكم النفسية والمِعَوِيّة-لكنني لا أستطيع ألَّا أطلعكم على ما انتبهتُ له وأنا

أغسل يدي؛ لقد لاحظتُ أن الفكرة التي كانت تشغل بالي بشدة (الذهاب إلى الحمام) قد تحققت! فأنا الآن في الحمام.

الأفكار تصبح وقائع فعلًا؛ يبدو أن "السر" لا يكذب!

حَلَّ صباحٌ جديد.

في اليوم التالي كنتُ أحس بشعورٍ مختلف بعد أن

أمضيتُ الليل أقرأ كتاب "السر"، طبعًا لم أقرأ نسخته الورقية الأصلية التي يعجز عن شرائها أعيان الصعيد!
بل
قرأت نسخةً مضروبة طُبِعَت على نفس نوع الورق الذي تُعَبَّأ فيه الطعمية.
أنا الآن أعرف السر الذي عرفه من قبلي "أفلاطون" و"أديسون" و"جاليلو" -وقرابة ٢١ مليون شخص آخر- والسر ببساطة هو قانون الجذب، وقانون الجذب ينص
على أن الشبيه يجذب شبيهه، أي أنك حين تفكر في فكرةٍ ما ستجذب الأفكار الشبيهة إليك!
يا للجمال ويا للبساطة!
خرجتُ من منزلي وكُلي سعادة، ثم ركبت سيارتي وتوجهتُ إلى محل عملي.
يقول "ديفيد شيرمر" متخصص تكوين الثروات -ولا أدري أي كليةٍ هذه التي تُخَرِّج متخصصي تكوين الثروات لكنها حتمًا تتمتع بتنسيق أعلى حتى من تنسيق كلية
الطب-أن الناس يندهشون لأنه يعثر بسهولة على مكان لركن سيارته. لقد صار الأمر بالنسبة له سهلًا جدًا منذ أن فهم السر. ببساطة، هو يتخيل مساحة خالية
تمامًا في الموضع الذي يريده (يريد أن يركن فيه)، وفي ٩٥٪ من المرات يجد المكان خاليًا ينتظره، وفي ٥٪ من المرات يتوجب عليه أن ينتظر قليلًا، حتى يخرج من
يشغل المكانَ بسيارته، ثم يدخل هو!
ركزتُ بقوة وأنا أتخيل مساحةً خالية في موقف السيارات المقابل للشركة التي أعمل بها. مساحة خالية، مساحة خالية، مساحة خالية. وبالغتُ في

التركيز حتى

كدتُ أصدم طفلًا يعبر الشارع -وذلك ليس ذنبي؛ ربما كان الطفل يفكر في حوادث السيارات ومن ثم جذب سيارتي إليه-ووصلتُ في النهاية إلى موقف السيارات.

وصدق أو لا تصدق:

لم أجد مكانًا للركن!

كانت أماكن الركن مشغولةً عن آخرها، حتى إن الرَكن في صفٍ ثانٍ مخالِف قد صار حلمًا صعب المنال، وبدأ الناس -وأنا منهم-يركنون في صفٍ ثالث!

قلتُ لنفسي: "لا بأس؛ ما حدث لا يدحض قانون الجذب، كل ما في الأمر أن "خدمة جذب أماكن للركن" هي خدمة محدودة تشمل دولًا معينة ليست مصر منها

على ما يبدو!".

وقررت أن أنتقلَ إلى تطبيق آخر للسر، وأن أفكرَ في شيء أكثر أهمية من مواقف السيارات.

إنَّ جميع مباهج الحياة ماثلة أمامي كحبات فاكهة فوق شجرة، ما عليَّ سوى أن أفكر وأركز التفكير لتتساقط هذه الحبات الواحدة تلو الأخرى بين يدي! (هكذا

كنت أفكر في ذلك الحين، والآن أشكرُ الله بعد أن تخلصتُ من هذه الأفكار العجيبة).

وأخذتُ أفكر بينما أسير متجهًا إلى مكتبي: "سأحصل على ترقية، سأحصل على ترقية"، وفجأةً ودون تمهيد، ظهر المدير أمامي!

ابتسمَ وقد ظهرَ على وجهه مزيجٌ من الحنان والعطف، وقال:

"انتظرْ لحظةً يا بني؛ هناك خبر يجب أن أتلوه عليك".
عجبًا! لم أعلم أن قانون الجذب يعمل بهذه السرعة!
تابَع بتوتر: "للأسف، لا أجيد نقلَ هذا النوع من الأخبار".
قلتُ لنفسي: "لا عجب"، فلقد كنت أعلم أن هذا الغراب لا يجيد نقل الأخبار السارة ولا قَوْل الكلمات
الطيبة، حتى إن "السلام عليكم" كان يلقيها عليَّ كأنه ينقل لي خبرَ وفاة والدي! استطرَد: "قد يصعب عليك تصديقي!"، وجفف عرقه بمنديلٍ كان في يده.
وضعتُ يدي على كتفه بثقة، وقلتُ مبتسمًا:
"لا داعي للتوتر أيها المدير؛ في الواقع، أنا على دراية مسبقة بالخبر الذي ستقوله".
- أحقًا؟!
قلتُ بكل ثقة وهدوء: "أجل!".
نظر لي المدير بسعادة وأبدى إعجابه الشديد برد فعلي الهادئ، ثم قال: "لم أتوقع أنك ستتقبل قرار الشركة على هذا النحو. يجب أن تكون قدوةً للموظفين! أتسمح لي أن أعلن الخبر بينهم؟! لا لشيءٍ إلا ليقتدوا بك".
- لا بأس، أخبرهم، فأنا لا أخشى الحسد!
كان عددٌ من الموظفين قد تجمعوا حولنا وأخذوا يتبادلون كلمات هامسة سريعة. شعرتُ بنظراتهم الغيورة تتركز عليَّ فازداد زهوي وغبطتي. دمعتْ عيناي بتأثر،
وقلتُ لنفسي: "ها هو مشهد البداية في قصة نجاحي التي ستُلهِم الملايين!".
"فلتنصتوا أرجوكم"، لقد شرع المدير بالتحدث، "أريد منكم أن تصغوا بعناية؛ سأحدثكم الآن عن شخصٍ أرجو أن تقتدوا كلكم به"، وأشار تجاهي فابتسمتُ

بتواضع. كان في صدري سلامٌ وسكون، ومن قلبي تدفق حب غمر زملائي، وقلتُ لهم بنظراتي: "آه يا زملاء العمل القدامى، فلتعذروني؛ سأحظى اليوم بالترقية

التي لطالما حلمتم بها، لقد عملتم بجد لكن الترقية صارت إليَّ أنا، وليس ذلك لشيءٍ إلا لأنني كنتُ أفضل منكم وأذكى! أرجو ألا تقولوا في أنفسكم: "نحن أدنياء

وأغبياء"؛ لن تعيشوا على نحوٍ طبيعي إن وضعتم هذه الحقيقة نصب أعينكم، فلتخدعوا أنفسكم ولتتجاهلوا هذه الحقيقة قدر الإمكان!".

أجل، لقد قلتُ كل هذا بنظراتي فقط!

أكملَ المدير حديثَه مبتسمًا:

"صاحبكم هذا يتمتع بأخلاق أتمنى أن أجدها عند كل موظفٍ. آه، يا له من تصرف متفهم ونادر هذا الذي صدرَ عنه، لقد تقبل قرارَ الشركة على نحوٍ رائع: تلقى نبأ

طرده بهدوء ولم يسع إلى إثارة المشاكل! يا للأخلاق الرائعة التي يتمتع بها هذا الفتى. لو كان يجيد عمله ولو قليلًا ما كنا لنطرده قط! أتمنى أن تقتدوا بهذا

الموظف.. عذرًا"، ضحك بسماجة، "يجب أن أقول: الموظف السابق!".

صحتُ: "موظف سابق؟! هل طُرِدتُ من العمل؟!".

يا للفضيحة، لقد تلقيتُ نبأ طردي أمام الناس!

ظهر الاندهاش جليًّا على وجه المدير، لكنه رغم ذلك ظل يتحدث بابتسامة ومرح ليس لهما مبرر (سوى كونه وغدًا)، وقال: "أيها الفتى العزيز، أرجو ألا تتحول إلى قدوةٍ سيئة. أخبرني، ما سر استيائك؟! ألم تظهر في البداية قبولًا؟! لقد أظهرتَ سعادةً أيضًا! فلماذا الآن؟!".

- لم أكن أعلم أنني سأطرد! كنتُ أظن أنني سأرقى. لقد فكرتُ في ذلك، قُلتُ لنفسي: "ستحظى بترقية"، ومن المفترض أن يُنفِّذَ قانون الجذب أفكاري! هذا ما قالته

"روندا بايرن"! واعلمْ يا هذا، لو امتنعتَ عن ترقيتي فسأتصل ب"روندا بايرن" شخصيًا وسأخبرها بكل ما حدث!

تملكَه القلقُ مجددًا: "من "روندا بايرن" هذه؟ عضو بمجلس الإدارة؟"

قلتُ "باشمئناط" حقيقي: "ألم تسمع عنها؟! إنها مؤلفة كتاب "السر"".

أدرك المدير أن لا خطر يهدده، فعاد يتصرف بابتهاج يليق بهذا الحدث السعيد (طرد موظف من الشركة)، وقال بتبسط: ""السر"؟! أنا أعرف هذا الكتاب! لم أقرأه طبعًا، فأنا كثير المشاغل، لكنني سمعتُ عنه؛ ذلك الفتى (تامر) حدَّثَني عنه أكثر من مرة. بالمناسبة، أتعرف ما هي وظيفة

هذا الولد؟!".

قلتُ باقتضاب: "لا".

قال: "لا بأس، سأجعله يتولى مهام وظيفتك إذن! هيَّا، فلتغادر الآن، ودون إزعاج أرجوك"، ثم أعطاني ظهره وتمشى مبتعدًا مطمئنًا كطفل!

يا للعار! كنت كمن تلقى صفعةً على الملأ، ووَجَب أن أستردَ كرامتي.

وقررت ألَّا أغادرَ قبل أن أريه (أي المدير) بعض الحركات التي تعلمتها من فيلم "كونج فو باندا"، أو -على الأقل-

قبل أن أذكر له رأيي التفصيلي في والدته، ولقد
عزمت على ذلك ثم امتنعت، حتى لا أزين فضيحتي بجلاجل أنا في غنى عنها.
خرجتُ من الشركة بخطوات واسعة، وأسرعتُ باتجاه الموقف باحثًا عن سيارتي. وبعد لحظات من البحث زَفَّتْ عيناي إلى عقلي خبرًا سارًا: السيارة غير موجودة.
لقد سُحِبتْ كل السيارات التي رُكِنَت في صف مخالف!
"لا بأس، لا بأس. لقد فقدتُ وظيفتي وسيارتي، لكن قانون الجذب سيساعدني على استعادة كل ما فقدته!" لقد كنتُ أخدع نفسي بغير حياء، "سأستعيد كل
شيء: سأستعيد السيارة والوظيفة، وبعد عامين فقط سأصبح واحدًا من السادة ذوي الكروش والنظارات الشمسية، سأصبح ضيفًا دائمًا في برامج "التوك شو"،
وسأحكي قصة نجاحي وسأذم الشاب المائع الرقيع الجالس في المقاهي، سأستخدم السر لأحقق كل هذا بعون اللّه"، لكن كان يجب أن أدرس السر أولًا، "يجب أن
أُجَربه عدة مرات لأعرف ما هي الطريقة المثلى لتشغيله"!"
لكنني لن أجربه على نفسي؛ لقد حدث لي ما يكفي! وقررتُ أن أختارَ واحدًا من الواقفين على الرصيف ليكون فأر تجارب أطبق عليه أفكار "روندا بايرن".
أجلتُ بصري باحثًا عن الفأر المناسب، وانتقيت في النهاية شخصًا يقف شاردَ اللب. نظرتُ نحوه وفركت يدي بحماس: "فلتنبسط أساريرك التي نسج فيها
العنكبوت يا صديقي؛ لقد تم اختيارك لتخوض تجربة رائعة يزيد احتمال فشلها على ٩٩٪!"

كنت قد اخترته بالتحديد إذ لاحظتُ فيه قوة التحمل، فصاحبنا هذا يمتلك جسدًا يمكن تصنيفه بكل أريحية تحت بند "ثلاجة ذات بابين"! لا شك أنه كان يبيت

لياليه في صالات الجيم ليصل بجسده إلى هذه الهيئة الديناصورية.

ولقد كانت بنيته الديناصورية هذه عاملًا يجعله فأرَ تجارب مثالي، ذلك لأنها تحميه، فإذا فشلت التجربة وأخذت الأمور منحى سيئًا -وهذا أمر لن تستبعده أبدًا

إذا أخذت الأحداث السابقة بعين الاعتبار؛ لن يلحق بصاحبنا ضرر كبير، حتى لو صَدَمَتْه سيارة أو أطاحتْ به مقطورة، لن يصيبه أذى بالغ؛ سيصاب ببعض

الكسور البسيطة، وسيرقد في المستشفى ليومين، ثم سيخرج قاصدًا أقرب صالة جيم!

أغلقت عينيَّ واخترتُ فكرةً مسالمة يصعب أن ينتج عنها أذى -ليكون هذا صمام أمان ثانيًا يحمي فأر التجارب-ثم أخذتُ أفكر فيها وأركز عليها: "سيصبح هذا

الرجل صديقي!"

ثم فتحتُ عينيَّ بتفاؤل، وكان أول ما رأيته دلوًا يسقط مُسرعًا من إحدى الشرفات متوجهًا نحو رأس صاحبنا! وقع الاصطدام فتراختْ ركبتا الرجل بشكل كرتوني،

ثم انطرح على قفاه وجعل يضحك ويبكي في نفس الوقت!

ودونما تحكم بنفسي وقعتُ أرضًا وأخذت أضحك بصوتٍ عالٍ! وصارحت نفسي لأول مرة: "ها قد نَتَج عن قانون الجذب شيء واحد ذا قيمة!" ولقد هتف بي الرجل

وهو يحاول التحكم بضحكاته ودموعه:

"أأنت من ألقى عليَّ الدلو؟"

قلتُ بين ضحكاتي:

"لا، لا! لقد سقط من... هع، هع! من إحدى الشرفات!"

قام وهو يهتز من أثر الضحك والبكاء.

- بل ألقيته أنت أيها الحقير، ولهذا تضحك الآن!

تملكني الفزع إذ توقعتُ تبعات ضحكي المتواصل، فقُمتُ بسرعة وأنا أحاول أن أكف عن الضحك.

- لكنك أيضًا تضحك! أهذا يعني أنك ألقيت على نفسك الدلو؟!

- تبًا لك أيها الظريف!

حاولتُ بصدق أن أتوقف عن الضحك، إلا أن مشهد وقوعه كان ماثلًا في مخيلتي ويمنعني من التوقف. اقترب مني الرجل ببطء وفي عينيه شرٌ لا يخفى. الآن فقط

ألاحظ، ولأول مرة، أن القوة البدنية التي يتميز بها فأر التجارب والتي تحميه من الأذى، لا تحميني من الأذى بل تفعل العكس!

- أرجوك، تمهل واسمعني، ما حدث لا يد لي فيه على الإطلاق، إن "روندا بايرن" هي التي!

إلا أن قبضته كانت أسرع من لساني.

W

"أحمدُ اللّٰه؛ لقد فقدتُ الوعي مع أول ضربة!" كذا قلتُ لتامر وأنا أتحسس أنفي المكسور. "ها قد أنهيتُ قصتي".

قال تامر بصوت متحشرج وقد وصل توتره إلى الذروة: "يا

لها قصة جميلة!"

قلتُ بهدوء متجاهلًا -للمرة الثانية-تعليقَه: "قد تظن أن تجاربي أفقدتني إيماني بالسر. لا. في الواقع لقد ساعدتني تجاربي على التوصل إلى الطريقة المثلى

لاستعمال السر. كل ما يجب أن أفعله هو أن أفكر في الشيء المعاكس تمامًا لرغبتي! لقد ثَبُتَ أن كل ما أفكر فيه يحدث ضدُه!"، وتنهدتُ ثم نظرتُ له بهدوء، "لا

ترتعد خوفًا يا صديقي، لقد كنتَ سببًا في تحولي للأسوأ، لكنني غير حاقد عليك، ولا أريد أن أنتقم منك، ولا أريد أن يخرج من بين الأشجار عشرة رجال

مسلحين، ولا أريدهم أن يطاردوك طيلةَ الليل في هذا المكان شبه المهجور الذي لا يوجد به أحد لينجدك... آه، عذرًا، أعني: الذي يوجد به الكثيرون!"

مع بداية كلامي ظهر على وجهه سرور إذ ظن أنه نجا، ثم ظهر تعجب، ثم ظهر غضب وذعر حين أدرك!

- أيها ال(...)!

يا لحلاوة الانتقام!

وأخذ يتصبب عرقًا، لكنه حاول أن يتماسك: "لستُ قلقًا، فأنا لا أصدقك، السر لا يعمل بهذه الطريقة، أنت لا تستطيع أن "تُشَغِّله" أصلًا!"، بالصدفة صدر

صوتٌ من غابة الأشجار القريبة، فهَبَّ تامر مذعورًا -ما أكدَّ لي اقتناعه بكلامه-وفي اللحظة التالية كان قد أسلم ساقيه للريح!

قُمتُ واقفًا وقد شَقَّت وجهي ابتسامةٌ جعلته أشبه ببطيخة مفتوحة؛ ها قد عُومِل كما يستحق!

أظن أنه سيجري دون توقف طيلة الليل. ربما سيلتفت

للخلف في لحظة ما، ساعتها -حين يجد أن أحدًا لا يطارده-قد يتعلم ألَّا يصدق كل ما يسمعه!

W

كليك

(نسرين خليل)

- وأنني أحبك ولا أستطيع أن...

عند هذا السطر ضغط على شفتيه بقوة شاعرًا بالازدراء، مرور ملامحها الدميمة بين ثنايا عقله أشعل الغضب بداخله، وأخذ يحدث نفسه: ألا تشاهد نفسها

بالمرآة؟ كيف تجرؤ قبيحة مثلها أن تشعر بالحب ومع من؟ معي أنا!

شاهد انعكاس وجهه بزجاج أمامه وكأنه يذكره بوسامته المفرطة فانتفض بغل، وقام من مكانه راميًا خطابها بقوة بسلة المهملات، وأسرع خارجًا مرتطمًا بهذا

وذاك، ولا يبالي بالاعتذار، ووقف أمام مكتبها وفتح الباب بقوة ودلف بالداخل ليجدها جالسة على مكتبها تتصفح بعض الأوراق، وحينما شعرت بوجوده رفعت

عينيها بهدوء إليه، ثم تورد وجهها خجلًا وقامت تدعوه للجلوس بكلمات مبهمة، وهو يشير إليها بيديه بحركات حمقاء مرددًا أنه لم يأت للجلوس وجل ما

يريده بعضًا من الثواني، وقد شعر فجأة أنه قد نسي ما أتى من أجله لرؤيته توسلًا طفيفًا بعينيها ألا يقسو عليها، فجلس فجأة ولم ينبس ببنت شفة؛ فجلست

أمامه برقة وقد أطرقت برأسها منتظرة أن يتحدث ولا يدري حقًا لمَ تغلغل الحزن بداخله وهو يرى جلستها المستكينة، وكأنها تنتظر حكمًا بالإعدام، كم شعر أنه

وغد بلحظتها، ولا شعوريًا تكلم بصوت رقيق: إيمان...

رفعت عينيها إليه وقد اغرورقتا بالدموع تشير إليه بأن يصمت؛ واقتربت منه ووضعت أصابعها على شفتيه وقالت بصوت هامس: محمود أعلم أنك تستنكر حبي

لك وأشعر بغضبك يمزقني فأستحلفك بالله لا تكن قاسيًا عليّ، دعني فقط أتخيل أنك قد أتيت لتبادلني مشاعري لتعترف أنك منذ زمن وأنت تريد أن تبُثني

مشاعرك ولكنك خائف من الصد، امنحني حبًا ولو لبضع لحظات وأعدك أنك لن تراني ثانية.

اتسعت عيناه بذهول يحاول استيعاب مطلبها، وقد انتابته الحيرة ما بين أن يراضيها كإنسانة، وما بين الشفقة على نفسه بأنه لا ذنب له فيما تشعر به تجاهه و...

"ستووووووووب"

التفتا إلى مصدر الصوت بجمود وقد تخشبت نظراتهما، تقدم ناحيتهما والتفت إليها أولًا قائلًا ببرود: ما بالك اليوم أشعر أنك زائفة لأول مرة في حياتي!

بادلته نبرته الباردة قائلة: النص سخيف ولا يليق بي.

يرمقها بهيئة ساخرة قائلًا: لمَ قبلت به إذًا؟!

نظرت إليه غاضبة وصاحت: تعلم أنني لا أستطيع الرفض وانحسار الضوء عني جعلني مجبرة على التعامل مع أمثالك.

- أمثالي! لمَ ينتابني إحساس أنني أتحدث مع مارلين مونرو! أنت نكرة.

تدخل بينهما الممثل قائلًا بصوت متزلف: اهدأ أستاذي، الهدوء يا أستاذتي سنعيد المشهد بما يليق بها وبك.

أخذا في تبادل النظرات المتحدية لبرهة، ثم تركت مكان التصوير مسرعة إلى الخارج فزفر المخرج بغضب وجلس ناظرًا إلى إثرها وكأنها ستظهر فجأه وتعتذر وتُكمل

التصوير، التفت إليه الممثل بنفس نبرته المتذللة وقال: أستاذي فلتعتذر لها فهي عنيدة، وكما تعلم لا بد من الانتهاء من التصوير، لا نرغب بمزيد من المصاريف!

عند ذكر النقود ضرب المخرج المقعد أمامه بقدميه بعنف صارخًا: حقيرة و...

"ستووووووووب"

تجمدت نظراتهما معًا والتفتا إلى مصدر الصوت بجمود فاندفعت إليهما امرأة بدينة صارخة: - ما هذا القرف! هل فعلًا نقودي ستصرف علي هذا الهراء والبلاهة! أين المشاعر وأنت الممثل المخضرم وأنت ما هذا التزلف المصطنع! أنا لا أصدقكما فما بالكما

بالمشاهد، وأين ذهبت تلك الخرقاء؟!

بصمت اجتمع الممثلون يتبادلون نظرات ضاحكة، وابتدأ التصوير وانتهى على ما يرام، وذهب كل منهم إلي حال سبيله، وجلست المرأة البدينة بمفردها وهي تراقب

الفوضى بعد رحيلهم باشمئزاز، ودارت بنظراتها الجاحظة بالمكان، فوجدت فستانًا ملقى هناك فقامت بصمت وحاولت ارتداءه بصعوبة، وحلت عقدة خصلها

بعنف ووضعت أحمر شفاه صاخبًا وأخذت تؤدي حركات سيريالية متناغمة؛ وقد تخيلت قبالتها جمهورًا وهميًا هائلًا ولم تلق بالًا لثقل وزنها إلا عندما وجدت

نفسها على الأرض وقد اختلطت دموعها بالعرق

المتصبب علي جبينها فأصبح شكلها مثيرًا للشفقة وانتابتها هستيرية مفاجئة فأخذت تضحك وتضحك و...

"ستووووووووب"

تجمد صوت ضحكاتها وقامت متأففة تنفض ملابسها بارتباك، ورفعت رأسها كطفلة صغيرة تنتظر التأنيب.

- سهير أمامك بعض الوقت لتتذكري تحركات الكاميرا، أشعر أنك تائهة متوترة..

قاطعته قائلة: يوسف.. يوسف بالله عليك اسحب دوري وامنحه لأخرى سأكون سببًا لفشلك ولن أتحمل هذا.

- هذا الدور لك ولن أسمح بترديد هذه السخافات مرة أخرى، هيا اذهبي واستبدلي ملابسك للمشهد التالي هيا.

مشت بتثاقل نحو غرفتها والتفت مساعد يوسف بقلق إليه قائلًا: يوسف لمَ هذا الإصرار السخيف! سهير لم تعد صالحة للحياة بعد خيانة زوجها وهرب ابنتها من

المنزل، أصبحت مسخًا.

نظر يوسف إليه بصمت وابتسم ومضى خارج المكان بهدوء تتبعه نظرات مساعده المندهشة، وشعر بحركة حذرة بجانبه؛ فالتفت نحو مصدرها ولم يستوعب أن

عنقه قد أصبح بين أصابعها المنتفضة بغل إلا عندما شعر بأن حلقه قد أصبح يابسًا، وأن قواه قد خارت من أول محاولة لتخليص روحه من بين براثن غضبها

فحاول الاستغاثة بصوت واهن تارة والتوسل إليها تارة أخرى...

"ستووووووووب"

تخلص من يديها بغضب ناظرًا إلى المخرج صائحًا: لقد شعرت بالاختناق تلك المرأه قوتها خارقة.

انطلقت الضحكات صاخبة من الجميع وقد التفوا حوله على شكل دائرة تتسع وتضيق عليه وهو لا يلقي بالًا إليهم، وقد أخذ يمسح حبات العرق المتساقطة علي

عنقه بمنديل ورقي، وأمسك هاتفه ونظر إلى شاشته بتركيز حتى أصبح داخلها، ووجد نفسه بقاعة احتفال ضخمة وقد ضجت بأشخاص عديدين يرتدون ملابس

غريبة وكأنهم في حفلة تنكرية، ومر بمرآة فهاله ما رآه، هو نفسه كان يرتدي ملابس غريبة وكأنه من القرون الوسطى، فاقترب أكثر ليرى تفاصيله وانشغل عن

الضوضاء الدائرة حوله، ثم انتبه للسكون المفاجئ الذي عم القاعة فالتفت إليهم فوجدهم خلفه يرمقونه بدهشة ويتحسسونه وكأنه تمثال، فحاول الابتعاد عن

أيديهم الممتدة إليه فارتطم بالمرآة وقبل أن يطلق صيحات الألم وجد يدًا تمتد من داخلها تشده إليها، فحاول المقاومة ثم ما لبث أن استسلم وأغمض عينيه وعبرها

فوجد تصفيقًا هائلًا، ففتح عينيه على جموع حاشدة ينظرون إليه بإعجاب، ورجل خلفه يدفعه ليتقدم نحو المنصة ويمنحه ميكروفونًا، فمشى بارتباك حتى أصبح

بدائرة الضوء وتعلقت الأنظار بشفتيه فضحك ضحكة ممجوجة وتنهد بعمق محاولًا أن يتماسك، ثم قال بصوت ضعيف: عذرًا أشعر بالسعادة لوجودي بينكم،

ولكني لم أستوعب بعد لمَ ترحبون بي!

تناول رجل بجانبه الميكروفون قائلًا بمرح مصطنع: يا

لتواضع كاتبنا المحبوب لا يدرك أننا ننتظر رواياته بشغف وأن روايته الأخيرة قنبلة أدبية..

قاطع كلامه تصفيق حاد من الحاضرين وهم يهتفون باسمه وقد اتجهوا ناحيته بسرعة فشعر بالفزع، فحاول التراجع كعادته وتسللت يد من خلف الستار تشده

إلى ما وراءها، تنفس الصعداء عندما وجد نفسه بمنزله، إنهاكه منعه أن يتساءل كيف، اتجه إلى غرفة نومه وتمدد على سريره مراقبًا سقف حجرته، ثم قام

معتدلًا وقد تذكر أن عليه تسليم نسخة روايته الجديدة اليوم.

اتجه إلى مكتبه وأخذ يبحث بعنف عنها حتى شعر بالتعب يقضي على حيرته، فوقع على الأرض وتمدد كالجثة الهامدة حتى استفاق على هزات رقيقة، وتهادى إلى

سمعه صوتها العذب وهي تقول: محمود.. محمود، لمَ تنام على الأرض كالصغار؟!

رفع نظره إليها، ثم أخذ يفرك وجهه وهو يراقبها من تحت رموشه، فابتسمت له بهدوء وقامت متجهة إلى النافذة وفتحتها لتسمح لضوء الشمس أن يحتل

الغرفة، فأغمض عينيه هاربًا منها فضحكت هي بصخب لا يتناسب مع هدوء المكان واتجهت إليه قائلة بصوت عالٍ: - قم أيها الكسول، هيا لتأكل معي وتقص عليّ بعضًا من قصصك السخيفة.

أخذت تشده من يديه، وهو لا يقاومها وجرته إلى الصالة وأجلسته على كرسي أمام منضدة الطعام ووضعت أمامه طبقًا فارغًا، ومالت علي أذنيه بصوت خافت: ماذا

سنأكل اليوم يا عزيزي؟

وأضافت بمرح: اليوم صنف مميز من الطعام، انظر.

رفعت الغطاء عن الإناء الذي يتوسط المنضدة فاتسعت عيناه بذهول سرعان ما تحول إلى غضب فصرخ: أيتها الجاهلة الحقيرة ستأكلين روايتي؟!

لطمته بعنف فجلس يلهث من شدة التعب وجلست بكل وقار، وامتدت أصابعها برشاقة تقطع الورق بالسكين وتضع بعضًا منه في طبقها ثم في طبقه وهو ينظر

إليها بتوسل، لم تبال بنظراته وأخذت تأكل بهدوء، ولطمته ثانية عندما وجدته لا يأكل؛ فامتدت يده المرتعشة إلى السكين، وأخذ يقطع في العنوان ويمضغه ثم

في الماستر سين الخاص بالرواية وتلذذ بطعمه وعند النهاية شعر بغثيان فناولته كوبًا من الحبر فابتلعه، وقد تجمعت قطرات الدموع بعينيه وهو ينظر إليها

بصمت، فقامت واتجهت إلى غرفتها وأغلقت بابها بعنف، نظر حوله ثم شعر بأمعائه تتلوى من الألم وتذكر أنه ابتلع مشهد البطل وهو ينتحر بالسم، أخذ

يتنفس بصعوبة ووجدها أمامه وقد أصابها ما أصابه وأمسكت به بعنف صارخة: أيها القاتل المجرم كم أمقتك وأمقت رواياتك، وها هي قضت علينا أيها الأبله.

فالتفت ذراعيه حولها وضمها إليه و...

"ستووووووووب"

W

هو أم هي؟

(عبد المجيد طعام)

"أحقا ما أسمع؟ أعيدي ما قلت.. أرجوك..."

جالت في ذهنه الشكوك لأنه عاش تجربة مريرة لبس فيه الكذب لبوس الصدق، فأمر زوجته بأن تعيد عليه ما قالت وأن تركز في لغتها لأنه فقد القدرة على

استيعاب ما يسمع... قالت له للمرة الألف: "نعم أنا حامل وفي أسبوعي الرابع!"

كاد أن يفقد كل أمل في أن يصبح أبًا، زار مع زوجته كل أطباء المدينة وجال بين العشابين والدجالين وسافر إلى مدن أخرى، ابتلع أعشابًا مضرَّة وحمل على جسده

طلاسم كثيرة وتناوب عليه الرقاة لكنه كان يسمع دومًا من الأطباء نفس الكلام: "ليس لديكما أي مانع للإنجاب... كل التحاليل تؤكد ذلك... ضعوا ثقتكما في

الله.."

الانتظار كان قاسيًا، متعبًا ولذيذًا... كان يحلق في فضاء أحلام يقظته... كان يرى ابنه الذكر يكبر ويشتد عوده.. ارتسمت على شفتيه ابتسامة شكر فنظرت إليه

الزوجة وقالت له: "بعد تسعة أشهر... أخيرًا يتحقق حلمنا.... كم أرجو أن يمنحني الله بنتًا جميلة تحمل شكل ولون عينيّ ولها منك الشفتين والأنف..." لم

يستسغ حلمها، نظر إليها بعينين حادتين تعلنان الرفض وأرجآ كل شيء إلى يوم الوضع لتكون المفاجأة أكثر لذة ومتعة.

كان مقتنعًا أنها تحمل في بطنها ولده "حسام" بينما هي كانت تلمّح بكل قوة أنها تحمل في بطنها "عطاء" ذات العينين العسليتين... مرت أشهر الحمل عادية

تصارعت فيها الأحلام المختلفة.. حانت لحظة الحسم، لحظة المخاض، اختار لها أحسن مصحة في المدينة... تركها بين يدي الممرضات والطبيب ونزل إلى غرفة

الانتظار، لا يجد مستقرًا... دار دورات كاملة داخل القاعة الفسيحة، قطعها طولًا وعرضًا مرات عديدة.. أحس بجسده يرتعد عندما رأى الممرضة متجهة إليه لا

تسبقها ابتسامة البشارة، قالت له: "كل شيء مر على ما يرام... زوجتك في صحة جيدة والمولود كذلك... لكن الطبيب يريد أن يراك..." ارتبك وارتجفت شفتاه،

تماسك نفسه وسألها: "المولود ذكر؟ أليس كذلك؟ ذكر أليس كذلك؟" لم تجبه الممرضة وأفهمته أن كل الأجوبة سيجدها عند الطبيب داخل مكتبه.

هنأه الطبيب وهدأ من روعه وقال له: "كل شيء مر في أحسن الظروف، ما يهمّنا الآن هو الوضع الصحي لزوجتك... لقد خلدت للنوم وهذا مؤشر إيجابي...

والمولود كذلك...." قاطعه الزوج وسأله: "المولود ذكر؟ ذكر؟ أليس كذلك؟ لقد ربحت الرهان... زوجتي كانت تريد "عطاء" وأنا أردت "حسام".... الحمد للّٰه... ذكر".

طلب الطبيب من الزوج أن يهدأ ودعاه للجلوس والإنصات لكلامه، انهار على أريكة، حدق بعينيه المتعبتين في نظارتي الطبيب متابعًا باهتمام كبير كلامه: "استمع

جيدًا.. يا سيدي.. لما سأقوله لك... لقد وضعت زوجتك.. لكننا لا نستطيع أن نحدد الآن جنس المولود هل هو ذكر أم أنثى!" أدرك الطبيب أن الزوج لم يفهم أي

شيء فأضاف: "المولود ولد بعضوين تناسليين

مختلفين، عضو ذكر وآخر أنثى... ولا يمكن الآن أن نحدد جنسه إلا بعد أن نجري له عملية جراحية، نبتر عضوًا ونترك آخر، وهكذا تنتهي المشكلة." باستعجال غير محسوب قال الزوج: "أنا موافق.. انزعوا منه عضو الأنثى واتركوا الذكر! مستعد أن أوقع لكم على كل الأوراق التي تحتاجونها... الآن..."

أخفى الطبيب ابتسامة مشفقة وقال له: "الأمر ليس بالسهولة التي تتصور... العملية لا يمكن أن تجرى إلا بعد أن يبلغ المولود الخامسة من عمره... حتى يكتمل نمو العضوين الجنسيين ونبتر واحدًا منهما." انزوى الزوج في دواخله المضطربة وقد تحولت أحلام يقظته إلى كوابيس مزعجة، ماذا سيقول للعائلة، للجيران، للأصدقاء، حتمًا سيسألونه: "هل ذكر أم أنثى؟" بماذا سيجيب، هل له القدرة على أن يقول لهم: "وضعت زوجتي مولودًا بعضوين تناسليين.. ولا يمكن أن نحسم الآن في أمر جنسه.." إنه يدرك أن لا أحد سيفهم ما يقول ولا أحد سيتقبل هذا المولود الذكر والأنثى في نفس الوقت "يا للعار الذي أصابني؟! ماذا فعلت من جرم حتى يعاقبني الله هذا العقاب الغريب؟!"

اقتحم الطبيب صمته وأوقف تناسل تساؤلاته القاتلة وقال له: "أن يولد مولود بعضوين تناسليين مختلفين، ليس بالأمر الغريب.. أمر حدث ويحدث وسيحدث مستقبلًا.. على الأبوين أن يعرفا كيف يخرجان من هذه التجربة بأقل الأضرار.." شعر الزوج بارتياح مؤقت لكن صدمته كانت أقوى حين عرف أن اختيار جنس المولود بعد خمس سنوات لم يعد من حقه وإنما هو حق

يجب أن يمارسه الطفل أو الطفلة "كيف؟ سؤال كنت أنتظره... عليكما أن تعرضا المولود خلال كل هذه

السنوات على طبيب نفسي ليتتبع ميوله، هل تستهويه حياة الأنثى فيريد أن يكون أنثى أم العكس.... عليكما أن تقدما له دعمًا تربويًا ونفسيًا محايدًا واتركا له

حرية الاختيار.."

خرج الزوج منكسرًا متعبًا من مكتب الطبيب، لم يتوجه إلى الغرفة أين ترقد زوجته، ذهب مباشرة إلى شقته... جمع كل العرائس التي اشترتها زوجته لتزين بها

غرفة حلمها، ألقى بها في القمامة وعلق على الجدار قرب سرير حلمه صورًا لحاملي الأثقال ورياضة كمال الأجسام وهم يستعرضون عضلاتهم الرجولية المفتولة،

وصرخ بأعلى صوته في جنح الليل: "لن نبتر من جسدك يا ولدي إلا العضو التناسلي الأنثوي... أنت حسام ولن تكون أبدًا عطاء..."

W

الحاج محسوب

(مصطفى النجار)

أنا شخصٌ غير اجتماعي؟!

لا بد أنهم من أخبروك بذلك، الأوغاد يتسلون بنتف فرائي في غيابي، لن ألومك لأنك قد صدقتهم.. ألومك فقط لأنك سمحت لهم بأريحية بأن تكون شخصيتي

مادة للتسلية بمجالس الغيبة والنميمة.

لو أنك تحليت بالصبر الكافي لاكتشفت ذلك بنفسك، نعم، ذلك صحيح تمامًا، فأنا شخص غير اجتماعي

بالمرة.

سأحاول جاهدًا أن أكون ودودًا معك، فأنا أحتاج لكثير من الثرثرة بشأن موضوع هام وهو سبب زيارتي لك الآن.

أنا في عذاب مقيم منذ قرر مكتب التنسيق اللعين إلحاقي لدراسة الطب البشري بجامعة القاهرة بدلًا من جامعة المنصورة، هذا هو عامي الثاني في الكلية، في العام

الأول عانيت أيما عناء من لزوجة المتطفلين وصداع الثرثارين ومتصنعي التودد ومدعي الثقافة أثناء إقامتي بالمدينة الجامعية، في العام الثاني وبعد أن حصلت

بمجهودي الشخصي على تقدير "مقبول" استرحت منهم جميعًا بعد طردي من المدينة الجامعية وبدأت معاناتي مع الحاج محسوب!

من الحاج محسوب؟!

إنه الرجل السبعيني السكندري الناحل صاحب العقار، استأجرت منه حجر جرذ في الطابق الأرضي في بيته يُصر هو على اعتباره قصرًا مشيدًا!

لمَ وافقت؟!

عزيزي، تلك شقة تفي بجميع متطلباتي، حجرة وصالة وبها مطبخ ودورة مياه ويصل إليها الغاز الطبيعي، كل ذلك مقابل ثلاثمائة جنيه مصري فقط لا غير،

ذلك كل ما أتمناه، لن أستأجر شقة أفضل بمبلغ أضخم يتطلب مشاركة زميل لي معي وقد أكدت لك في البداية صحة أقاويلهم بشأن انطوائيتي.. لن أرهق

حافظة نقود أبي بأكثر من هذا المبلغ الذي قد يكون راتبي بعد التخرج بعد سبع سنوات من الدراسة

الشاقة، عندما أعمل طبيبًا ومسؤولًا عن مطاردة القطط
الضالة بإحدى وحدات طب الأسرة التابعة لوزارة الصحة في قرية نائية قد تسمى "قرية أم السحاليل"!
كنت أظن أنني سأجد ضالتي في شقة الحاج محسوب، أرجع بعد يوم دراسي شاق لأتناول لقيمات يقمن صلبي وأجلس في هدوء أستذكر دروسي وأقرأ رواية لن
تضيف لي شيئًا جديدًا، وأخلد إلى النوم أسفل أرطال من الأغطية الصوفية الثقيلة تقيني برد الشتاء، ولكن كل ذلك لم يحدث!
الحاج محسوب كان شكًا وريبة اجتمعا وامتزجا ليشكلا كائنًا على هيئة البشر يمشي على قدمين! في كل مساء أتوقع طرقاته على باب الشقة لأسباب مختلفة
تنتهي بثرثرته المملة محاولًا في دأب معرفة سر خطير وغامض لا أخفيه!
اعتدت بعد فترة على أسلوبه الشبيه برجال المخابرات كما عرفناه من المسلسلات والأفلام، يحاول أن يطرح نفس السؤال بأكثر من صياغة منتظرًا أن أخطئ في
الإجابة أو أن أتلعثم، وددت أن أحضر مصحفًا لأقسم عليه وأغلظ القسم أنني لا أنتمي لجماعات إرهابية ولم أنضم يومًا للدواعش المعتوهين مهما طالت لحيتي
الكثيفة كسلًا، أقسم له أنني لن أحول جحر الجرذان هذا لوكرٍ لممارسة الرذيلة مهما كانت مربحة، أقسم له بأنني لن أستدرج زميلتي الشابة الغافلة بغرض زيارة
أمي المريضة لأستغفلها وأراودها عن نفسها وأغلق الأبواب وأقول هيت لكِ.. سيتحرش بها أهل المنطقة ويغتصبونها قبل أن تصل إلى الشقة من الأساس

وسأقضي
معها ليلة تعسة في المستشفى أو في قسم الشرطة!
تعلّمت مع الأيام التحايل على الحاج محسوب، أعود إلى الشقة في المساء وأطفئ الأنوار جميعها وأقضي وقتي معتمدًا على ضوء كشّاف هاتفي المحمول كي يظن
الحاج محسوب أنني أغط في نوم عميق، كانت تلك طريقة فعّالة وإن كان يعكر صفوها طرقاته بعد منتصف الليل ليملأ دلوًا من صنبور المياه لدي ليمسح مدخل
العقار، أو طرقاته قبيل الفجر ليتأكد من إغلاقي لصنابير المياه جيدًا!
كنت أستمتع بالهدوء المحبب في الشقة مستأنسًا بوحدتي متجاهلًا أصوات الشجار اليومي بين الجيران، كنت أشعر بقلق بالغ إن مر يومٌ دون أن يحدث شجار
يتراشقون فيه بالسباب والطعن في أعراض بعضهم البعض.
الفقرة الأسبوعية الأكثر إمتاعًا بالنسبة إليّ هي فقرة شجار الحاج محسوب مع ابنه الأكبر سامي "لوح الثلج" مثلما أطلق عليه، والذي يعيش مع أبيه بمفردهما
بعد وفاة الأم، هذا الشاب الذي لم يتسن لي مقابلته من ذي قبل، في كل شجار بينهما كنت على استعداد أن أدفع نصف عمري مقابل معرفة الكلمات التي يتفوه
بها ليستثير الحاج محسوب أباه بهذا الشكل، ينفجر الحاج محسوب كبركان فجأة مطلقًا سبابًا ملتهبًا كالحمم لابنه بصوت لارتفاعه يُسمِع الموتى الراقدين في

قبورهم في السنبلاوين!

لله درك يا سامي لوح الثلج الرائع، تقتص لي من أبيك المتطفل، أسمع خطواته على درجات السلم المتهالكة تاركًا الحاج محسوب يتميز من الغيظ مطلقًا خطبة

هجاءٍ تزدحم بالسباب الخادش لحياء الداعرين إن كان لديهم واحدٌ.

ما علاقة كل ذلك بالموضوع الهام؟!

عليك أن تتريث قليلًا ما دمت قَبلتَ من البداية أن تعطيني الفرصة للثرثرة معك.. إياك أن تقاطعني مرة ثانية.

مساء يوم الخميس الماضي نشب نفس الشجار بين الحاج محسوب وابنه في غير موعده، فلم يكن قد مضى ثلاثة أيام منذ الشجار الأخير، كان يبدو أن هذا الشجار

يختلف عن سابقيه، ارتفعت حدته وسمعت للمرة الأولى صوت الابن يعلو غاضبًا.. بدا كوتر مشدود باستمرار آن له أن يتمزق.. كان هناك الكثير من قاذورات

العقوق القميئة تتطاير من فم الشاب نحو أبيه، الكثير من "أنت كبرت وخرفت" تزاحم "مستخسر الفلوس في ابنك يا إيحة" معلنة "اكنز الفلوس على قلبك"

منتهية ب"الكفن من غير جيبين".. دقائق مرت سريعة قبل أن أشعر بقطيع من الفيلة الأفريقية تتدافع على درجات السلم المتهالكة.. هم الجيران وقد أتوا من كل

صوب وحدب لينهوا هذا الشجار المحتدم.. لم أتكبد عناء فتح باب شقتي وأتطفل على الحاج محسوب وابنه، تلك مشاكل عائلية ولم أمتلك يومًا أنفًا كخرطوم

فيلٍ طولًا لأحشره في شئون الآخرين.

لا أعرف هيئة الابن سامي لوح الثلج الذي أذابه بخل أبيه فحوّله لحميم يغلي، ولكني توقعت ضخامة جسده إذ تعالى صوت الحاج محسوب فقط عندما وجد

الجيران إلى جواره وقد هبوا لنجدته وحمايته.

ظل الحاج محسوب يعنف الفراغ من حوله ويكيل له السباب لساعة كاملة ليفرغ جميع شحنات غضبه حتى تخمد ثورته ويعود ضغط دمه للانخفاض لمعدلاته

الطبيعية.. انتهت فقرة الليلة غير المسلية فأكملت حزم حقيبتي وهرعت نحو موقف سيارات الأجرة لألحق بآخر سيارة متجهة إلى السنبلاوين لأقضي إجازة نهاية

الأسبوع، لم أعد للشقة إلا في مساء الثلاثاء التالي لظروف عائلية لا يعنيك معرفتها فلا تسألني عنها.

استيقظت من نومي ليلتها على صوت طرقات على باب الشقة، لم يكن لدي شكٌ أن تلك عظام يد الحاج محسوب الواهنة، نظرت لشاشة هاتفي المحمول لأجدها

الخامسة فجرًا! سببت الحاج محسوب وأمه وأباه وصاحبته وبنيه في سري ونهضت من الفراش هاجرًا الأغطية الدافئة لأفتح الباب، كان الحاج محسوب يقف

على الباب متكئًا على عصاه وعلى وجهه المجعد حزن شديد.

- أنا صحيتك ولا إيه يا دكتور، أنا لقيت نور قايد قولت انت صاحي.

- لا يا حاج ولا يهمك.

قلتها ضاغطًا على أسناني حتى كادت أن تتهشم، ظل يثرثر بكلام فارغ المضمون متسائلًا عن صحتي وأسرتي

في البلد وإن كنت أطلب منه شيئًا، ثرثرة معتادة هي الملل ذاته استغرقت ربع الساعة وعندما هم بالانصراف ارتكبت خطأ قاتلًا عندما قلت بحسن نية: - ما تقعد تشرب حاجة يا حاج.

وكأن الحاج محسوب قد أخذ كلامي بمحمل الجد، وجدته يخلع حذاءه ويجلس على الكرسي القريب منتظرًا بالفعل أن نحتسي القليل من الشاي الساعة الخامسة فجرًا، لم أجد لدي وقاحة كافية لطرده فدخلت المطبخ أتمتم بكل أنواع الشتائم التي عُرفت في قاموس البشرية، أعددت كوبين من الشاي الخفيف مع قليل من السكر عكس ما يحب وقدمته إليه بعدما بصقت في كوبه.

- الواد سامي ابني منه لله، مطلع عيني يا دكتور.

لم أستفسر منه فارتشف رشفة من كوبه وتابع حديثه، أخبرني أن ابنه طامعٌ في الأموال التي ادخرها طوال حياته ليدفعها إلى أحد السماسرة ليضعه في زورق من تلك الزوارق التي تهوى الغرق في قلب البحر في رحلة هجرته إلى إيطاليا هجرة غير شرعية، أراد الابن أن يرث أباه في حياته، ترقرقت عينا الحاج محسوب بالدموع وهو يقسم ويغلظ القسم أنه فقط يخشى عليه من الموت غريقًا كمن سبقوه، ولكن سامي ابنه لم يصدقه واعتبره بخيلًا يجعل يده مغلولة إلى عنقه ولا يبسطها أي بسط كانزًا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، عاد إليه ليلتها غاضبًا وقد رأى الجنون في عينيه، هجم على عنق أبيه حابسًا الهواء عن خلايا مخه محاولًا قتله فلم يشعر الأب ليلتها بأي شيء بعدما أظلمت

الدنيا من حوله وفقد الوعي!

ظل الحاج محسوب يبكي وينتحب ويشرب الشاي وأنا أواسيه لاعنًا إياه وابنه وعائلته كلها.. ما دخلي أنا ومشاكلهم اللعينة! نهض الحاج محسوب وهم

بالانصراف فلم أستبقه أو أحاول.. انصرف لأغلق الباب خلفه وأقفز إلى فراشي لأستكمل نومي قبل الذهاب إلى الجامعة.

W

في مساء اليوم التالي عدت إلى شقتي قبيل المغرب، ما إن أغلقت الباب خلفي وشرعت في تغيير ملابسي حتى سمعت طرقات على باب الشقة، توقعت حينها أنه

الحاج محسوب عليه من الله ما يستحق، لقد سببت وشتمت هذا الرجل المسكين أكثر من أي شيء في حياتي القصيرة، فتحت الباب لأجد جسدًا ضخمًا يسع الكرة

الأرضية بين منكبيه يقف في وقاحة أمام جسدي النحيل.

- معلشي يا دكتور محتاج الإيجار واعمل حسابك تخلي الشقة آخر الشهر.

- حضرتك مي..

- أنا سامي محسوب.

- بس الحاج محسوب اللي بياخد مني دايمًا الإيجار والعقد كان في..

- الحاج محسوب تعيش أنت الخميس اللي فات.

قالها في حيادية وكأن الميت كلب أجرب تضيق به

حارات المنطقة فنزل الخبر عليّ حينها كالصاعقة، هذا الشاب الذي يتصنع الحزن لا شك يكذب، قلت له في استنكار:

- إزاي الحاج محسوب كان معايا امبارح..

تغيرت ملامح الشاب في ثانية من تصنعه الفاشل للحزن إلى الغضب، بدا كأنه سيحرقني بنظراته قائلًا: - كان عندك وقال لك إيه بقى؟!

قالها وخطا إلى داخل الشقة وأغلق الباب من ورائه ثم استطرد قائلًا: - من يوم ما غار في ستين داهية وكل يوم يجيلي في المنام ويقول لي إنه هيفضحني عند الدكتور.. هيفضحني عند الدكتور.. وأنا أقوله (* *) أم الدكتور.. فاكره مش

هيعرف يعمل حاجة.. بس شكله حكالك على كل حاجة.

تراجعت خطوات للوراء حتى سقطت على فراشي الصغير في الصالة، كان وجهي يفضحني ويفضح ما أخبرني به الحاج محسوب اللعين، انقض سامي عليّ وأحكم

قبضتيه حول عنقي يعتصره، لمحت حينها كوبي الشاي، انتبهت حينها لكون أحدهما فارغًا والآخر لم يمس وبصقتي لا تزال تطفو على سطحه.. كان ذلك آخر

شيء رأيته قبل أن تظلم الدنيا من حولي!

ما لك يا صديقي، لمَ أرى شحوبًا يكسو وجهك؟! لا تخف مني فلا نية لي لإيذائك، فقط أطلب منك أن تقتص لي، لا تلق بالًا للحاج محسوب، هو يستحق ما

لاقاه، أنا أكره المزعجين بطبعي وهو كان إزعاجًا يمشي على قدمين، وعليك فقط أن تقتص لي، فقط

أخبر الشرطة وستفعل هي ما يلزم، لا أريدك أن تتطفل على
آخر مثلي في قريب عاجل.

جدول المحتويات

مكتبة الكندل العربية
همسة للقارئ/القارئة
السّكابَندو
قطار الثامنة والنصف
سُخِطَ فراشَة
إبراهيم
غلبت أصالح في روحي!
كيد الذاكرة
جار المأذون
في المصحة
موتى يعيشون
مرحلة الخطر
الرجل السراب
رجلان
كائن آتٍ
ف المعتقل والدنيا نهار..
الغفير
أمل
في الغرفة

يَومٌ آخرُ لِلرَّجل الطّيّب
عائلة كورلاف
نافذة مائلة
بقايا روح
منتصف طريق
التحول للأسوأ
كليك
هو أم هي؟
الحاج محسوب